دراسات في

التصوف

تأليف

الأستاذ إحسان إلهي ظهير رحمه الله

١٣٦٠هـ - ١٤٠٧هـ ١٩٤١م - ١٩٨٧م

طبعة شرعية

٢



الإذن الخطي من ورثة الشيخ (إحسان إلهي ظهير) رحمه الله

لدار الإمام المجدد بطباعة ونشر كتبه رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

In the Name of Allah the Most Beneficient the Most Merciful.

I Ibtisam Elahi Zaheer s/o Allama Ehsan Elahi Zaheer allow Abu Abur-Rehman Muhammad-Al-Mesri of Dar ul Imam-Al-Mujaddid to publish books of Allama Ehsan Elahi Zaheer

ابتسام الٰہی ظہیر

Hafiz Ibtisam Elahi Zaheer
Director General
Idara Tarjuman-us-sunnah
Lahore Pakistan

دراسات
في التصوف



الطبعة الأولى لدار الإمام المجدد
للنشر والتوزيع
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع: ٢٢٧٣٢/ ٢٠٠٥

شارع الهدي المحمدي - مساكن عين شمس الشرقية - القاهرة - مصر
جوال: ٠١٠٥٢٦١١٤٩/ ٠٠٢ — ٠١٠٦٤٢٦٠٣٥/ ٠٠٢
E-Mail : emam_mujadded@yahoo.com

نبذة مختصرة عن السيرة الذاتية
للشيخ إحسان إلهي ظهير
١٣٦٠هـ - ١٤٠٧هـ

إحسان إلهي عالم باكستاني من أولئك الذين حملوا لواء الحرب علي أصحاب الفرق الضالة، وبيّنوا بالتحقيق والبحث الأصيل مدي ما هم فيه من انحراف عن سبيل الله وحياد عن سنة نبيه، وإن ادعوا الإسلام وملئوا ما بين الخافقين نفاقًا وتقية.

ولد في «سيالكوت» عام (١٣٦٣هـ) ولما بلغ التاسعة كان قد حفظ القرآن كاملاً وأسرته تعرف بالانتماء إلي أهل الحديث، وقد أكمل دراسته الابتدائية في المدارس العادية وفي الوقت نفسه كان يختلف إلي العلماء في المساجد وينهل من معين العلوم الدينية والشرعية، حيث درس كتب الحديث النبوي الشريف علي يد الحافظ محمد جوندلوي - شيخ العلامة عطا الله حنيف - كما درس الفلسفة والمنطق والعقل علي يد الشيخ شريف الله حتي برع فيها.

*** الجامعة والنبوغ الجامعي:**

لقد حصل الشيخ علي الليسانس في الشريعة من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وكان ترتيبه الأول علي طلبة الجامعة وكان ذلك عام (١٩٦١م) وبعد ذلك رجع إلي باكستان وانتظم في جامعة البنجاب، كلية الحقوق والعلوم السياسية، وفي ذلك الوقت عُيّن خطيبًا في أكبر مساجد أهل الحديث بلاهور، ثم حصل علي الليسانس أيضًا.

وظل يدرس حتي حصل علي ست شهادات ماجستير في الشريعة، واللغة العربية، والفارسية، والأردية، والسياسة.وكل ذلك من جامعة البنجاب وكذلك حصل علي شهادة الحقوق من كراتشي.

*** المناصب والوظائف والدعوة:**

كان رحمه الله رئيسًا لمجمع البحوث الإسلامية بالإضافة إلي رئاسة تحرير مجلة «ترجمان الحديث» التابعة لجمعية أهل الحديث بلاهور في باكستان، كذلك كان مدير التحرير

بمجلة «أهل الحديث» الأسبوعية، وكان رحمه الله عظيم الشأن في أموره كلها..رجع يوم رجع إلي بلاده ممتلئًا حماسًا للدعوة الإسلامية.

وقد عرض عليه العمل في المملكة العربية السعودية فأبي آخذًا بقوله تعالي: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة:١٢٢].

❊ يقول عنه الدكتور محمد لقمان السلفي في مجلة الدعوة:

«لقد عرفت هذا المجاهد الذي أوقف حياته بل باع نفسه في سبيل الله أكثر من خمس وعشرين سنة عندما جمعتني به رحمه الله مقاعد الدراسة في الجامعة الإسلامية، جلست معه جنبًا إلي جنب لمدة أربع سنوات فعرفته طالبًا ذكيًا يفوق أقرانه في الدراسة، والبحث، والمناظرة! وجدته يحفظ آلاف الأحاديث النبوية عن ظهر قلب كان يخرج من الفصل، ويتبع مفتي الديار الشامية الشيخ ناصر الدين الألباني، ويجلس أمامه في فناء الجامعة علي الحصي يسأله في الحديث ومصطلحه ورجاله ويتناقش معه، والشيخ رحب الصدر يسمع منه، ويجيب علي أسئلته وكأنه لمح في عينيه ما سيكون عليه هذا الشاب النبيه من الشأن العظيم في سبيل الدعوة إلي الله والجهاد في سبيله بالقلم واللسان».

وكان الشيخ رحمه الله يتصل بالدعاة والعلماء في أيام الحج في شتي بقاع الأرض، يتداول معهم الموضوعات الإسلامية والمشاكل التي يواجهها المسلمون.

❊ دعاة الضلالة والحقد:

لكل مجاهد مخلص خصوم وأعداء، ولكل حق ضده من الباطل، وبما أن الشيخ كان سلفي العقيدة من المنتمين لأهل الحديث فقد جعله هذا في حرب فكرية دائمة مع الطوائف الضالة كالرافضة والإسماعيلية والقاديانية.

لقد كان يرفضها، ويرد علي ضلالاتها، ويجابهها في كل مكان وكل منتدي شأنه شأن كل مؤمن حقيقي الإيمان يعتقد في قرارة نفسه أن الكتاب والسنة هما الطريق الأوحد ولا طريق سواه لكل من أراد أن يكون من المنتمين لدين الإسلام، ويعتقد كذلك أن أديانًا تبني علي الكذب وتتستر خلف الترهات والأباطيل لجديرة بألا تصمد

أمام النقاش وأن تتضعضع أمام سواطع الحق ونور الحقيقة.

ولهذا الأمر طفق يلقي المحاضرات، ويعقد المناقشات والمناظرات مع أصحاب الملل الضالة، ويصنف الكتب المعتمدة علي مبدأ الموضوعية في النقل والمناقشة والتحقيق، وكثيرًا ما كان يرد علي المبطلين بأقوالهم، ويسعي إلي كشف مقاصدهم والإبانة عن انحرافهم وضلالهم وفي كل ذلك كان يخرج من المعركة منتصرًا يعضده الحق، وينصره الله تعالي.

ولما أحس به أهل الانحراف، وشعروا بأنه يخنق أنفاسهم، ويدحض كيدهم عمدوا إلي طريقة تنبئ عن جبن خالع..عمدوا إلي التصفية الجسدية بطريقة ماكرة!

❊ وفاته واستشهاده:

في لاهور بجمعية أهل الحديث وبمناسبة عقد ندوة العلماء كان الشيخ يلقي محاضرة مع عدد من الدعاة والعلماء، وكان أمامه مزهرية ظاهرها الرحمة والبراءة، وداخلها قنبلة موقوتة، انفجرت لتصيب إحسان إلهي ظهير بجروح بالغة، وتقتل سبعة من العلماء في الحال ولحق بهم بعد مدة اثنان آخران، وكان ذلك في٢٣ - ٧ - ١٤٠٧هـ ليلاً.

وبقي الشيخ إحسان أربعة أيام في باكستان، ثم نقل إلي الرياض بالمملكة العربية السعودية علي طائرة خاصة بأمر من الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله واقتراح من العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

وأدخل المستشفي العسكري، لكن روحه فاضت إلي بارئها في الأول من شعبان عام (١٤٠٧هـ)، فنقل بالطائرة إلي المدينة المنورة ودفن بمقبرة البقيع بالقرب من صحابة رسول الله.

❊ آثاره:

بالإضافة إلي محاضراته في باكستان، والكويت، والعراق، والمملكة العربية السعودية والمراكز الإسلامية في مختلف ولايات أمريكا، فقد كتب العديد من الكتب والمؤلفات التي سعي إلي جمع مصادرها من أماكن متفرقة كأسبانيا، وبريطانيا، وفرنسا، وإيران، ومصر، وإليك قائمة بأسماء تلك الكتب:

١ – الشيعة والسنة (١٣٩٣هـ)، ورجع فيه إلي (٨٨) مرجعًا.

٢ – الشيعة وأهل البيت (١٤٠٣هـ) وهي الطبعة الثالثة، ورجع فيه إلي (٢٣٠) مرجعًا. ٣ – الشيعة والتشيع فرق وتاريخ، ورجع فيه إلي (٢٥٩) مرجعًا.

٤ – الإسماعيلية تاريخ وعقائد (١٤٠٥هـ)، ورجع فيه إلي (٣٦٢) مرجعًا.

٥ – البابية عرض ونقد، ورجع فيه إلي (١٧٤) مرجعًا.

٦ – القاديانية (١٣٨٧٦هـ)، ورجع فيه إلي (١٥٠) مرجعًا.

٧ – البريلوية عقائد وتاريخ (١٤٠٣هـ)، ورجع فيه إلي (١٨٠) مرجعًا.

٨ – البهائية نقد وتحليل (١٩٧٥م)، ورجع فيه إلي (٢٧٨) مرجعًا.

٩ – الرد الكافي علي مغالطات الدكتور علي عبد الواحد وافي (١٤٠٤هـ)، ورجع فيه إلي (٢٥٩) مرجعًا.

١٠ – التصوف، المنشأ والمصادر الجزء الأول (١٤٠٦هـ).

١١ – دراسات في التصوف وهو الجزء الثاني، وهذا آخرمؤلفاته، انتهي منه قبل وقوع الحادث بسبع ساعات في مدينة «سيالكوت» في ولاية البنجاب.

١٢ – الشيعة والقرآن (١٤٠٣هـ)، ورجع فيه إلي (٨٤) مرجعًا.

١٣ – الباطنية بفرقها المشهورة.

١٤ – فرق شبه القارة الهندية ومعتقداتها.

١٥ – النصرانية.

١٦ – القاديانية باللغة الإنجليزية.

١٧ – كتاب الوسيلة بالإنجليزية والأردية.

١٨ – كتاب التوحيد.

١٩ – الكفر والإسلام بالأردية.

٢٠ – الشيعة والسنة بالفارسية والإنجليزية والتايلندية.

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له بيده الخير وهو علي كل شيء قدير، له الأمر من قبل ومن بعد يفعل ما يشاء ويختار، وهو أعلم حيث يجعل من يشاء من عباده علم هدى وداعية فلاح، لا إله إلا هو الحكيم العليم.

وبعد فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

لقد كان الأستاذ الكاتب المعروف الشيخ إحسان إلهي ظهير رحمه الله رغب مني أن أكتب مقدمة لكتابه «دراسات في التصوف» الذي أراد له رحمه الله أن يكون القسم الثاني من كشف التصوف والصوفيه ولبيان الفطرة التي درج عليها هذا المنهج ومن أي مبدأ ظهر.

وليس بخاف أنه رحمه الله قد أسهم بقلمه وخطابته في مجال مكافحة البدع والمبتدعة أيما إسهام، وكان لحماسه واندفاعه في دفاعه عن العقيدة أثره في بلاد الباكستان وغيرها بما لا يجهله أحد من المهتمين برصد نشاط أهل البدع في العشر السنوات الماضية، وقد ألح علي بعد سفره الذي لم ألقه بعد، إلا على سرير الانتقال إلى الآخرة.

لقد كانت تربطني بالفقيد علاقة وطيدة ترسخت أصولها على مر الأيام، وكنت كثيرًا ما ألح عليه بتوخي الحذر وأن لا يفرق نشاطه لئلا يكثر خصومه فيكيدوا له بكيد الشيطان إذ الشيطان للإنسان عدو مبين، وأعوانه في انفاذ مقاصده وبث فساده ونشر غوايته أنشط من سواهم، ولكن طبعه رحمه الله ونفسه المندفعة للحق فيما يظهر لي وحبه في فضح نوايا أهل البغي والفساد واطلاعه على مقاصدهم الخبيثة جعله لا يتأثر بعذل عاذل أو دعوة إلى أناة في كفاح باطل.

لقد كنت أخشى عليه كيد أعدائه ومكرهم لاسيما بعد تطور وسائل الشر والفتك وتفنن صانعي التدمير بإحداث أفتك الوسائل وأمضاها، غير أن خوفي عليه ونصحتي له بالحذر لم يمنع من إنفاذ الله قضاءه، وإنما هي حاجة في النفس قضيتها، وقضاء الله وقدره أسبق من ذلك.

كان رحمه الله يظهر لي إحساسه بالمرارة من نشاط أهل التشيع في نشر مذهبهم وشدة تدليسهم علي العامة وتجنبهم إثارة المشاعر في بداية أمرهم حتى إذا استحوذوا على النفوس بالخديعة تارة والإغراء تارة أخرى كشروا عن أنيابهم في وجه خصومهم وخرجوا علي سجيتهم في عدائهم لمخالفيهم متسترين في بداية الأمر بثوب النفاق، لا بسين بعد التمكن ثوب الفاتك الشرس، وكان ينعي علي أهل الحق كسلهم في سبيل نشر حقهم والدعوة إليه والدفاع عنه، وكنت أحرص علي تعزيته وتسليته بمطالعة سير الدعاة إلي الله وأن العاقبة للمتقين وأن الغفلة والإخلاد إلي الدعة قد لا تطول بإذن الله وأن عليه الصبر ومعالجة الأمور علي أساس الواقع وما هو كائن.

لقد كان رحمه الله يحدثني كل مرة عن لقاءاته في سفراته وتقبل الناس للحق وحاجتهم إلي تضحية في سبيل توعيتهم، فأبدي له أن ما يراه من استحسان وقبول من أدلة توفيقه وأسباب تسليته، وأحثه علي الصبر والأخذ بالحكمة والرفق رحمه الله رحمة واسعة.

لقد كان أمله أن تكون كلماتي عن كتابه هذا وبيان ما فيه من حق وما يحذر فيه عن زيغ حيث أحس شدة نفرتي من البدع وأهلها، وما دري رحمه الله وما دريت أنا كتابتي ستكون بمثابة رثاء له وتألم للمصيبة بموته بأيدي أهل الغدر والحقد.

ناولني رحمه الله أو أرسل إليّ كتابه هذا وهو صورة لمسودة الكتاب لم تمسه يد المراجعة ولم يعد عليه نظر التعقيب بالتفقد والتعديل، بل فيه التعليقات وشطب الكلمات وخفاء كثير من الصفحات بالنسبة للتصوير مما جعل قراءة كثير من مواضعه متعسرة أو متعذرة، ولكني علي كل حال قرأت كثيرًا منه وفهمت مقصده رحمه الله من إعداده حيث رأي كثرة من انخدع بالتصوف رغم ما في طواياه من البلايا والرزايا

والعقائد الكفرية فأراد أن يجلي للناس بأسلوب عصري يعتمد علي النقل لأدلة فضائح هذه المسالك من كتب دعاتها وأولياء زعامتها، وأبان بها نقل عن سفاهة أحلام القوم وطيش عقولهم، وأنا هنا لا أحب أن أتحدث عن الكتاب وما فيه من نقول يذوب القلب أسي لصدورها عمن ينتمي للإسلام فهذا شيء يتحدث عنه الكتاب نفسه، وأحب أن أعتذر عن إصلاح ما في الكتاب الذي قرأت أكثره لضيق وقتي ولأملي أن تكون مبيضته موجودةٍ لدي ورثة الشيخ إحسان رحمه الله لأن بين استلامي لصورة المسودة وقتله رحمه الله بأيدي أهل الغدر والخيانة عدة أشهر، فعسي أن يكون قلمه قد عدل وبدل وأجال فيه فكره وبصيرته، فأقام الاعوجاج ووصل بين ما قد يكون موجودًا من انفصال ولكني أقول أنه كتاب ينبغي أن يقرأ هو وسابقه لما فيهما من إيضاح ولما عرف عن الكاتب رحمه الله من حرص علي الاعتماد علي كتب من يرد عليهم من المبتدعة أنفسهم كما فعل في كتاباته عن التشيع في سلسلة كتبه المعروفة النافعة وكما كتب عن القاديانية والبريلوية وسواهم.

إن الفقيد رحمه الله قد أضاف إلي المكتبة الإسلامية سلسلة ثمينة ينبغي أن يعتني بنشرها وما قد يوجد فيها من ملاحظات نادرة فهي مغمورة بما حوته من البحور الزاخرة من فيض بيان الحق، وكشف الباطل، وتعرية أهله أمام نظر متطلبي طريق الفلاح.

لا أحب الإطالة في أسلوب إنشائي أو كلام عن الفقيد وآثاره لأني أرجو أن يكون لدى محبيه وذويه ومحبي الدعوة إلي الحق ما يغني عن القول، وإنما كتبت ما كتبت وفاء ببعض حق الفقيد رحمه الله وتحقيقًا لشيء من رغبته أن يخلو بعض كتبه من كلمة لي تؤيد منحاه وتدعو إلي نصرة منهجه فوعدته بالاستجابة، وما كنت لأرضيه حيًّا وأتراجع عن ذلك بعد موته فقد رأيت حقًّا علي إجراء القلم بشيء من مراده، ولا يسعني وأنا أريد إيقاف شباة القلم إلا أن أسأل الله أن يجعله من الشهداء عنده وأن يبارك في آثاره وأن ينفع بها وأن يصلح ذريته ويتولي حفظهم وأن يعطف عليهم قلوب من يستطيعون نفعهم وبث تراث والدهم، فالواجب علي القادرين بجاههم أو مالهم أو

أقلامهم وأفكارهم أن ينصروا دين الله ويسعوا في إبعاد كل ما قد يشوه مظهره أو يصد عنه أو قد يطمس ضياءه، وإذا كان أهل الحق أو كثير منهم قد أقعدهم حصول الدنيا والانجراف وراء بريقها واغترار الكثيرين بمظاهرها، فينبغي أن تكون للمسلم رجعة إلي الله وتأمل في مصيره واستحضار لسير المجاهدين ومواقفهم وبذلهم أموالهم وأنفسهم في سبيل الله وتركهم أموالهم وأهليهم من أجل دعوة الناس وإرشادهم وبيان الحق لهم رجاء المثوبة من الله واتقاء لعقابه عند الغفلة عن طاعته، والله المسئول أن يوقظ الضمائر وينبه الغافلين لحقهم ويشد عزائمهم وأن ينصر دينه وأن يذل أهل الزيغ والانحراف وأن يرزق العلماء القيام بحق العلم وصيانته ونشره ليسير الناس علي نور وهدي وأخيرًا رحم الله إحسان إلهي ظهير وآنس وحشته وبارك في ذريته وأهل بيته، وأخلف الله علي الأمة الإسلامية من يسعي جاهدًا لبث الدعوة وفضح الباطل، وأكثر لنا من هذا الصنف المتذرع بالعلم والحكمة والصبر في سبيل قمع كل باطل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وأصحابه ومن اهتدي بهديهم وسار علي نهجهم إلي يوم الدين.

صالح بن محمد اللحيدان
مجلس القضاء الأعلي
المملكة العربية السعودية
الطائف ٢١/ ١٠/ ١٤٠٧هـ



مقدمة

الحمد لله منزل القرآن وجاعله هدي للمتقين وموعظة وذكري لمن كان له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد، وشفاء ورحمة للمؤمنين.

والصلاة والسلام علي رسول الله مبشر الناس ومنذرهم، وداعيهم إلي الله بإذنه وسراج منير، إمام العالمين وأشرف المرسلين، الذي به ختمت النبوة وكمل به الدين، وآله وصحبه ومتبعيه إلي يوم الدين.

لقد وعدنا عندما كتبنا الكتاب الأول في هذا الموضوع، وهو «التصوف.. المنشأ والمصادر» بأننا سنتبعه كتابًا آخر في حجمه وضخامته. وها نحن نفي بالعهد، ونصدق الوعد، ونضع بين يدي القراء والباحثين كتابًا آخر في موضوع التصوف أيضًا مقرين معلنين بأنه لا زال البحث جاريًا، والتنقيب ماضيًا في كتب الصوفية ورسائلهم، مصنفاتهم ومؤلفاتهم، ولم نستطع أن نمسك زمام القلم ونحول بينه وبين ما يسطر، مع حرصنا الشديد بأن لا يطول الكلام، وقلّما سلم مكثار، ولكن الموضوع يتطلب المزيد ومع إصدار هذا الكتاب الثاني الذي ربما يزداد حجمه عن الكتاب الأول قليلاً، نري بأننا مطالبون بكتاب آخر، ولعلنا بذلك استطعنا إحاطة معظم جوانب هذه الطائفة وأفكارهم ومعتقداتهم وسلوكهم ومميزاتهم التي بها يمتازون عن الآخرين، أو يميزون عما سواهم، ولكننا نعد القارئ بأن موعده لن يكون بعيدًا، فإن أراد الله وشاء، ذلل الصعوبات، وسخر العقوبات، وغلبنا علي النوازل والملمات، وأبعدنا عن المصائب والمكروبات - وهو كاشف الغم، فارج الهم، مجيب دعوات المضطرين - لن نأتي علي آخر هذه السنة إلا ونكون قد وضعناه لطلبة العلم وقرائنا الأكارم، لأن الكتب موجودة، والنصوص والعبارات منها مأخوذة، وما بقي إلا وضعها في مكانها اللائق،

وتنظيمها وترتيبها، ثم جمعها وتأليفها، وسيكون ذلك الجزء مشتملاً علي أهم ما نريد أن يشتمل علي طرق التصوف ومنشأها، أعيانها وأكابرها، ولا يعني هذا بأن هذا الكتاب خال عن ذلك المبحث، لا ولا. ولكننا لم نبحث فيه إلا أهم الطرق وأشهرها بين الناس، وببعض الاختصار والاقتضاب بدون الإفاضة والإطناب، كما لم نرد ذكر المغالين المشهورين من المتصوفة وأفكارهم وعقائدهم، آرائهم وتعاليمهم - ولو أنهم كلهم غلاة ولكن غير المشهورين بالغلو - كالحلاج وابن سبعين ومحيي الدين ابن عربي وعمر بن الفارض وجلال الدين الرومي والسهروردي المقتول والقونوي والبقلي الشيرازي وغيرهم الكثيرين الكثيرين.

وكذلك بعض المواضيع التي لم نستطع التطرق إليها والإلمام بها في كتابينا هذين، ولها أهميتها في جلاء الفكر وتنوير الرأي وبيان الحكم، ونحاول قبل البدء في ذلك القسم من المبحث والكتاب، وأثناء هذه الفترة التي سنشتغل فيها حسب المخطط بفضل الله وتوفيقه في «المسيحية»، و«البهرة والآغاخانية»، الجزء الثاني من كتابنا «الإسماعيلية» - نحاول أن نحصل علي كتب ومصنفات الصوفية ووثائقهم ورسائلهم التي لم نحصل عليها بعد كي يجتمع للمعتنين بهذا الموضوع أكبر عدد ممكن من المراجع والمصادر فيه، وما ذلك علي الله بعزيز.

وبعد فإن هذا هو الكتاب الثاني في موضوع التصوف يشتمل علي أبواب ثمانية، لكل باب منه جزء مقسوم، ويبحث في أهم الجوانب الفكرية والعقائدية لهذه الطائفة من الناس.

فالباب الأول: «التطرف من لوازم التصوف» يشتمل علي تعاليم الصوفية، التي لم تبن إلا علي المغالاة والتطرف، وليست من الدين الوسط الذي قيل فيه علي لسان من جاء به «إن الدين يسر» و«يسروا ولا تعسروا».

وأن الله أنزله لهداية البشر وتهذيب النفوس لا لتعذيبها وحملها علي مالا تطيق ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(١).

(١) آية ٢٨٦ - سورة البقرة.

ولكن القوم قلبوا الأمور وجعلوها معكوسة، فبالغوا في الإنذار، وتطرفوا في التعسير، ولقد بينا كل هذا في هذا الباب مستندين إلي كتب القوم ورسائلهم، نصوصهم وعباراتهم حسب دأبنا المعهود.

والباب الثاني: فيه زيادة علي ما في الباب الأول حيث ذكرنا فيه أمورًا خالف القوم فيها نصوص الكتاب والسنة، النصوص الصريحة والواضحة الجلية، والتي لا تحتمل التأويل، وبينا كيف جاوز القوم حدود الشرع، وتركوا العمل به مع ادعائهم الزهد والتقوي، مع أن الزهد والتقوي يمنع المتلبسين بهما الابتعاد عن الشريعة قيد شبر.

والباب الثالث: وضعنا فيه النقاط علي الحروف بأن التصوف ليس إلا مؤامرة ضد الإسلام ودستوره ومنهاجه، حيكت بمهارة، وأحكم نسيجها بالدهاء والمكر.

والباب الرابع: بحثنا فيه عن البدع والمحدثات التي لزمت طريق القوم، وبها عرفوا وميزوا عن الآخرين، فصارت كالشعار لهم واللباس الذي يتزينون به في المجالس والمحافل.

الباب الخامس: «طرق التصوف وأعيانها» فلقد ذكرنا فيه أهم الطرق الصوفية والمشهورة بين العرب، وهي «الشاذلية» و«الرفاعية» و«القادرية» و«التيجانية» و«النقشبندية»، واقتصرنا علي هذه الخمسة مع وجود الأخري الكثيرة، ذخرًا لكتابنا القادم، وبما أنها ليست بتلك الشهرة والانتشار والقبول بين الناس، ولو أن بعضًا منها مشهورة في جهة ومغمورة في جهة أخري، مثل الجشتية والسهروردية فإن أكثر المتصوفة في شبه القارة الهندية الباكستانية منسلكون في إحداهما، خلاف الأخري فإنها ليست بتلك الشهرة في هذه البلاد، ولعلنا في ترجمتنا هذا الكتاب هاتين السلسلتين إلي اللغة الأردية نضيف إلي هذا الكتاب هاتين السلسلتين.

وسيجد القارئ متعة في هذا الباب ما لا يجد في غير هذا الكتاب وهو يقرأ هذه السلاسل والطرق.

والباب السادس: يتضمن مجموعة من المصطلحات الصوفية التي شاع استعمالها وكثر في الكلام الصوفي، وقد ضممنا إلي هذا الباب وهو آخر هذا الكتاب مباحث لم

نستطع إدراجها في الأبواب السبعة لعدم مناسبتها وعلاقتها المباشرة لتلك الأبواب رغبة منا بأن لا يحس القارئ بالنقص والخلل في هذا الخصوص وهو يبحث عن التصوف، فحرصًا منا علي ذلك أدرجناه في هذا الباب تحت عنوان «مصطلحات الصوفية» ومثال ذلك قضية وحدة الشهود، ووحدة الوجود، وكذلك مسألة وحدة الأديان، فإننا لم نستطيع ذكرها - ومع أهميتها - في أحد الأبواب الستة المذكورة لعدم وجود المناسبة والداعي إليها، فذكرها ههنا.

فهذه هي الأبواب الستة لهذا الكتاب، ولو ضمت إلي الأبواب الثلاثة من الكتاب الأول لكفت القارئ والباحث فهم التصوف ومعرفة المتصوفة، ولا يعني ذلك أن هذا الكتاب متوقف الاستفادة منه علي الكتاب الأول، فإن الأمر ليس كذلك لأنه كتاب مستقل، وليس كالجزء الأول منه، وكذلك هذا الكتاب، ولكن يحسن للقارئ أن يقتني هذا وذاك لأننا ذكرنا في هذا أشياء لم نذكرها في كتابنا الأول وكذلك العكس.

فإن هذا الكتاب يشتمل علي تعاليم الصوفية وعقائدهم، أفكارهم ومعتقداتهم، مميزاتهم وخصائصهم، بدعهم ومستحدثاتهم، طرقهم وأحوال زعمائهم، وغيرها من الأمور.

حيث إن الكتاب الأول يخص بذكر منشأ التصوف ومصادره مع ذكر المعتقدات التي تربطه بالمذاهب والأديان القديمة منها والحديثة من المذاهب الهندية والفارسية والأفلاطونية الحديثة والمسيحية والغنوصية إلي دين التشيع والشيعة.

فالكتابان بينهما عموم وخصوص من وجه يجتمعان في قضية التصوف والمتصوفة، ويفترقان من حيث المبحث والموضوع.

أما بعد..

فإننا نريد أن نذكر الباحث والقاريء أننا لم نسلك في هذا الكتاب إلا مسلكنا القديم.

أولاً: أنا لا نلوم الخصم إلا علي ما يقوله ويتفوه به.

ثانيا: ولا ننقل من كتاب ومؤلف غير معتمد وموثوق لدي القوم أنفسهم، بل

نثبت الحجة ونقيم البرهان مستندين إلي كتب القوم ونصوصهم وعباراتهم، فلا ننقل شيئًا من كتب المخالفين والمناوئين اللهم إلا للاستشهاد وللاستدلال، وربما يعسر علينا وجود شيء في كتب من نكتب عنه ونرد عليه، فنجده في كتب المخالفين والمعادين نقلاً عن أولئك ولكننا لا نعتمد عليه قبل أن نتحقق من وجوده عندهم وثبوته لديهم وإلا فقد أعرضنا الجانب عن إيراده ونقله مهما كانت أهميته وحيثيته.

ثالثًا: سلكنا في كتبنا كلها أصعب المسالك وأشقها حيث لا نكتفي بإيراد رواية واحدة ولا روايتين لإلزام الخصم كي لا يحكم عليها بالشذوذ والندرة، بل نسرد روايات كثيرة ونوردها واحدة تلو الأخري، ونضعها في جميع الجوانب كي لا يجد منها مخرجًا ويستسلم إما بالاعتراف والإقرار أو التبرئ والاستنكار.

رابعًا: لا نجعل المحك والمعيار لمعرفة الصدق عن الكذب، والحق عن الباطل، وتمييز الطيب من الخبيث، والجيد من الرديء إلا الكتاب والسنة، فالقرآن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وقد اتفق المسلمون علي عدم وقوع أي تحريف وتغيير فيه وأن يأتيه خلل أو نقص فهو محفوظ بحفظ الله ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝﴾[1].

والسنة سنة رسول الله المعصوم بعصمة الله والمحفوظ بحفظ الله والناطق بوحي الله والمضمون له في كلام الله ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝﴾[2].

فكل قول يخالف قول الله، وكل عمل يخالف عمل رسول الله فهو متروك مردود لا يعبأ به ولا يلتفت إليه، صدر عن كبير أو صغير، تقي أو شقي. لأن المؤمنين ليسوا ملزمين باتباع أحد من الرجال وآرائهم بل أنهم أمروا باتباع كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا لا يحتاج إلي بيان فإنه واضح جلي، وقد ذكرنا الآيات والأحاديث في هذا المعني في صميم الكتاب في مختلف المواضيع. فكل قول يوافق

(١) آية ٩ - سورة الحجر.

(٢) آية ٣، ٤ - سورة النجم.

الكتاب والسنة فهو قول حق وصدق وصواب مهما كان مصدره ومنشؤه، وكل قول وعمل يعارضه الكتاب أو السنة فهو قول باطل وعمل غير مقبول، من أي مصدر وأينما نشأ.

فالشرع عبارة عن القرآن والسنة وهو الأصل، وعليه يعرض جميع الآراء والأفعال والعقائد والمعتقدات، ويحكم عليها بالصحة والسقم والحق والبطلان، ولا يلتفت إلي شيء غيره.

خامسًا: لم ننقل عن كبار الصوفية وأعيانهم، زعمائهم وقادتهم إلا ما نقله المتصوفة عنهم في كتبهم سواء كانت نسبة هذا القول وذلك العمل إلي ذلك الشخص صحيحة أم غير صحيحة لأن العهدة علي الناقل والراوي ولو أننا لا نظن بأن من ينسب إليه المتصوفة تلك الأقوال والأعمال المخالفة المعارضة لصريح الكتاب والسنة والعقل كذلك يكون صحيحًا نسبتها إليه حيث أننا نحسن الظن فيهم ونبرؤهم مما ينسب إليهم ويتهمون بها كمثل رابعة العدوية والجنيد البغدادي وعبد القادر الجيلي وغيرهم من الأعيان، فقد ذكروا عنهم أشياء ونقلوا عنهم أقوالاً ورووا عنهم أعمالاً يأبي القلب قبولها عن أمثالهم ولكن ما لنا وللقلب فإننا ننقل مما ننقل عن كتب المتصوفة الموثوقة المعتمدة لديهم، ومؤلفوها أيضًا من الأعيان والأكابر، لا الأجانب والأصاغر، وزيادة علي ذلك لا نكتفي برواية وجدت فيها، بل ونجد لها شواهد ومتابعات، وهذا ما في وسعنا.

ولابد أن نتكلم ههنا بكلمة ولو للتاريخ بأننا ما وجدنا قومًا يكثرون الكذب علي أئمتهم ومشايخهم مثل الصوفية والشيعة، فما أكثر ما نسبوه إليهم وهم منه براء والله أعلم.

فالقصد من هذا كله أننا لم نتكلم علي أحد إلا ما نقل عنه في كتب القوم أنفسهم، وليس علينا إلا عهدة النقل فإننا ملزمون بإثبات المنقول في كتب القوم، وأما ثبوته عمن ينقلونه فهذا ليس من شأننا لأن الإسناد من خصائص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبذلك سلمه الله وحفظه من كذب الكذابين وزور المبطلين المنتحلين، ونريد من قراء هذا الكتاب بالأخص أن لا ينسوا هذه النكتة الحساسة فإنها هامة ومهمة.

ونرجو الله سبحانه تبارك وتعالي أن ينفع الناس بهذا الكتاب ويجعل له قبولاً

ورواجًا مثل ما من علينا في الكتب الأخري السابقة عليه، وأن يغفر لنا خطايانا المقصودة منها وغير المقصودة، ويجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم فإنه ما دعانا إلي كتابة هذا الكتاب والكتب الأخري عن الفرق الباطلة المنحرفة إلا رغبتنا الصادقة بأن يسلك المؤمنون سبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم، الخالية من شوائب الشرك وأدران الوثنية والبدع والزيغ والضلال ويتجنب عن السبل الملتوية والمعوجة التي لا تصل وتوصل إلي الله ونعيمه ومرضاته في الدنيا والآخرة، وإلا ما لنا ولهذه المواضيع التي لا تشكل إلا خطرًا، ولا تثير إلا شغبًا من أصحاب تلك الفرق وأولئك الطوائف، وخاصة في هذا الزمان الذي قل فيه المخلصون المناصرون لكتاب رب العالمين وسنة أشرف المرسلين، وكثر فيه النفاق والمداهنة والمداراة باسم السياسة والمصلحة، وحبب فيه التملق والتشدخ اللهم إلا من رحم الرب، وما أقلهم، وإن الجنة لحفت بالمكاره، كما أن النار حفت بالشهوات والملذات، فعلي الله توكلنا وهو عمدتنا وملجؤنا ومأوانا ومفزعنا، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلي الله علي رسوله خير الخلائق أجمعين وعلي صحبه ومن تمسك واهتدي بهديه إلي يوم الدين.

إحسان إلهي ظهير
ابتسام كاتيج شادمان لاهور
باكستان
٩/ جمادي الأولى/ ١٤٠٧هـ
١٠/ يناير/ ١٩٨٧م

الباب الأول

التطرف من لوازم التصوف

لقد ذكرنا فيما سبق في كتابنا «التصوف.. المنشأ والمصادر»[١] أن التطرف من لوازم التصوف وخصائصه، وأنه أمر زائد علي الزهد المشروع المجب إليه، ولا يوجد صوفي لا يبالغ في التجوع والتعري وترك الحلال، ويفرط في التقشف والتعنت وتعذيب النفس وتكليفها ما لا يطاق، وجلب الأذي، والتجاوز في أوامر الله ونواهيه، والتقدم بين يدي الله ورسوله حتي يصل إلي اجتناب ما أمر الله به وتحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله وإتيان ما منع الله عنه ورسوله صلوات الله وسلامه عليه، وأوردنا بعض الأمثلة هناك مناسبة للمقام تاركين التفصيل لهذا الكتاب، ونريد أن نذكر الباحث والقارئ قبل دخولنا في صميم للمقام تارين التفصيل لهذا الكتاب، ونريد أن نذكر الباحث والقارئ قبل دخولنا في صميم الموضوع أن المشروع ما شرعه الله ورسوله، والمستحب ما استحبه الله ونبيه وصفيه خير الخلائق أجمعين، وكل أمر لم يأمر به الله ولم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مهما حسن منظره، وعظم شأنه، وحبب إلي النفوس فهو مقبوح مردود في دين الله الذي جاء به محمد صلوات الله وسلامه عليه، وشرك بالله وكفر به وبكتابه وبرسوله حيث إنه عبارة بعدم كمال الدين وتمام النعمة وختم نبوة محمد صلوات الله وسلامه عليه بأن الله عز وجل قال في كتابه المحكم مخاطبًا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياة نبيه وصفيه وفي أيامه الأخيرة ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[٢].

وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٣].

وقال: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[٤].

---

(١) انظر مقدمة الكتاب ص ٩ ط إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان.

(٢) سورة المائدة الآية٣.

(٣) سورة الحشر الآية ٧.

(٤) سورة الأحزاب الآية ٤٠.

وقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾(١).

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١﴾(٢).

وقال: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾(٣).

وقال: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠﴾(٤).

وقال: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾(٥).

وقال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾(٦).

وقال: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾(٧).

وقال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٥٤﴾(٨).

وقال: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٣﴾(٩).

وقال: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾(١٠).

وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول: ﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا

---

(١) سورة سبأ الآية ٢٨.

(٢) سورة الحجرات الآية ١.

(٣) سورة آل عمران الآية ٣١.

(٤) سورة الأنفال الآية ٢٠.

(٥) سورة الشوري الآية ٢١.

(٦) سورة آل عمران الآية ١٩.

(٧) سورة آل عمران الآية ٨٥.

(٨) سورة النور الآية ٥٤.

(٩) سورة محمد الآية ٣٣.

(١٠) سورة الأحزاب الآية ٢١.

يُفۡعَلُ بِى وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٩﴾﴾[(١)].

وقال: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[(٢)].

وقال: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾[(٣)].

هذا وقد قال عليه الصلاة والسلام:

«**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله**»[(٤)].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا يؤمن أحدكم حتي يكون هواه تبعًا لما جئت به**»[(٥)].

وقال: «**إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**»[(٦)].

وقال: «**من وقر صاحب بدعة فقد أعان علي هدم الإسلام**»[(٧)].

وقال صلى الله عليه وسلم: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي**» قيل: ومن أبي؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبي**»[(٨)].

هذا ولقد روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

جاء ثلاثة رهط إلي أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها، فقالوا:

أين نحن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟

فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدا.

(١) سورة الأحقاف الآية ٩.
(٢) سورة النور الآية ٦٣.
(٣) سورة الأنعام الآية ٣٨.
(٤) رواه في الموطأ وله شاهد في الحكم.
(٥) رواه في شرح السنة وقال النووي: «هذا حديث صحيح».
(٦) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه.
(٧) رواه البيهقي في شعب الإيمان.
(٨) رواه البخاري.

وقال الآخر: أنا أصوم النهار أبدا ولا أفطر.

وقال الآخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا.

فجاء النبي صلى الله عليه وسلم إليهم فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»(١).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه؟ فوالله إني أعلمهم بالله وأشدهم له خشية**»(٢).

وقال الداودي شارحًا هذا الحديث:

إن التنزه عما رخص فيه النبي صلى الله عليه وسلم من أعظم الذنوب لأنه يري نفسه أتقي لله من رسوله، وهذا إلحاد.

وعلق عليه ابن حجر بقوله: لا شك في إلحاد من اعتقد ذلك(٣).

وروي عن العرباض بن سارية رضي الله عنه أنه قال:

«وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا. قال:

«**أوصيكم بتقوي الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيري اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، عضوا عليها بالنواجذ. وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**»(٤).

وعن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«**ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي إلا كان له في أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم أنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما**

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) انظر فتح الباري لابن حجر.

(٤) رواه أبو داود والترمذي.

لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»(١).

وعنه رضي الله عنه أيضًا أنه قال:

خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطًا ثم قال: «**هذا سبيل الله، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله، وقال: هذه سبل، علي كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، وقرأ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾» الآية**(٢).

ومثل ذلك ما رواه أبو داود في سننه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول:

«**لا تشددوا علي أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قوما شددوا علي أنفسهم فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديار رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم**»(٣).

وأخيرًا ما ثبت في الصحيح الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»(٤).

فالدين والشريعة عبارة عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما لم يرد ذكره فيهما فليس له من الأمر من شيء، فإن أسلاف هذه الأمة وعلي رأسهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهموا الدين هكذا، ولم يكونوا يحيدون عنهما قيد شبر، وكل ما لم يثبت ولم يرد ذكره في كتاب ربهم وسنة نبيهم عدوه زيادة علي الشرع وحدثا في الدين وبدعة مرفوضة وعملا مردودًا، صغيرًا كان أم كبيرًا.

وعلي ذلك قال صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود لمن رآهم يسبحون بالحصا:

«علي الله تحصون؟ لقد سبقتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم علمًا، وقد

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد والنسائي والدارمي وحسنه الألباني.

(٣) رواه أبو داود.

(٤) متفق عليه.

أحدثتم بدعة ظلما»[١].

وروي أن عبد الله بن مسعود بلغه أن الناس يجتمعون في ناحية من مسجد الكوفة يسبحون تسبيحًا معلومًا ويهللون ويكبرون.

قال: فلبس برنسًا ثم انطلق فجلس إليهم فلما عرف ما يقولون رفع البرنس عن رأسه ثم قال: أنا أبو عبد الرحمن. ثم قال:

لقد فضلتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم علمًا، أو لقد جئتم ببدعة ظلمًا.

قال: فقال عمر بن عتبة: نستغفر الله ثلاث مرات، ثم قال رجل من بني تيم: والله ما فضلنا أصحاب محمد علمًا ولا جئنا ببدعة ظلمًا ولكنا نذكر ربنا، فقال: بلي والذي نفس ابن مسعود بيده. لقد فضلتم أصحاب محمد علمًا أو جئتم ببدعة ظلمًا. والذي نفس ابن مسعود بيده لئن أخذتم آثار القوم ليسبقنكم سبقًا بعيدًا، ولئن حرتم يمينًا وشمالاً لتضلن ضلالاً بعيدًا[٢].

وعن أنس بن مالك ا أنه قال: كنا عند عمر فقال: نهينا عن التكلف[٣].

وعنه نقل يعلي بن أمية أنه قال:

«طفت مع عمر بن الخطاب، فلما كنت عند الركن الذي يلي الباب مما يلي الحجر أخذت بيده ليستلم، فقال: أما طفت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

قلت: بلي... قال: فهل رأيته يستلمه؟

قلت: لا، قال: فابعد عنه، فإن لك في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة[٤].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: الاقتصاد في السنة أحسن من الاجتهاد في البدعة[٥].

---

(١) انظر «البدع والنهي عنها» لمحمد بن وضاح القرطبي الأندلسي المتوفي ٢٨٦هـ، ص١١/ ط دار الرائد العربي بيروت.

(٢) المصدر السابق ص٩.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه أحمد والطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

(٥) رواه الحاكم في المستدرك.

وروي أبو داود عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال:

«كل عبادة لم يتعبدها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تعبدوها فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً، فاتقوا الله يا معشر القراء، وخذوا طريق من كان قبلكم»[١].

ولقد نقل عن إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله تعالي أنه قال:

من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة لأن الله يقول: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾، فما لم يكن يومئذٍ دينًا فلا يكون اليوم دينًا[٢].

وكان يردد أيضًا:

وخير أمور الدين ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع[٣]

وذكر الشاطبي عن ابن رواح عن الحسن أنه قال:

صاحب البدعة لا يزداد اجتهادا، صيامًا وصلاة إلا ازداد من الله بعدًا[٤].

ومثل ذلك روي عن هشام بن حسان أنه قال:

لا يقبل الله من صاحب بدعة صيامًا ولا صلاة ولا حجًا ولا جهادًا ولا عمرة ولا صدقة ولا عتقًا ولا صرفًا ولا عدلاً[٥].

وأخيرًا نذكر ما ذكره الشاطبي في اعتصامه تعريفًا للبدعة، فيقول: البدعة عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه تعالي.

ثم فصل قوله «تضاهي الشرعية» يعني أنها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك، بل هي مضادة لها من أوجه متعددة.

(١) رواه أبو داود.
(٢) سنن الدارمي ج١ ص ٦٠.
(٣) الاعتصام للشاطبي ج١ ص٨٥.
(٤) أيضًا ج٢ ص٨٢.
(٥) أيضا ص٨٤.

منها وضع الحدود كالناذر للصيام قائمًا لا يقعد، ضاحيا لا يستظل، والاختصاص في الانقطاع للعبادة، والاقتصار من المأكل والملبس علي صنف دون صنف من غير علة.

ومنها التزام الكيفيات والهيئات المعنية، كالذكر بهيئة الاجتماع علي صوت واحد، واتخاذ يوم ولادة النبي صلى الله عليه وسلم عيدًا، وما أشبه ذلك.

ومنها التزام العبادات المعينة في أوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة، كالتزام صيام يوم النصف من شعبان وقيام ليلته.

وثم أوجه تضاهي بها البدعة الأمور المشروعة، فلو كانت لا تضاهي الأمور المشروعة لم تكن بدعة، لأنها من باب الأفعال العادية[١].

أما بعد فبعد هذا التمهيد والتوطئة المختصرة وذكر قول الله عز وجل حيث خاطب أهل الكتاب بقوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾[٢].

نقول: أن أمور التصوف وأعمال المتصوفة كلها مبنية علي مخالفة تلك الأسس والقواعد، وليس فيها اتباع ولا اعتدال بل كلها ابتداع وغلو وتطرف ورهبانية ابتدعوها، ما كتبها الله عليهم، ولا أوجبها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا عمل بها أصحابه ورفاقه، تلامذته الراشدون ومبلغوا تعاليمه إلي العالمين، الذين اقتفوا آثاره، واهتدوا بهديه، واتبعوا سننه، وحملوا رايته، وجاهدوا في الله حق جهاده، ولم يكن واحد منهم معطلاً نفسه، منزويًا في الأربطة والتكايا، منعزلاً في الخانقاوات والزوايا، متعطلاً عن العمل، تاركًا للجمعة والجماعة، مخترعًا الطرق المخصوصة للوصول إلي الله، ومتخذًا التعنت والتطرف تقربًا وتزلفًا إليه، ولم يكن يعد التجوع والتعري سببًا للنجاة، ولا التسول والاستجداء وسيلة للنجاح، وكانوا تجارًا زراعًا صناعًا ورعاء للإبل والماشية، يكسبون الحلال ويرزقون به أولادهم، أهلهم وذويهم، ويطعمون الطعام علي

(١) الاعتصام للشاطبي ج١ ص ٣٩.

(٢) سورة النساء الآية ١٧١.

حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا، أصحاب الأهل والعيال، وأرباب البيوت والأموال، يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا، اللهم إلا من لم يجد إليها سبيلاً، مغلوبًا علي أمره مقهورًا مجبورًا، وكان يكد ويجد ويجتهد صابرًا شكورًا إلي أن يغنيه الرزاق ذو القوة المتين.

خلافًا للمتصوفة الذين جعلوا مسلكهم مبنيًّا علي الغلو والتطرف، ومسلكهم علي التعنت والتقشف، الذي لم ينزل الله به من سلطان، ولم يأت به في السنة من برهان، مخالفين طريقة نبي الله وصفيه وطريقة أصحابه خيار خلق الله وأوليائه، مخترعين مبتدعين غير مقتدين ولا متبعين، فقالوا:

ما أخذنا التصوف عن القيل والقال لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات[(١)].

وذكروا أن الجوع هو ركن من أركان التصوف وأساس من أسسه فقال قائلهم: ومن شأن المريد كثرة الجوع بطريقه الشرعي، وهو معظم أركان الطريق، فكما أن الشارع جعل معظم الحج عرفة، كذلك أهل الله جعلوا الجوع هو الطريق[(٢)].

ونقل النفزي الرندي أن الجوع أحد الأركان الأربعة للتصوف، والبقية هي: الصمت والخلوة والسهر، ومن حصل عليها فقد حصل علي كلية الدواء والتحق بزمرة الأولياء والبدلاء[(٣)].

وقال الشعراني: كل فقير لا يحصل له جوع ولا عري فهو من أبناء الدنيا، ليس له في طريق الفقراء نصيب[(٤)].

وعلي ذلك نقل القشيري عن أبي علي الروذباري أنه قال:

إذا قال الصوفي بعد خمسة أيام: أنا جائع فألزموه السوق وأمروه بالكسب[(٥)].

وذكر الكمشخانوي عن الجوع أنه أحد أركان المجاهدة، وبسببه تنفجر ينابيع

(١) الرسالة القشيرية ج١ ص ١١٧ بتحقيق عبد الحليم محمود.
(٢) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية لعبد الوهاب الشعراني ج١ ص٥٥ ط دار إحياء التراث العربي بغداد.
(٣) انظر غيث المواهب العلية للنفزي الرندي ج١ ص٩٢ط القاهرة.
(٤) الأخلاق المتبولية للشعراني ج٢ ص٩٤ بتحقيق الدكتور منيع عبد الحليم محمود ط مصر.
(٥) الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيري ج١ ص٣٧٧.

الحكمة لأهل السلوك، وهو من صفات أهل الحقيقة.

كما نقل عن سهل بن عبد الله التستري أنه كان يقول:

جعل الله في الشبع الجهل والمعصية، وفي الجوع العلم والحكمة.

قال أبو سليمان الداراني:

مفتاح الدنيا الشبع، ومفتاح الآخرة الجوع، وقال يحيي بن معاذ الرازي: الجوع نور، والشبع نار(١).

والصفوري يمدح الجوع الصوفي يقول قائلهم:

لأن أترك لقمة من عشائي أحب إلي من قيام ليل، والجوع في خزائن الله لا يعطيه إلا لمن أحبه(٢).

وحكي ابن الملقن عن يحيي بن معاذ الرازي المتوفي ٢٥٨هـ أنه قال:

الزهد ثلاثة أشياء: الخلوة، والقلة، والجوع(٣).

وذكر صوفي قديم أبو عثمان الهجويري في شرف الجوع كلامًا كثيرًا مع ما ذكر فيه أحاديث واهية موضوعة، فيقول:

«وقوله عليه السلام: بطن جائع أحب إلي الله من سبعين عابدًا غافلاً.

اعلم أن للجوع شرفًا كبيرًا، وهو محمود عند الأمم والملل، لأن خاطر الجائع يكون أحد من وجهة الظاهر، وتكون قريحته أكثر تهذيبًا، وجسده أصح، ومن هيأوا أنفسهم بالرياضة لا يكون له شره كبيره، لأن الجوع للنفس خضوع، وللقلب خشوع، فجسد الجائع خاضع وقلبه جائع لأن القوة النفسانية تتلاشي به.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أجيعوا بطونكم، وأظمئوا أكبادكم، وأعروا أجسادكم، لعل قلوبكم تري الله عيانًا في الدنيا.

---

(١) جامع أصول الأولياء لأحمد الكمشخانوي ص١٦٣ ط المطبعة الوهبية طرابلس ١٢٩٨ هـ، ومثله في تذكرة الأولياء للعطار ص١٣٤.

(٢) نزهة المجالس للصفوري ج١ ص١٧٧ ط بغداد.

(٣) طبقات الأولياء لابن الملقن ص٣٢٢.

وإذا كان للجسد من الجوع بلاء، فإن للقلب به ضياء، وللروح به صفاء، وللسر لقاء. وحين يدرك السر اللقاء، وتجد الروح الصفاء، ويجد القلب الضياء، فأي ضير إذا لقي الجسد البلاء»[١].

ونقل الشعراني عن الخراز أنه كان يقول: «الجوع طعام الزاهدين»[٢].

ونقل عن أحمد الرفاعي أنه قال: «أنا أحب للمريد الجوع والعري والفقر والذل»[٣].

وعلي هذا الأساس نقلوا حكايات وأكاذيب عديدة لتمجيد الجوع وتحميد المتجوعين والثناء عليهم، أكاذيب واضحة صريحة، فقالوا:

إن سهل بن عبد الله التستري كان لا يأكل الطعام نيفا وعشرين يومًا[٤].

ومرة قالوا عنه أيضًا أنه كان يأكل كل خمسة عشر يومًا مرة، فإذا دخل رمضان لم يكن يأكل شيئًا إلي يوم العيد[٥].

ومثل ذلك نقلوا عن إبراهيم بن أدهم أيضًا.

وروي الطوسي أكثر من ذلك عن أبي عبيد البسري أنه «كان إذا دخل رمضان دخل البيت وسد عليه الباب ويقول لامرأته: اطرحي كل ليلة رغيفًا من كوة في البيت ولا يخرج منه حتي يخرج رمضان، فتدخل امرأته البيت فإذا الثلاثون رغيفًا موضوعة في ناحية البيت»[٦].

وأغرب من ذلك أن الهجويري نقل هذه الحكاية عن الطوسي نفسه، وهذه هي ألفاظها:

«إن الشيخ أبا نصر السراج الملقب بطاووس الفقراء وصاحب كتاب «اللمع» ورد

---

(١) كشف المحجوب للهجويري ص ٥٧٠ ترجمة عربية ط دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٠م.
(٢) الطبقات الكبري للشعراني ج١ ص ٩٧.
(٣) الأنوار القدسية لعبد الوهاب الشعراني ج١ ص ١٣٢ ط بغداد.
(٤) اللمع للطوسي أبي نصر السراج ص٢٦٩.
(٥) كشف المحجوب للهجويري ص ٥٦٧ ترجمة عربية دكتورة إسعاد عبد الهادي ط بيروت ١٩٨٠م.
(٦) أيضًا.

بغداد في شهر رمضان، فأعطوه في مسجد الشونيزية وأسلموا إليه إمامة الدراويش، فأمهم حتي العيد، وكان يختم القرآن خمس مرات في التراويح. وكان الخادم كل ليلة يضع قرصًا في الخلوة، فلما كان يوم العيد رحل ﷺ، ونظر الخادم فكانت الثلاثون قرصًا في مكانها[1].

ومن الغرائب أن هذه القصة هي قصة البسري بعينها بألفاظها ومدلولاتها، ولو كانت للطوسي نفسه لم يكن ليسردها للآخر.

أو أن الحكايات واحدة من الأولين والآخرين.

وعلي كل فإن المكي أبا طالب زاد عليهما حيث حكي عن أحد المتصوفة أنه وقف علي راهب فذاكره بحاله وطمع في إسلامه وترك ما هو عليه من الغرور، فكلمه في ذلك بكلام كثير إلي أن قال له الراهب: فإن المسيح كان يطوي أربعين يومًا وأنا معتقد إعجاز هذا، وأنه لا يكون إلا لنبي.

فقال له الصوفي: فإن طويت خمسين يومًا ما تترك ما أنت عليه وتدخل في دين الإسلام، وتعلم أن ما نحن عليه حق وأنك علي باطل؟

قال: نعم، فقعد عنده لا يبرح ولا يذهب إلا من حيث يراه الراهب إلي أن طوي خمسين يومًا، فقال: أزيدك أيضًا، فطوي إلي تمام الستين فعجب الراهب منه واعتقد فضله وفضل دينه، وقال: ما كنت أظن أن أحدًا يجاوز فعل المسيح عليه السلام ولكن هذه أمة تشبه بالأنبياء في العلم والفضل[2].

وروي ابن الملقن عن أبي بكر الفرغاني:

أنه دخل مصر علي هذا الزي، فعرف بها؛ واجتمع إليه الصوفية، فتكلم عليهم، فعرض له السفر، فقام من مجلسه، وخرج معه نحو من سبعين منهم، فمشي في يومه فراسخ، لا يعرج علي أحد فانقطع من كان خلفه، وبقي منهم قليل، فالتفت إليهم وقال: «كأني بكم قد جعتم وعطشتم؟»، فقالوا: «نعم!» فعدل بهم إلي دير فيه صومعة

(١) اللمع لأبي نصر السراج الطوسي ص٢١٧.
(٢) كشف المحجوب للهجويري ص ٥٦٧.

راهب؛ فلما دخلوا أشرف الراهب علي أصحابه، وناداهم: «أطعموا رهبان المسلمين!، فإن بهم قلة صبر علي الجوع». فغضب من ذلك، ورفع رأسه إليه، وقال: «أيها الراهب!، هل لك إلي خصلة نتبين به الصابر والجازع؟»، قال: «وما ذاك؟» قال: «تنزل من صومعتك، فتتناول من الطعام ما أحببت، ثم تدخل معي بيتًا، ونغلق علينا الباب، ويدلي لنا من الماء قدر ما نتطهر به، فأول من يظهر جزعه، ويستغيث من جوعه، ويستفتح الباب، يدخل في دين صاحبه كائنًا من كان؛ علي أنني منذ ثلاث لم أذق ذواقًا». قال الراهب: «لك ذلك». فنزل من صومعته، وأكل ما أحب وشرب؛ ثم دخل مع أبي بكر بيتًا، وغلق الباب عليهما، والصوفية والرهبان يرصدونهما، لا يسمع لهما حس أربعين يومًا، فلما كان في اليوم الحادي والأربعين سمعوا حسحسة الباب، وقد تعلق أحد به، ففتحوا، فإذا الراهب قد تلف جوعًا وعطشًا، وإذا هو يستغيث بهم إشارة، فسقوه، واتخذوا له حريرة، فصبوها في حلقه، والفرغاني ينظر إليهم[١].

وروي أحدهم عن أبي محمد الباثغري أنه مضي عليه ثمانون يومًا لم يطعم فيها شيئًا[٢].

وذكر أصحاب الطبقات الصوفية عن أحد التصوفة في الهند شاه ميان جي بيغ أنه كان يعتكف من غرة رجب إلي العاشر من محرم مغلقًا عليه أبواب الحجرة، وكان يمكث فيها ستة أشهر لا ماء ولا طعام، وقد مات سنة ٨٩٩هـ[٣].

ونقلوا مثل ذلك عن شاه كمال البغدادي الهندي المتوفي سنة ١٢٩هـ[٤].

وحكي ابن الملقن عن مفرج الدماميني أنه لما اشتري - وكان عبدًا - مكث ستة أشهر لا يأكل ولا يشرب[٥].

فاستقلوا هذه المدة فنقلوا عن البسطامي أنه قال:

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب لأبي طالب المكي ج٢ ص ١٦٦ط دار صادر بيروت.

(٢) كشف المحجوب ص ٥٦٨.

(٣) انظر تذكرة أولياء بر صغير للميرزه محمد اختر الدهلوي أردو ج ٢ ص ٤٢ ط لاهور باكستان.

(٤) انظر تذكرة أولياء باك وهند للدكتور ظهور الحسن شارب ص ٣٢٠ ط لاهور باكستان.

(٥) طبقات الأولياء لابن الملقن ص٤٧٢.

«دعوت نفسي إلى شيء من الطاعات فلم تجبني، فمنعتها عن الماء سنة[١]».

أين هذا من إبراهيم بن أدهم حيث ذكروا عنه أنه «أول دخوله الطريق سنة لا أكل ولا شرب ولا نام[٢]».

ومن الشيخ الجيلاني حيث نقل عنه الشعراني أنه «مكث بداية أمره سنة لا يأكل ولا يشرب ولا ينام[٣]».

ولم يكتفوا بهذه المدة أيضًا حتى قال كبير القوم أبو القاسم القشيري رواية عن السلمي أنه قال بإسناده عن أبي عقال المغربي أنه أقام بمكة أربع سنين لم يأكل ولم يشرب إلى أن مات[٤].

فهل هذا معقول يا عباد الله؟

وهل هذا من الدين؟

وهل أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن نأتي مثل هذه الشعبذات؟ أو كان أحد من أصحابه يأتي بمثل هذه النيرنجيات والطلمسات والمخاريق؟ ولكن القوم يعدونها من لوازم الولاية والكرامة، فيخترعون القصص ويبدعون في اختلاقها، وينسجون الأساطير ويسردون الأباطيل، ويحشونها بالكذب المحض ويغلون ويبالغون فيه.

فمن الغرائب أن أبا النصر السراج الطوسي جاوز الحدود فقال:

«رأيت إنسانًا من الصوفية مكث سبع سنين لم يشرب الماء»[٥].

وقال واحد من هؤلاء:

«إن الشيخ بديع المتوفي سنة ٨٤٠هـ الذي يعد من كبار المشايخ وأولياء الهند

---

(١) جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج٢ ص١١٥ ط صادر بيروت، ومثله في تذكرة الأولياء لفريد الدين عطار ص٩٣ ط باكستان.

(٢) كتاب الطبقات في خصوص الصالحين والأولياء لمحمد ضيف الله الجعلي ص٦١ ط المكتبة الثقافية بيروت.

(٣) الأخلاق المتبولية لعبد الوهاب الشعراني ج١ ص ١٥٠.

(٤) انظر الرسالة القشيرية ج١ ص٢٢٠ بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ط القاهرة ١٩٧٢م.

(٥) كتاب اللمع للطوسي ص٤٠٨.

وحائزًا علي مقام الصمدية لم يذق طعامًا مدة اثنتي عشر عامًا»[١].

وكتب الآخر عن الآخر وهو فريد الدين مسعود المتوفي ٦٦٤هـ بأنه وقف علي رجليه في عالم الاستغراق عشرين سنة لم يجلس فيها ولم يأكل شيئًا[٢].

وأما عبد العزيز الدريني المتوفي ٦٩٧هـ فلم يستكثر هذا، بل نقل عن أبي هند أنه صام أربعين سنة لم يعلم الناس ولا أهل بيته، كان يأخذ الخبز ويخرج فيتصدق به فيظن الناس أنه يأكل في البيت، ويظن أهل بيته أنه يأكل مع الناس[٣].

هذا ورووا في فضل التجوع روايات كتلك الحكايات واهية باطلة، مختلقة مصطنعة، مثل ما ذكر الكمشخانوي أن عمر بن عبد العزيز أجاع صنفًا من الطير أربعين صباحًا ثم طاروا في الهواء ورجعوا رائحة المسك تفوح منها.

قال القشيري: لا يبعد أنها وصلت إلي الجنة.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**من عرف الله وعظمه منع فاه من الكلام وبطنه من الطعام**»[٤].

كما روي الآخر عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال:

«بطن جائع أحب إلي الله من سبعين عابدًا غافلاً»[٥].

وروي الصفوري الشافعي عنه صلى الله عليه وسلم: «**أفضلكم عند الله منزلة أطولكم جوعًا**»[٦].

وأيضًا: «**من أجمع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه**»[٧].

و«**نوروا قلوبكم بالجوع وخشن الثياب**»[٨].

(١) انظر خزينة الأصفياء لغلام سرور اللاهوري ص ٢٩٠ ترجمة أردية ط لاهور باكستان.

(٢) تذكرة أولياء باك وهند للدكتور شارب الدهلوي ص٥٥.

(٣) انظر طهارة القلوب والخضوع لغلام الغيوب لعبد العزيز الدريني ص ٢٠٩ ط مصطفي الحلبي مصر ١٩٧٢م.

(٤) جامع أصول الأولياء للكمشخانوي ص ١٦٤.

(٥) كشف المحجوب للهجويري ص ٥٦٩.

(٦) نزهة المجالس للصفوري الشافعي ص ١٧٧.

(٧) إحياء علوم الدين للغزالي ج٣ ص ٨٠ ط دار القلم بيروت الطبعة الأولي.

(٨) نزهة المجالس للصفوري ج ١ ص ١٧٧ ط دار الكتب العلمية بيروت.

ونقل ابن عجيبة الحسني عن أبي سليمان الداراني أنه قال:

«أحلي ما تكون العبادة إذا لصق ظهري ببطني»[(١)].

ومثل هذا ورد عن القوم في ترك الماء البارد والعذب، واجتناب اللحم، والتحرز عن الطيبات، فيقولون:

«من شرب الماء لم يشتق إلي الجنة»[(٢)].

وروي الكلاباذي والقشيري عن الجنيد أنه قال:

«دخلت يومًا علي السري السقطي وهو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟

فقال: جاءتني البارحة الصبية فقالت:

يا أبتي، هذه ليلة حارة، وهذا الكوز أعلقه ها هنا.

ثم أني حملتني عيناي فنمت، فرأيت جارية من أحسن الخلق قد نزلت من السماء، فقلت: لمن أنت؟

فقالت: لمن لا يشرب الماء المبرد في الكيزان.

فتناولت الكوز فضربت به الأرض فكسرته.

قال الجنيد: فرأيت الخزف لم يرفعه ولم يمسه، حتي عفا عليه التراب[(٣)].

وأما الشعراني فروي عن بعض مشايخ الصوفية أنه كان يقول:

«مثقال ذرة من لحم تقسي القلب أربعين صباحا»[(٤)].

وهناك حكايات أخري سردها النفزي الرندي المتوفي ٧٩٢هـ، منها ما نقله عن إبراهيم الخواص أنه قال:

«كنت في جبل (لكام) فرأيت رمانًا فاشتهيته، فدنوت منه فأخذت واحدة

---

(١) الفتوحات الإلهية لابن عجيبة الحسني ص ١٥٤ ط القاهرة.

(٢) المعارضة والرد المنسوب إلى سهل بن عبد الله التستري ص ١٢٥ بتحقيق محمد كمال جعفر ط دار الإنسان القاهرة ١٩٨٠م.

(٣) الرسالة القشيرية ج١ ص ٧٢، أيضًا نزهة المجالس للصفوري ج١ ص ٢٤٥ ط بيروت: أيضًا التعرف لمذهب أهل التصوف لأبي بكر الكلاباذي ص ١٨٤ ط مكتبة الكليات الأزهرية.

(٤) طبقات الشعراني ج١ ص٤٦.

فشققتها، فوجدتها حامضة قضيت وتركت الرمان، فرأيت رجلاً مطروحًا قد اجتمعت عليه الزنابير فقلت: السلام عليك، فقال: وعليك السلام يا إبراهيم، فقلت: كيف عرفتني؟ فقال: من عرف الله لم يخف عليه شيء، فقلت: أري لك حالًا مع الله تعالي، فلو سألته أن يحميك ويقيك من شهوة الرمان، فإن لذع [شهوةّ] الرمان يجد الإنسان ألمه في الآخرة. ولدغ عن الزنابير يجد ألمه في الدنيا».

وقال السري رضي الله تعالي عنه: «إن نفسي تطالبني منذ ثلاثين سنة أو أربعين سنة أن أعمس جزرة في دبس فما أطعمتها»، فلما كان ترك الشهوات والتنعمات من شأن المريد ومن مقتضي حاله لزمه الوفاء به وكان عمله علي خلافه نقضًا وفسخًا، كما تقدم.

قال جعفر بن نصير رضي الله تعالي عنه: «دفع إلي الجنيد درهمًا وقال: اشتر به التين الوزيري، فاشتريته، فلما أفطر أخذ واحدة ووضعها في فمه ثم ألقاها، وبكي، وقال: احمله!! فقلت له في ذلك، فقال: هتف بي هاتف أما تستحي شهوة تركتها من أجله ثم تعود إليه!

وقال عتبة الغلام لعبد الواحد بن زيد رضي الله تعالي عنهما: إن فلانًا يصف من قلبه منزلة ما أعرفها. قال: لأنك تأكل مع خبزك تمرًا وهو لا يزيد علي الخبز شيئًا. فقلت: إن كنتُ تركتُ أكل التمر عرفتُ تلك المنزلة؟ قال: نعم وغيرها. فأخذ يبكي، فقال له بعض أصحابه: لا أبكي الله عينيك، أعلي التمر تبكي؟ فقال عبد الواحد: دعه فإن نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك، هو إذا ترك شيئًا لم يعاود فيه أبدًا».

وقال أحمد بن الجواري: «اشتهي أبو سليمان الداراني، رضي الله تعالي عنه، رغيفًا حارًا بملح فجئت به إليه، فعض منه عضةً، ثم طرح الرغيف، وقال: عجلت إلي شهوتي بعد إطالة جهدي وشقوتي، قد عزمت علي التوبة فاقبلني، قال أحمد: فما رأيته أكل الملح حتي لقي الله تعالي».

قال أبو تراب النخشبي رضي الله عنه: «ما تمنت نفسي شهوة من الشهوات إلا مرّة واحدة، تمنت خبزًا وبيضًا وأنا في سفر، فعدلت إلي قرية، فقام واحد وتعلق بي وقال: هذا كان مع اللصوص، فضربوني سبعين درةً، ثم عرفني رجل منهم، فقال:

هذا أبو تراب النخشبي، فاعتذروا إلي، فحملني رجل منهم إلي منزله، وقدم لي خبزًا وبيضًا، فقلت في نفسي: كلي، بعد سبعين درةً».

وقال بعضهم: اشتهي أبو الخير العسقلاني، رضي الله تعالي عنه، السمك سنين ثم ظهر له ذلك من موضع حلال، فلما مد يده إليه ليأكل دخلت شوكة من عظامه أصبعه، فذهبت في ذلك يده، فقال: «يا رب، هذا لمن مد يده بشهوة إلي حلال فكيف بمن مد يده بشهوة إلي حرام؟» (١).

كما رووا عن أبي الخير الأقطع أنه «عقد مع الله عقدًا أن لا يمد يده إلي شيء مما تنبت الأرضة بشهوة، فنسي وتناول عنقودًا من شجرة البطم، فبينما هو يلوكه إذ تذكر العقد فرمي بالعنقود وبقي ما في فمه، فبصقه وجلس نادمًا. قال: فما استقر بي الجلوس حتي دار بي فرسان ورجال وقالوا: قم. فساقوني إلي أن أخرجوني إلي ساحل بحر إسكندرية! فرأيت هناك أميرًا وبين يديه سودان قد قطعوا الطريق فوجدوني أسود اللون ومعي ترس وحربة فقالوا: هذا منهم بلا شك، فقطع أيديهم وأرجلهم إلي أن وصل إلي فقال لي: قدم يدك، فمددتها ثم رفعت رأسي وقلت: إلهي وسيدي ومولاي، يدي جنت فرجلي ماذا صنعت؟

فدخل عليه فارس ورمي بنفسه علي الأمير وقال: هذا رجل صالح يعرف بأبي الخير التيناتي، فرمي الأمير نفسه إلي الأرض وأخذ يدي المقطوعة من الأرض يقبلها، وتعلق بي يبكي ويعتذر إلي، فقلت له: جعلتك في حل من أول ما قطعتها، وقلت: يد جنت فقطعت (٢).

فهكذا حرم الصوفية علي أنفسهم أكل الطيبات وابتعدوا عنها زعمًا منهم أن هذا الصنيع سيقربهم إلي الله تعالي، وأني لهم ذلك.

هذا وكتب السهرودي أن الصوفية عودوا أنفسهم بتقليل المطعم حتي رد بعضهم نفسه إلي أقل قوتها، فيقول:

---

(١) غيث المواهب العلية للنفزي الرندي ص ٢٠١ وما بعد.

(٢) انظر طبقات الشعراني ج١ ص١٠٩، خزينة الأصفياء ص١١٠ ط باكستان.

ومن الصالحين من كان يعير القوت بنوي التمر وينقص كل ليلة نواة.

ومنهم من كان يعير بعود رطب، وينقص كل ليلة نواة.

ومنهم من كان يعير بعود رطب وينقص كل ليلة بقدر نشاف العود.

ومنهم من كان ينقص كل ليلة ربع سبع الرغيف حتي يفني الرغيف من شهر(١).

ونقل كذلك عن الزاهد خيلفة أنه كان يأكل من كل شهر لوزة(٢).

وروي النفزي الرندي عن بعضهم أنه مكث خمسين سنة، لم يزد علي زبيبة كل يوم(٣).

وحكي النبهاني في كتابه عن سهل أنه كان قوته في السنة بدرهم شعير بغير ملح ولا أدم(٤).

وهذا كله رغم ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما يخالف صنيعهم، ويعارض طريقهم حيث قال الرب تبارك وتعالي في كلامه:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾(٥).

وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب الحلواء والعسل(٦).

وعن عبد الله بن جعفر أنه قال: «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يأكل الرطب بالقثاء»(٧).

وعن عمرو بن أمية: أنه رأي النبي صلى الله عليه وسلم يحتز من كتف شاة في يده، فدعي إلي الصلاة فألقاها والسكين التي يحتز بها، ثم قام فصي، ولم يتوضأ(٨).

وعن أنس: أن خياطًا دعا النبي صلى الله عليه وسلم لطعام صنعه، فذهبت مع

(١) عوارف المعارف للسهروردي ص ٢٢٣.

(٢) أيضًا.

(٣) غيث المواهب العلية للنفري الرندي ج١ ص ١٥٠.

(٤) جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج٢ ص١١٥ ط دار صادر بيروت.

(٥) آية ٣٢ - الأعراف.

(٦) رواه البخاري عن عائشة ل.

(٧) متفق عليه.

(٨) متفق عليه.

النبي صلى الله عليه وسلم فقرب خبز شعير ومرقًا فيه دبّاء وقديد، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة، فلم أزل أحب الدباء بعد يومئذ[١].

وعن جابر: أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أهله الأدم فقالوا: ما عندنا إلا خلّ، فدعا به، فجعل يأكل به ويقول: «**نعم الأدام الخل، نعم الأدام الخل**»[٢].

وعن أبي أيوب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتي بطعام أكل منه وبعث بفضله إلي[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه **قال**: «أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها[٤].

وعن ابن عباس قال: «كان أحب الطعام إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم الثريد من الخبز، والثريد من الحيس»[٥].

وعن أبي أسيد الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**كلوا الزيت وادهنوا به، فإنه من شجرة مباركة**»[٦].

وعن عائشة: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأكل البطيخ بالرطب[٧].

وعن ابني بسر السلميين، قالا: دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمنا زبدًا وتمرًا، وكان يحب الزبد والتمر[٨].

وعن عكراش بن ذؤيب، قال: أتينا بجفنة كثيرة الثريد والوذر، فخبطت بيدي في نواحيها، وأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه، فقبض بيده اليسري علي يدي اليمني ثم قال: «**يا عكراش، كل من موضع واحد فإنه طعام واحد**»، ثم أتينا بطبق

(١) متفق عليه.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه الترمذي وابن ماجة.
(٥) رواه أبو داود.
(٦) رواه الترمذي وابن ماجة والدارمي.
(٧) رواه الترمذي.
(٨) رواه أبو داود.

فيه ألوان التمر، فجعلت آكل من بي يدي، وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطبق، فقال: «**يا عكراش: كل من حيث شئت، فإنه غير لون واحد**»[١].

وعن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل علي رجل من الأنصار ومعه صاحب له، فسلم فرد الرجل وهو يحول الماء في حائط، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن كان عندك ماء بات في شنه وإلا كرعنا**»؟

فقال: عندي ماء بات في شنّ، فانطلق إلي العريش فسكب في قدح ماء، ثم حلب عليه من داجن، فشرب النبي صلى الله عليه وسلم ثم أعاد فشرب الرجل الذي جاء معه[٢].

وعن الزهري عن عروة عن عائشة، قالت: كان أحب الشراب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلو البارد[٣].

وعن عائشة قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعذب له الماء من السقيا. قيل: هي عين بينها وبين المدينة يومان[٤].

وعن أنس، قال: لقد سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدحي هذا الشراب كله العسل والنبيذ والماء واللبن[٥].

وعن عائشة، قالت: كنا ننبذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في سقاء يوكأ أعلاه، وله عزلاء، ننبذ غدوة فيشربه عشاء، وننبذ عشاء فيشربه غدوة[٦].

وأخيرًا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«**المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف**»[٧].

---

(١) رواه الترمذي.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه الترمذي.
(٤) رواه أبو داود وصححه الألباني.
(٥) رواه مسلم.
(٦) رواه مسلم.
(٧) رواه مسلم وابن ماجة.

وخير ما ورد في هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وجد أكل وشرب وشكر، وإذا لم يجد ما يأكل ويشربه فصبر، ولم يكن يرد موجودًا كما لم يكن يتكلف مفقودًا، وما أحسن ما كتبه الحافظ ابن قيم الجوزية رحمه الله عن هديه صلى الله عليه وسلم وسيرته في الطعام فقال:

«كان هديه صلى الله عليه وسلم وسيرته في الطعام لا يرد موجودًا ولا يتكلف مفقودًا فما قرب إليه شيء من الطيبات إلا أكله إلا أن تعافه نفسه فيتركه من غير تحريم وما عاب طعامًا قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه كما ترك أكل الضب لما لم يعتده ولم يحرمه علي الأمة بل أكل علي مائدته وهو ينظر وأكل الحلوي والعسل وكان يحبهما وأكل لحم الجزور والضأن والدجاج ولحم الحباري ولحم الوحش والأرنب وطعام البحر وأكل الشوي وأكل الرطب التمر وشرب اللبن خالصًا ومشوبًا والسويق والعسل بالماء وشرب نقيع التمر وأكل الخزيرة وهي حساء يتخذ من اللبن والدقيق وأكل القثاء بالرطب وأكل الأقط وأكل التمر بالخبز وأكل الخبز بالخل وأكل الثريد وهو الخبز باللحم وأكل الخبز بالأهالة وهي الودك وهو الشحم المذاب وأكل من الكبد المشوية وأكل القديد وأكل الدباء المطبوخة وكان يحبها وأكل المسلوقة وأكل الثريد بالسمن وأكل الجبن وأكل الخبز بالزيت وأكل البطيخ بالرطب وأكل التمر بالزبد وكان يحبه ولم يكن يرد طيبًا ولا يتكلفه بل كان هديه أكل ما تيسر فإن أعوزه صبر حتي أنه ليربط علي بطنه الحجر من الجوع ويري الهلال والهلال والهلال ولا يوقد في بيته نار وكان معظم مطعمه يوضع علي الأرض في السفر وهي كانت مائدته وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقها إذا فرغ، وهو أشرف ما يكون من الأكلة، فإن المتكبر يأكل بإصبع واحد، والجشع الحريص يأكل بالخمس ويدفع بالراحة، وكان لا يأكل متكئًا[1]».

ولكن القوم عكسوا الموضوع فحرموا ما أحل الله، وتعنتوا وتطرفوا في ترك الطعام والشراب، وأسسوا أسسًا وأصلوا قواعد لا وجود لها في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في سيرة أصحابه خيار خلق الله وأبرار هذه الأمة المغفورة لها،

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية ج١ ص٣٧.

لم يأخذوها إلا من البراهمة ورهبنة النصاري[١].

ومن تطرفات القوم وتعنتهم في هذا أيضًا ما رواه الغزالي أن مالك بن دينار مرض مرضه الذي مات فيه، فاشتهي قدحًا من العسل واللبن ليثرد فيه رغيفًا حارًا، فمضي الخادم وحمل إليه، فأخذه مالك بن دينار، ونظر فيه ساعة وقال: يا نفس قد صبرت ثلاثين سنة، وقد بقي من عمرك ساعة، ورمي القدح من يديه، وصبر نفسه ومات[٢].

فهل هذا من الدين يا تري، وهل هذا هو الزهد الذي يدندنون حوله ويطبلون؟

ولقد روي القشيري مثل هذا عن بشر بن الحارث «أنه اشتهي الباقلاء سنين فلم يأكله فرؤي في المنام بعد وفاته فقيل له: ما فعل الله بك؟

قال: فغفر لي، وقال (أي الرب): كل يا من لم يأكل، واشرب يا من لم يشرب[٣].

وقبله السلمي روي طبقاته عن بشر هذا أنه قال:

«إني لأشتهي الشواء منذ أربعين سنة، فما صفا لي درهمه.

وقال له رجل: لا أدري بأي شيء آكل خبزي؟

فقال له: اذكر العافية واجعلها أدامك.[٤]

وروي ابن الملقن ابن أبي عبد الله المغربي المتوفي ٢٩٩هـ أنه مكث سنين كثيرة لا يأكل ما وصلت إليه أيدي بني آدم[٥].

وذكر الكمشخانوي أن أبا تراب النخشبي كان يأكل من البصرة إلي مكة أكلة واحدة[٦].

---

(١) انظر تفصيل ذلك وأدلته في كتابنا «التصوف: المنشأ والمصادر» الباب الثاني ط إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان.

(٢) مكاشفة القلوب إلي علام الغيوب لأبي حامد الغزالي ص ١٥ ط الشعب القاهرة.

(٣) الرسالة القشيرية ج١ ص٧٦، أيضًا روضة التعريف للسان الدين بن الخطيب ص٥٣٩ ط دار الفكر العربي.

(٤) طبقات السلمي ص ١٤ ط مطابع الشعب ١٣٨٠ هـ، أيضًا طبقات الأولياء لابن الملقن المتوفي ٨٠٤ هـ مكتبة الخانجي القاهرة.

(٥) طبقات الأولياء لابن الملقن ص ٤٠٣.

(٦) جامع الأصول في الأولياء للكمشخانوي ص ١٦٤.

وقال الشعراني:

«راضي الصوفية أنفسهم بالجوع حتي صارت تصبر علي الطعام أربعين يومًا وأكثر، وبعضهم حج من مصر بأربعة أرغفة حملها معه أكل في كل ربع من الطريق رغيفًا، وبعضهم حج برغيفين، رغيف أكله بمكة ورغيف أكله في العقبة، وبعضهم أكل في مصر من يوم خروج الحجاج فلم يأكل شيئًا حتي رجع مصر»[١].

والصوفي الفارسي الباخرزي المتوفي سنة ٧٣٦هـ كتب أن المشايخ قالوا:

«لا تأكل ما تشتهي، وإن تأكل لا تطلبه، وإن تطلبه لا تتزين به، وقالوا: ما فوق الخبز فهو شهوة ولو كان ملحًا، ولكن البعض يقولون: أن الخبز من كبري المشتهيات، وأعلاها اللحم والحلوي، وأدناها الملح والخل»[٢].

ونقل ابن عجيبة الحسني عن سهل التستري أنه قال:

«لأن أترك من عشائي لقمة أحب إلي من قيام ليلة»[٣].

ونقل العطار عن سري السقطي أنه كان يقول:

«منذ أربعين سنة تتمني نفسي شرب العسل ولكني لم أجبها»[٤].

وعلي ذلك يتركون التكسب ويرونه من المبغضات بل المنكرات والمحرمات، ويأمرون بالتسول والاستجداء أو الكسل والخمول مع أنه من سنة رسول الله وسنة خلفائه الراشدين المهديين بعده، الذين أمر المؤمنين باقتدائه واتباع سنتهم، وهو سنة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عامة إلا من أعوزه الفقر أو أقعدته الملمات.

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة لا تعد لا تحصي، نذكر منها ما رواه المقداد بن معد يكرب أنه قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من**

---

(١) درر الغواص للشعراني ص ٩٥ من هامش الأبريز للدباغ ط مصر.

(٢) أوراد الأحباب وفصوص الآداب (فارس) لأبي المفاخر يحيي الباخرزي بتحقيق إيرج أفشار ص ٢٣٣ ط جامعة طهران ١٩٦٦م.

(٣) الفتوحات الإلهية لابن عجيبة الحسني ص١٣٤.

(٤) تذكرة الأولياء لفريد الدين عطار ص ١٥٣ ط لاهور.

عمل يديه، وأن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يديه»[١].

وروت عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«إن أطيب ما أكلتم، من كسبكم، وأن أولادكم من كسبكم»[٢].

وقال صلى الله عليه وسلم:

«إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وولده من كسبه»[٣].

وعن رافع بن خديج أنه قال:

«قيل: يا رسول الله، أي الكسب أطيب؟

قال: **«عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور»**[٤].

وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء»[٥].

وأخيرًا ما رواه الزبير بن العوام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«لأن يأخذ أحدكم حبلة فيأتي بحزمة حطب علي ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس، أعطوه أو منعوه»[٦].

وفي هذا المعني ما رواه أبو داود وابن ماجة أن رجلاً من الأنصار أتي النبي صلى الله عليه وسلم يسأله، فقال: **«أما في بيتك شيء؟»**.

فقال: بلي، حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه من الماء. قال: **«ائتني بهما»**، فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وقال: **«من يشتري هذين؟»**

قال رجل: أنا آخذهما بدرهم، قال: **«من يزيد علي درهم؟»** مرتين أو ثلاثًا، قال

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة.

(٣) رواه أبو داود ومثله في الدارمي.

(٤) رواه أحمد.

(٥) رواه الترمذي والحاكم والدارمي واللفظ له.

(٦) رواه البخاري.

رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه. فأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري، وقال: «**اشتر بأحدهما طعامًا فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدومًا، فأتني به**»، فأتاه به، فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عودًا بيده، ثم قال: «**اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة عشر يومًا**»، فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاءه وقد أصاب عشرة دراهم فاشتري ببعضها ثوبًا، وببعضها طعامًا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة**».

إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مقطع، أو لذي دم موجع[١].

وعن أبي سعيد أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«**رن الله يحب العبد التقي الغني الخفي**»[٢].

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«**لا حسد إلا في اثنتين رجل أعطاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل أعطاه الله مالاً فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار**»[٣].

وعن أبي مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«**إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة**»[٤].

وعن أبي هريرة قال: يا رسول الله، أي الصدقة أفضل؟

قال: «**جهد المقل وأبدأ بمن تعول**»[٥].

فهذا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عنه في فضل الكسب والمتكسب، وهو أزهد العالمين وأتقاهم لله، وقد أقر بذلك الطوسي حيث قال:

(١) مشكاة المصابيح ج١ ص ٥٨١.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه أبو داود.

«إن التكسب من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونقل عن سهل بن عبد الله أنه قال: من طعن علي الاكتساب فقد طعن علي السنة، كما نقل عن عبد الله بن المبارك أنه كان يقول: لا خير فيمن لا يذوق ذل المكاسب.

وأيضًا: «مكاسبك لا تمنعك عن التفويض والتوكل إذا لم تضيعهما في كسبك»[(١)].

ولكن المتصوفة يقولون عكس ما قاله الرسول وما أمر به وما ورد في كتاب الله، فيقولون: «من طلب معاشًا فقد ركن إلي الدنيا»[(٢)].

وأبو نصر السراج الطوسي الذي أقر بكون التكسب سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي نقل عن ذي النون المصري أنه قال:

«إذا طلب العرف المعاش فهو لا شيء»[(٣)].

كما ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمر أصحابه بطلب المعاش[(٤)].

ظنًا منه بأن «التكسب رخصة وإباحة لمن لم يطق حال التوكل»[(٥)].

وهذا غلط وفاسد لأن التوكل ليس معناه الترك، بل معناه الجد والعزم، ثم الاعتماد علي الله بأنه وحده يثمر الجهود ويقللها من النجاح، لا الإنسان. وهذا معني قوله ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[(٦)].

ولكن ابن محمد الشطا الدمياطي يقول:

«اترك الكسب حال كونك متجردًا عن الأهل والأولاد»[(٧)].

وذكروا عن ابن السماك أنه كان يقول:

«لا تشتغل بالرزق المضمون عن العمل المفروض، وكن اليوم مشغولاً بما أنت

---

(١) انظر كتاب اللمع للطوسي ص ٩٥٢ ط دار الكتب الحديثة ١٩٦٠م.

(٢) عوارف المعارف للسهروردي ص ١٦٥.

(٣) كتاب اللمع للطوسي ص١٦٢.

(٤) أيضًا ص ١٨٤.

(٥) أيضًا ص ٥٢٤.

(٦) سورة آل عمران الآية ١٥٩.

(٧) كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء لأبي بكر محمد الشطا الدمياطي ط دار الكتب العربية مصر.

عليه مسؤول غدًا، وإياك والفضول فإن حسابها يطول».

إني علمـــت وخـــير العلـــم أنفعـــه ... إن الذي هو من رزقـي سـوف يـأتيني

أســـعي إليـــه فيعيينـــي تطلبـــه ... ولـــو قعـــدت أتـــاني لا يعـــديني[(١)]

وحكوا في كتبهم عن أويس القرني أنه لقيه هرم بن حبان علي شاطيء الفرات يغسل كسرًا وخرقًا قد التقطها من المنبوذ، وكان ذلك أكله ولباسه. قال: فسألته عن الزهد أي شيء هو؟

فقال: في أي شيء خرجت؟

قلت: أطلب المعاش، فقال: إذا وقع الطلب ذهب الزهد[(٢)].

وذكر السهروردي عن أبي يزيد البسطامي أنه قيل له: ما نراك تشتغل بالكسب؟ فمن أين معاشك؟

فقال: مولاي يرزق الكلب والخنزير تراه لا يرزق أبا يزيد[(٣)].

ويقول السهروردي أيضًا:

«إذا كمل شغل الصوفي بالله وكمل زهده لكمال تقواه بحكم الوقت عليه يترك التسبب[(٤)].

ونقل عبد الرحمن الجامي الصوفي الفارسي الكبير عن إبراهيم بن أدهم: أنه قال لشخص أتريد أن تكون وليًّا من أولياء الله؟

فقال: نعم.

فقال له: لا ترغب في شيء من الدنيا والآخرة[(٥)].

وذكر الفيتوري عن فتح الله بوراس القيرواني أنه كان من أهل التوكل ولا يكتسب من الدنيا شيئًا، ولا قبضت يده منجلاً يحصد به الزرع، ولا جعل محراثًا يحرث في أرض

(١) شرح كلمات الصوفية جمع وتأليف محمود الغراب ص ١٤٠ ط القاهرة ١٤٠٢هـ.

(٢) قوت القلوب لأبي طالب المكي ص ٢٦٧.

(٣) عوارف المعارف للسهروردي ص ١٥٩، أيضًا كفاية الأتقياء للدمياطي ص ٢٨.

(٤) عوارف المعارف للسهروردي ص ١٥٣.

(٥) نفحات الأنس للجامي ص ٦ طبعة فارسية إيران ١٣٣٧ هجري قمري.

بادية ولا حاضرة ولا وجبت عليه زكاة الفطر قط[١].

وقال ابن عجيبة الحسني:

"التصوف مبني علي ثلاث خصال: التمسك بالفقر والافتقار، والتحقق بالبذل والإيثار، وترك التدبير والاختيار... والصوفي الصادق علامته أن يفتقر بعد الغني، ويذل بعد العز، ويخفي بعد الشهرة[٢].

ونقل الجامي عن إبراهيم الهروي أنه قال:

«من أراد أن يبلغ كل الشرف فليختر سبعًا علي سبع: الفقر علي الغني، والجوع علي الشبع، والدون علي المرتفع، والذل علي العز، والتواضع علي الكبر، والحزن علي الفرح، والموت علي الحياة[٣].

ومثله في غيث المواهب[٤].

وكتب فريد الدين عطار حكاية عن إبراهيم بن أدهم أنه قال لأحد أثناء طوافه حول الكعبة لا تصلح أن تعد في الصالحين ما لم تغلق علي نفسك باب العز والغني، وتفتح باب الذل والفقر[٥].

فهكذا أعرض الصوفية عن التكسب والأشغال بطلب الرزق بظن منهم أن هذه هي تعاليم الإسلام - وحاشاه من ذلك - وهكذا حثوا الناس علي التمسك بالفقر والذل، واختيار الخمول والكسل.

هذا، ومن تطرفات المتصوفة التعري وتعذيب النفس والجسم، ولقد ذكرنا منها روايات وحكايات عديدة في كتابنا «التصوف: المنشأ والمصادر»[٦].

ونورد ههنا في بيان تقشفهم وغلوهم في ترك الطيبات التي أحلها الله لعباده،

---

(١) الوصية الكبري لعبد السلام الأسمر الفيتوري ص ٧٤ ط مكتبة النجاح طرابلس ١٩٧٦ م.

(٢) إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة الحسني ص٤ ط البابي الحلبي القاهرة ١٩٨٢م.

(٣) نفحات الأنس للجامي ص٤٥.

(٤) انظر غيث المواهب العلية للنفزي الرندي ص٢٠٠.

(٥) تذكرة الأولياء لفريد الدين عطار أردو ص ٦١ ط بكستان.

(٦) انظر الباب الثاني.

وأخرجها للمؤمنين، وتزين بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتلامذته الراشدون. فيذكر ابن الملقن:

قال بعض الصوفية: «دخلت علي بشر في علته، فقلت: عظني.

فقال: إن في هذه الدار نملة، تجمع الحب في الصيف لتأكله في الشتاء، فلما كان يومًا أخذت حبة في فمها، فجاء عصفور فأخذها، فلا ما جمعت أكلت، ولا ما أملت نالت»[١].

ونقل الكلاباذي عن أبي المغيث وهو يذكر مجاهدته، فيقول:

كان لا يستند ولا ينام علي جنبه، وكان يقوم الليل، وإذا غلبته عينه قعد، ووضع جبينه علي ركبتيه فيغفو غفوة»[٢].

وهذا مع ذكر الرب تعالي المؤمنين في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾[٣].

وأما نجم الدين الكبري المتوفي ٦١٨هـ فقد كذب علي عيسي عليه السلام حيث قال: «أنه كان نائمًا متوسدًا بلبنة، فهب من منامه فإذا اللعين عند رأسه، فقال له: ما جاء بك إلي؟

فقال: طمعت فيك، فقال: يا ملعون أنا روح الله كيف تطمع في؟

قال: أنك أخذت قماشي فطمعت فيك، قال: وما ذاك القماش؟

قال: هذه اللبنة تحت رأسك، فرماها عيسي عليه السلام حتي فارقه»[٤].

وذكر الطوسي عن ابن الكريني - وكان أستاذ الجنيد - أنه أصابته جنابه ليلة من الليالي، وكانت عليه مرقعة ثخينة غليظة، فجاء إلي الشط ليلة، وكان برد شديد، فحزنت نفسه عن الدخول في الماء لشدة البرد، قال: فطرح نفسه في الماء مع المرقعة، ولم

---

(١) طبقات الأولياء لابن الملقن ص ١١٦ ط مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٧٣م.

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف لأبي بكر الكلاباذي ص١٧٥ ط مكتبة الكليات الأزهرية.

(٣) سورة آل عمران الآية ١٩١.

(٤) فوائح الجمال وفواتح الجلال لنجم الدين الكبري ص ١٥ ط بتصحيح المستشرق الألماني الدكتور فريتزمائر ط ويسبادن ألمانيا ١٩٥٧م.

يزل يغوص في الماء مع مرقعته ثم خرج من الماء، وقال: اعتقدت أن لا أنزعها من بدني حتي تجف علي، قال فلم تجف عليه شهرًا كاملاً، وأراد بذلك تأديبًا لنفسه[١].

وهل هذا تأديب أو تعذيب؟

وذكر الصوفي الهندي اللاهوري عن يوسف الأسباط أنه كان من أولياء الله الكبار، قد مكث عريانًا أربعين سنة لم يكن يضع علي جسمه شيئًا إلا قطعة من المسوح ما يستر بها عورته[٢].

ومنها ما ذكروه عن الشيخ الشرياني القصوري أنه تعري وتجرد عن الثياب ومكث متعريًا صيفًا وشتاء إلي أن أدركه الموت، وكان مع ذلك يصطلي نارًا ليلاً ونهارًا في الصيف المحرق والشتاء المبرد[٣].

ومثله الآخر ذكره كل حسن القادري في التذكرة الغوثية[٤].

ونقل العطار عن الجنيد أن رجلاً شكي إليه الجوع والتعري، فقال: أجاعك الله وعراك، لأن الجوع والتعري من نعم الله، لا يرزقها إلا لعباده المقربين[٥].

وذكر الطوسي عن حسن الفزار الدينوري أنه حج اثنتي عشرة حجة حافيًا، مكشوف الرأس، فكان إذا دخل في رجله شوك يمسح رجله بالأرض ويمشي[٦].

مع ورود النهي عن النبي صلى الله عليه وسلم في مثل ذلك حيث روي ابن عباس أنه:

جاء رجل إلي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن أختي نذرت أن تحج ماشية. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن الله لا يصنع بشقاء أختك شيئًا، فلتحج راكبة، وتكفر عن يمينها**»[٧].

---

(١) كتاب اللمع لطوسي ص١٩٨.

(٢) انظر خزينة الأصفياء لغلام سرور اللاهوري ص٣٦.

(٣) تذكرة أولياء بر صغير لميرزة الدهلوي ج٤ ص١٠٢ ط باكستان.

(٤) انظر تذكرة غوثيه ص ٢٩١ ط تجلي بريس دلهي.

(٥) تذكرة الأولياء للعطار ص١٨٩.

(٦) كتاب اللمع للطوسي ص ٢٢٣.

(٧) رواه أبو داود.

وفي هذا المعني روي عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأي رجلاً يهادي بين ابنيه، فسأل عنه؟

فقالوا: نذر أن يمشي، فقال: «**إن الله لغني عن تعذيب هذا نفسه**» وأمره أن يركب(١).

هذا ويذكر الدريني عن صوفي مشهور ملقب بمسروق أنه حج فما نام قط إلا ساجدًا(٢). أهذه مفخرة أم زيادة علي الكتاب والسنة؟

وأين هذا من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم كما ذكره النفزي أيضًا في كتابه حيث روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«**إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه**» رواه البخاري(٣).

وأما تطرفهم في سهر الليالي وقلة النوم فيذكر الهجويري عن أبي الفوارس شاه بن شجاع الكرماني أنه ورد في آثاره أنه لم ينم لأربعين عامًا، وعندما نام رأي الله سبحانه وتعالي في النوم، فقال: يا إلهي، كنت أطلبك بسهر الليالي فرأيتك في النوم.

فقال: يا شاه، لقد أدركت في النوم بغيتك بسهرك الليل، ولو كنت نمت هناك لما رأيت هنا(٤).

وحكي مثل ذلك الغزالي عن وهب بن منبه أنه دعا الله أن يرفع عنه النوم بالليل، فذهب عنه النوم أربعين سنة(٥).

مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينام ويسهر، ويعمل ويستريح، وأصحابه كذلك. وأن الله عز وجل قال:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتًا﴾(٦).

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) انظر طهارة القلوب لعبد العزيز الدريني ص١٦١ ط مصطفي البابي الحلبي.

(٣) انظر غيث المواهب العلية ج٢ ص ١٦٨.

(٤) كشف المحجوب للهجويري ص ٣٥٠ ترجمة عربية ط بيروت، أيضًا تذكرة الأولياء للعطار ص١٦٩.

(٥) مكاشفة القلوب للغزالي ص ٣٠ ط الشعب القاهرة.

(٦) سورة الفرقان الآية ٤٧.

ولكن الصوفية يروون عن مشائخهم أنهم لم يكونوا ينامون الليل ويقطعونه في الذكر والتلاوة كما ذكر ابن عجيبة الحسني:

«وقد كان منهم من يقطع الليل كله في ركعة، ويختم القرآن في كل ليلة»(١).

ويحكي عبد السلام الفيتوري عن نفسه أنه يسبح سبعين ألفًا وباسم الجلالة خمسمائة ألف في كل يوم وليلة، ويختم القرآن قبل أن يستقر الضيا(٢).

وبقطع النظر عن عدم وقوع هذا عقلاً كره الرسول صلى الله عليه وسلم ختم القرآن في أقل من ثلاث حيث قال:

«لم يفقه من قرأ في أقل من ثلاث»(٣).

ولكن القوم جعلوا الغلو والمغالاة من أصول الولاية والكرامة مسفّهين العقل. فينقل المتوفي الحسيني عن عبد الفتاح الشبلنجي الشاذلي أنه كان يصلي مائة وثمانين ركعة تهجدًا كل ليلة، ويقرأ نصف القرآن كل نهار مع سبعين ألفًا علي المسبحة من أوراد وأذكار شتي(٤).

ونقل عن بعضهم أنه أدعي:

«أنا منذ ثلاثين سنة أصوم وأقوم الليل»(٥).

ونقل الجامي عن الجنيد أنه قال:

«ما رأيت أعبد من السري أتت عليه سبعون سنة ما رؤي مضطجعًا إلا في علة الموت»(٦).

ونقل القوم عن عطاء السلمي أنه كان إذا جنه الليل يخرج إلي المقابر فلا يزال

---

(١) إيقاظ الهمم لابن عجيبة ص ٤٦٠.
(٢) الوصية الكبري للفيتوري ص ٦٦.
(٣) رواه الترمذي وأبو داود والدارمي وصححه الألباني.
(٤) انظر جمهرة الأولياء للمنوفي الحسيني ج٢ ص٢٧٤ط مؤسسة الحلبي القاهرة.
(٥) إيقاظ الهمم لابن عجيبة الحسني ص٣٦.
(٦) نفحات الأنس للجامي ص٥٣.

يناجيهم إلي الفجر[١].

وذكر الشعراني عن الربيع أنه كان يخرج إلي المقابر ويحيي الليل كله هناك[٢].

ونقل الهجويري عن النوري أنه ظل يصرخ لمدة ثلاثة أيام وليال في بيته واقفًا في مكان واحد[٣].

ولم يستحي الشعراني فيما نقل عن رابعة البصرية كانت تتوضأ كل ليلة وتتطيب وتقول لزوجها:

ألك حاجة؟ فإن قال: لا، قامت إلي الصباح[٤].

وقال الدريني:

«كان السلف الصالحون إذا بلغ أحدهم أربعين سنة طوي فراشه»[٥].

والحاصل أن الصوفية يفتخرون بكثرة التعبد وقيام الليل كله مع ورود النهي في محكم التنزيل لصفي الله ونجيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝﴾[٦].

وروي عبد الله بن عباس رضي الله عنه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخبر الأمة وترجمان القرآن، قال:

«بتّ عند خالتي ميمونة ليلة، والنبي صلى الله عليه وسلم عندها، فتحدّث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهله ساعة، ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الآخر أو بعضه قعد، فنظر إلي السماء فقرأ ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝﴾ حتي ختم السورة، ثم قام إلي القربة فأطلق شناقها ثم صبّ في الجفنة، ثم توضأ وضوءًا حسنًا بين الوضوءين، لم يكثر وقد أبلغ، فقام فصلّي،

---

(١) تنبية المغترين للشعراني ص ٣٤، ٣٥ ط.

(٢) الطبقات الكبري للشعراني ج١ ص ٢٨.

(٣) كشف المحجوب للهجويري ص ٣٤٤.

(٤) تنبيه المغترين للشعراني ص ٣٥.

(٥) طهارة القلوب لعبد العزيز الدريني ص ١٦١ ط. مصطفي البابي الحلبي.

(٦) سورة المزمل الآية ١ إلي ٤.

فقمت وتوضأت، فقمت عن يساره، فأخذ بأذني فأدارني عن يمينه، فتتامّت صلاته ثلاث عشرة ركعة، ثم اضطجع فنام حتي نفخ، وكان إذا نام نفخ، فآذنه بلال بالصلاة فصلي[١].

وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: «**أحب الصلاة إلي الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه. وينام سدسه**»[٢].

وهذا ومن تطرفات الصوفية وغلوهم في التعبد والتحنث ما نقلوه عن الجنيد أنه «كان يدخل كل يوم حانوته ويسبل الستر ويصلي أربعمائة ركعة ثم يعود»[٣].

وحكوا عن الآخر أنه كان يصلي كل يوم ألف ركعة[٤].

ونسب الشعراني إلي أويس القرني أنه قد فرض علي نفسه كل يوم ألف ركعة[٥].

وحكي العطار عن أبي يزيد البسطامي أنه كان يصلي أربع ركعات للعشاء، وكان إذا فرغ قال: إن هذا الصلاة غير مقبولة عند الله، وكان يعيدها، ثم إذا فرغ يعيدها، وهكذا يفعل حتي ينقضي الليل كله [٦].

فهل يا تري ألا يعد ذلك تجاوزا عما أمر الله به في كتابه وثبت عن رسول الله في سنته، أليس هذا هو معني التقدم بين يدي الله ورسوله المنهي عنه في كتاب الله العظيم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾[٧].

وأليست هذه الفروض والواجبات التي فرضوها وأوجبوها عن أنفسهم حسب ما ينقل القوم عنهم - والعهدة علي من نقل، والكلام علي ما نقل - مضاهاة للشارع والشرع أفلا يندرج كل هذا تحت وعبد الله عز وجل: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) الرسالة القشيرية ج١ ص١١٩، مكاشفة القلوب للغزالي ص٣٠، غيث المواهب العلية للنفزي الرندي ج١ ص٢٨٣.

(٤) تنبيه المغترين للشعراني ص١١٤ ط.

(٥) الطبقات الكبري لعبد الوهاب الشعراني ج١ ص٢٧.

(٦) تذكرة الأولياء لفريد الدين عطار ص ٩٤.

(٧) سورة الحجرات الآية ١.

ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾(١).

أو تحت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ»(٢).

فالحاصل من الحكايات والإدعاءات التي سردناها آنفًا أن الصوفية يريدون أن يثبتوا منها أن مشايخهم وأولياءهم ورؤساءهم كانوا قد وقفوا أنفسهم، ونذروا حياتهم للتعبد والتطوع ولم يكونوا يشتغلون بشيء من أمور الدنيا بل كان كل همهم الصيام والقيام، والذكر والسهر، والتسبيح والتهليل، والمجاهدات والرياضات، وإنها لرغبة عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وإعراض عن أسوته وقدوته واتباع سيرته كما روي ذلك عن أبي بردة أنه قال:

«دخلت امرأة عثمان بن مظعون علي نساء النبي صلى الله عليه وسلم فرأينها سيئة الهيئة، فقلت لها:

ما لك؟ فما في قريش رجل أغني من بعلك، قالت: ما لنا منه شيء، أما ليله فقائم، وأما نهاره فصائم فدخلن إلي النبي صلى الله عليه وسلم فذكرن ذلك له فلقيه فقال:

«يا عثمان، أما لك بي أسوة؟»

قال: بأبي وأمي أنت وما ذاك؟

قال: **«تصوم النهار وتقوم الليل»**. قال: إني لأفعل. قال: **«لا تفعل، إن لعينك عليك حقًا، وإن لجسدك عليك حقًا، وإن لأهلك عليلك حقًا، فصل ونم، وصم وأفطر»**(٣).

وعن أبي قلابة، بلغ به صلى الله عليه وسلم أن ناسًا من أصحابه احتموا النساء واللحم اجتمعوا، فذكرنا ترك النساء واللحم فأوعد فيه وعدًا شديدًا، وقال: لو كنت تقدمت فيه لفعلت. ثم قال: إني لم أرسل بالرهبانية، إن خير الدين الحنيفية السمحة(٤).

---

(١) سورة الشوري الآية ٢١.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه الدارمي.

واعترف بذلك ابن زروق أيضًا حيث قال:

«الأجر علي قدر الاتباع، لا علي قدر المشقة... والتشديد في العبادة منهي عنه كالتراخي عنها»(١).

ومن تطرفات الصوفية، وزيادتهم، وغلوهم وتعنتهم، ومبالغتهم في الخوف من الله تعالي كما ذكر صاحب «الأخلاق المتبولية» عن مشايخه أن كل واحد منهم يغلب عليه البكاء والخوف، فيصير يتمرّغ في الأرض كالطير المذبوح(٢).

وأيضًا: «الصوفية دائمًا يخافون أن يمسخ الله صورهم صورة كلب أو خنزير»(٣).

وقالوا: «ومن أخلاق الصوفية خوفهم أن الله تعالي يخسف بهم الأرض»(٤).

وذكر الكلاباذي والنفزي والشعراني وغيرهم عن السري السقطي أنه قال:

«إني لأنظر في المرآة كل يوم مرارًا مخافة أن يكون قد أسودّ وجهي»(٥).

ونقول عن الكرخي أنه قال:

«أخاف أن لا يقبلني فأفتضح»(٦).

وروي اليافعي عن أبي بكر الوراق أنه قال:

«ربما أصلي لله تعالي ركعتين فانصرف عنهما وأنا بمنزلة من ينصرف عن السرقة من الحياء»(٧).

والكلاباذي نقل عن الفضيل أنه قال:

«الناس مغفورون كلهم لو لا مكاني فيهم»(٨).

---

(١) قواعد التصوف لأحمد بن محمد زروق ص ٥٥، ٥٦ ط مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٦هـ.

(٢) انظر الأخلاق المتبولية لعبد الوهاب الشعراني ج١ ص١٤٩.

(٣) أيضًا ج ١ ص٤٤٢.

(٤) أيضًا ٤٤٢.

(٥) التعرف لمذهب أهل التصوف ص٧٠، أيضًا غيث المواهب ج١ ص١٣٤، أيضًا الأنوار القدسية للشعراني ج ٢ ص١٢.

(٦) الأنوار القدسية للشعراني ج ٢ ص٢١٢، الأخلاق المتبولية ج٣ ص١٥٣.

(٧) نشر المحاسن الغالية لليافعي ج١ ص ٣٨٣ بهامش جامع كرامات الأولياء ط دار رضا.

(٨) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص٧٠.

وحكي العطار عن فتح الموصلي أنه كان يبكي كثيرًا حتي جري الدم من عينيه، فسئل: لماذا هذا البكاء الشديد؟

قال:

خوفًا من الله(١).

ومثل ذلك نقل عنه ابن الملقن أيضًا حكاية عن أبي إسماعيل أنه قال:

«دخلت عليه يومًا، وقد مدّ كفّه يبكي، حتي رأيت الدموع من بين أصحابه تتحدر، فدنوت منه لأنظر إليه، فإذا دموعه قد خالطها صفرة، فقلت: بالله يا فتح، بكيت الدم؟

فقال: نعم، ولولا أنك حلفتني بالله ما أخبرتك. فقلت: علي ماذا بكيت الدموع ثم الدم؟

فقال: بكيت الدموع علي تخلفي عن واجب حق الله، وبكيت الدم بعد الدموع حزنًا ألا تكون قد صحت لي توبتي(٢).

وقال عماد الدين الأموي:

«حكي أن الحسن البصري أقام ثلاثين سنة لم يضحك».

وقيل: إن عطاء السلمي لم يضحك أربعين سنة، وهذا كان حال سائر عباد البصرة غلبت عليهم المخاوف فكان حالهم الحزن(٣).

وقد عدّ المتصوفة الحزن الدائم وعدم الضحك من علائم الخشية والتقوي مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو أتقي العالمين وأخشاهم لله - كان يضحك ويبتسم، وقد روي عن عبد الله بن الحارث أنه قال:

«ما رأيت أحدًا أكثر تبسمًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم»(٤).

(١) تذكرة الأولياء للعطار ص ١٥٧.

(٢) طبقات الأولياء لابن الملقن ص ٢٧٩.

(٣) حياة القلوب في كيفية الوصول إلي المحبوب لعماد الدين الأموي ص ١٥ بهامش قوت القلوب لأبي طالب المكي ط دار صادر بيروت.

(٤) رواه الترمذي.

وقد ذكر أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

«كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقًا، فأرسلني يومًا لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرجت حتي أمرّ علي صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: «**يا أنيس، ذهبت حيث أمرتك؟**».

قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله[١].

وعنه أيضًا، قال: كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة، ورجع نبي الله صلى الله عليه وسلم في نحر الأعرابي حتي نظرت إلي صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثّرت بها حاشية البرد من شدّة جبذته، ثم قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء[٢].

هذا ولقد حكي الصوفية عن أبي حفص أنه قال:

«منذ أربعين سنة أعتقد في نفسي أن الله ينظر إلي نظرة السخط»[٣].

ومن أطرف وأعجب ما نقلوا في ذلك هو ما حاكاه الشعراني عن العلاء بن زياد أنه ربما بكي سبعة أيام متوالية لا يذوق فيها طعامًا ولا شرابًا[٤].

فهذه هي شدة الصوفية وزيادتهم، تطرفهم ومغالاتهم في الخوف من الله تعالي، وما أحسن ما قاله شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية في هذا الخصوص:

«ومن خاف الله خوفًا مقتصدًا، يدعوه إلي فعل ما يحبه الله وترك ما يكرهه الله، من غير هذه الزيادة فحاله أكمل، وأفضل من حال هؤلاء، وهو حال الصحابة رضي الله عنهم ...

---

(١) رواه مسلم.
(٢) متفق عليه.
(٣) غيث المواهب العلية للنفزي الرندي ج١ ص ١٣٣ بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ط القاهرة.
(٤) الطبقات الكبري لعبد الوهاب الشعراني ج١ ص ٣٥.

وأفضل الطرق والسبل إلي الله ما كان عليه هو وأصحابه، ويعلم من ذلك أن علي المؤمنين أن يتقوا الله بحسب اجتهادتهم ووسعهم، كما قال الله تعالي: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم: «**وإذا أمرتكم فأتوا منه ما استطعتم**» فمن جعل طريق أحد من العلماء والفقهاء، أو طريق أحد من العبّاد والنسّاك أفضل من طريق الصحابة فهو مخطئ ضال مبتدع»[١].

وإن الصوفية قد تطرفوا في التوكل علي الله تعالي وقطع الأسباب، وإغلاق باب الوسائل، وترك التحرز والاحتياط، ففسروا التوكل بغير معناه الشرعي مما يخالف الكتاب والسنة، وعطلوا الجوارح عن العمل، وظنوا أن الحركة تنافي اليقين والتوكل، فآثروا الخمول والكسل علي الجد والعمل، ورجحوا الراحة والسكون علي الحركة والشغل كما نقل السلمي عن رويم بن أحمد البغدادي أنه قال:

«التوكل إسقاط رؤية الوسائط،والتعلق بأعلي العلائق»[٢].

ونقل عن الخواجه عبد الله الأنصاري الهروي أنه قال:

«التوكل هو إسقاط الطلب، وغض العين عن السبب اجتهادًا في تصحيح التوكل»[٣].

ومثل ذلك قال ابن عجيبة الحسني موضحًا للمصطلح الصوفي «التجريد»:

الـــشغل دون الكـــسب بالعبـــادة ... محـــض التوكـــل ورأي الـــسادة
ثـــم الـــسؤال آخـــر المكاســـب ... وهـــو بـــشرط الاضـــطرار واجـــب

الاشتغال بالعبادة والتجريد عن الأسباب من أعظم القرب عند الألباب، إذ لا يصفو الباطن من الأعيار ويملأ بالمعارف والأسرار إلا إذا تخلص الظاهر من كثرة الأكدار، ولا يتخلص من الأكدار إلا إذا تجرد من الأسباب واتكل علي الملك الوهاب[٤].

---

(١) رسالة الصوفية والفقراء لشيخ الإسلام ص ٢٠ ط دار الفتح القاهرة ١٤٠٤ هـ.
(٢) طبقات السلمي ص ٤٣ ط مطابع الشعب ١٣٨٠ هـ.
(٣) منازل السائرين للخواجه عبد الله الأنصاري المتوفى ٤٨١ هـ ص٧٦ ط.
(٤) الفتوحات الإلهية لابن عجيبة الحسني ص٢٣٤، ٢٣٥ ط عالم الفكر القاهرة.

ويشرح معني التوكل الصوفي أحمد الكمشخانوي حيث يكتب:

(وقال) الحسن أخو سنان: حججت أربع عشرة حجة حافيًا متوكلاً وكان يدخل في رجلي الشوك فلا أخرجه لئلا ينقض توكلي (وقيل) من ادعي التوكل ثم شبع فقد حمل زادًا وجاء جماعة من الشام إلي بشر الحافي فطلبوا منه أن يحج معهم فقال لهم نعم ولكن بثلاثة شروط أن لا نحمل معنا شيئًا ولا نسأل أحدًا شيئًا ولا نقبل من أحد شيئًا، فقالوا: أما الأول والثاني فنقدر عليه وأما الثالث فلا نقدر عليه، فقال: خرجتم تحجون متوكلين علي زاد الحجاج، (وقال) أبو حمزة الخراساني: حججت سنة فبينما أنا في الطريق إذ وقعت في بئر فطلبت مني نفسي أن أستغيث فلم أفعل فما تم هذا الخاطر حتي مر برأس البئر رجلان، فقال أحدهما لصاحبه: تعال حتي نسد رأس هذا البئر لئلا يقع فيها أحد فوافقه صاحبه فهممت أن أصيح، ثم قلت في نفسي: أصيح إلي من هو أقرب منهما ثم سكت حتي سدوا رأس البئر ومضوا فلما مضت ساعة سمعت حس شيء فتح رأس البئر ودلي رجله، وقال لي بلسان حاله تعلق برجلي فتعلقت بها فأخرجني فإذا هو سبع فتركني ومر فسمعت هاتفًا: يقول يا أبا حمزة كيف تري نجيناك من الهلاك بالهلاك (وقال) أبو سعيد الخراز: دخلت البادية مرة بغير زاد فأصابتني فاقة فرأيت المرحلة من بعيد فسررت بالوصول ثم فكرت في نفسي أنني سكنت إلي غير الله في توكلي فآليت أن لا أدخل المرحلة إلا أن أحمل إليها (وقال) إبراهيم الخواص: بينا أنا أسير في البادية إذ قال لي إعرابي: يا إبراهيم التوكل عندنا فأقم عندنا حتي يصح توكلك أما تعلم أن رجاءك لدخول بلد فيه أطعمة يحملك ويقويك اقطع رجاءك عن دخول البلدان وتوكل[1].

وإليكم الأن نصًّا مهمًّا في هذا الخصوص ذكروه عن أبي مدين، يتضح منه مفهوم التوكل الصوفي وهو: الهروب عن طلب الحلال والتكسب، واللجوء إلي الراحة والتعطل، والنص بتمامه كما يلي:

«الإمام أبو مدين عبد صالح إمام في التوحيد والتوكل كان ببجاية من بلاد

(١) جامع الأصول في الأولياء للكمشخانوي ص٢٤٣، ٢٤٤.

المغرب، وكان يقول بترك الأسباب التي يرتزق بها الناس، وكان قوي اليقين ويدعو الناس إلي مقامه والاشتغال بالأهم من عبادة الله، فترك الحرفة وجلس مع الله علي ما يفتح الله له وكان علي طريقة عجيبة مع الله في ذلك الجلوس فإنه كان يرد شيئًا يؤتي إليه به فقيل له: يا أبا مدين لم لا تحترف أو لم لا تقول بالحرفة أي في ترك الأسباب والأكل من الكسب وإنه الأفضل من غير الكسب، فقال: بها، فقيل له: فلم لا تحترف فقال: «الضيف عندكم إذا نزل بقوم وعزم علي الإقامة كم تواقيت زمان وجوب ضيافته عليهم قالوا: «ثلاثة أيام»، قال: «وبعد الثلاثة الأيام»، قالوا: «يحترف ولا يقعد عندهم حتي يحرجهم»، فقال رضي الله عنه : «ألستم تعلمون أن الضيف إذا نزل بقوم وجب بالنص عليهم القيام بحقه ثلاثة أيام إذا كان مقيمًا ولو أن الضيف في تلك الأيام أكل من كسبه أليس كان العار يلحق بالقوم الذين نزل بهم» فقالوا: «نعم» قال الشيخ: «الله أكبر أنصفونا إن أهل الله رحلوا عن الخلق ونزلوا بالله أضيافًا عنده فهم في ضيافة الله فنحن أضياف ربنا تبارك وتعالي نزلنا عليه في حضرته علي وجه الإقامة عنده إلي الأبد فتعينت الضيافة فإنه تعالي ما دل علي كريم خلق لعبده إلا كان هو أولي بالانصاف به فضيافتنا ثلاثة أيام» ثم قال «وأيام ربنا كما قال كل يوم كألف سنة مما تعدون فضيافته بحسب أيامه ونحن نأخذ ضيافته علي قدر أيامه فإذا أقمنا عنده ثلاثة آلاف سنة وإذا أكملت الثلاثة أيام الله من نزلنا عليه وانقضت لا نحترف ولا نأكل من كسبنا عند ذلك يتوجه اللوم واعتراضكم علينا وإقامة مثل هذه الحجة علينا ونحن نموت وتنقضي الدنيا ويبقي لنا فضلة عنده تعالي من ضيافتنا»[١].

ثم علق عليه المؤلف بقوله:

انظر يا أخي ما أحسن نظر هذا وما أعظم موافقته للسنة فلقد نور الله قلب هذا الشيخ، فحق الضيف واجب ولذلك استحسن ذلك منه المعترض وانظر من هذا النفس إن كنت منهم.

واتفق للشيخ وكان وقته التجريد وعدم الادخار أن نسي في جيبه دينارًا وكان كثيرًا

(١) شرح كلمات الصوفية جمع محمود محمود الغراب ص٢٧٧، ٢٧٨ط القاهرة ١٤٠٢هـ.

ما يرتب منقطعًا في جبل الكواكب وكانت هناك غزالة تأتي إليه فتدر عليه فيكون ذلك قوته فلما جاء إلي الجبل جاءت الغزالة وهو محتاج إلي الطعام فمد يده علي عادته إليها ليشرب من لبنها فنفرت عنه وما زالت تنطحه بقرونها وكلما مد يده إليها نفرت منه ففكر في سبب ذلك فتذكر الدينار فأخرجه من جيبه ورمي به في موضع فقده ولا يجده فجاءت إليه الغزالة وأنست به ودرت عليه[(١)].

ونقل العطار عن إبراهيم بن أدهم أنه قال:

«خرجت إلي البرية متوكلاً علي الله تعالي فما وجدت فيها شيئًا للأكل مدة طويلة، فخطر علي بالي أن أذهب إلي صديقي وآكل من عنده، فهتف بي هاتف: إن الله طهر الأرض من المتوكلين؟

قلت: ما هذا الصوت؟

ثم هتف هاتف: من أراد أن يأكل من بيت صديقه فليس بمتوكل[(٢)].

هذا وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل علي خلاف ذلك تمامًا، وفيه رد واف علي الفكرة الصوفية الباطلة المخترعة التي تناقض أسوة الرسول صلى الله عليه وسلم وحياته الطيبة المباركة فيروي أبو هريرة رضي الله عنه ويقول:

«خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال: «**ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟**».

قالا: الجوع. قال: «**وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا**»، فقاموا معه، فأتي رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحبًا وأهلاً. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أين فلان؟**».

قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء. إذ جاء الأنصاري فنظر إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله، ما أحد اليوم أكرم أضيافًا مني. قال: فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب، فقال: كلوا من هذه، وأخذ المدية، فقال له رسول

---

(١) أيضًا ص ٢٧٨، ٢٧٩.

(٢) تذكرة الأولياء للعطار ص ٦٠.

الله صلى الله عليه وسلم: «**إياك والحلوب**»، فذبح لهم، فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق، وشربوا(١).

فمن المتوكل؟ رسول هذه الأمة المجيدة، أم مشايخ الصوفية؟.

واعتمادًا علي توكلهم الغير شرعي كانوا يخرجون للحج بدون زاد ولا راحلة كما يذكر ابن عجيبة الحسني عن إبراهيم الخواص أنه يقول:

«لقيت فقيرًا في البادية فقلت له: إلي أين؟

فقال: إلي مكة.

قلت: بلا زاد ولا راحلة؟

فقال: الذي يمسك السموات والأرضين ويحفظهما لا يعجزه قوتي بلا سبب ولا علاقة.

فقلت: صدقت(٢).

وحكي أيضًا عن بعض مشايخه أنه «دخل برية الحجاز مع أصحابه بغير زاد، فلما طالت عليهم المدة وأجهدهم الجوع، انحرف الشيخ عن الطريق وهز شجرة، فأسقطت رطبًا جنيًّا فأكلوا منها إلا شابا، فقال له الشيخ: لم لم تأكل؟

قال: إني نويت التوكل علي الله ورفضت الأسباب جملة، فكيف أجعلك عندي بمنزلة السبب حتي تكون النفس متشوقة لما علمت منك، ثم لم يصحبهم تصحيحًا ليقينه وإتمامًا لعقده(٣).

وكذلك ذكر الجعلي الفضلي في طبقاته كثيرًا من الصوفية الذين خرجوا للحج لا زاد معهم ولا ماء(٤).

ونقل العطار عن إبراهيم بن أدهم أنه خرج إلي الحج مع أصحابه فقال له أصحابه في

---

(١) رواه مسلم.

(٢) إيقاظ الهمم لابن عجيبة ص٣١٦.

(٣) إيقاظ الهمم لابن عجيبة ص ٤٤١.

(٤) انظر كتاب الطبقات للجعلي الفضلي ص ٦١ ط المكتبة الثقافية بيروت.

الطريق: ليس عندنا شيء من الزاد، فقال:

توكلوا علي الله وانظروا إلي تلك الشجرة التي صارت ذهبًا، فنظروا فإذا الشجرة من ذهب(١).

وروي ابن الملقن عن فتح الموصلي أنه قال: «رأيت غلامًا بالبادية لم يبلغ الحلم، وهو يمشي وحده ويحرك شفتيه، فسلمت عليه، فرد علي السلام، فقلت إلي أين؟ قال: إلي بيت ربي، فقلت: وبماذا تحرك شفتيك؟ فقال: أتلو كلام ربي. فقلت له: إنه لم يجر عليك قلم التكليف، فقال: رأيت الموت يأخذ من هو أصغر مني سنًا. فقلت: خطوك قصير، وطريقك بعيد، فقال: إنما علي نقل الخطا وعليه الإبلاغ.

فقلت: فأين الزاد والراحلة؟

قال: زادي يقيني، وراحلتي رجلاي»(٢).

وأما تعاليم الإسلام فهي بعكسها تمامًا كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال:

«كان أهل اليمن يحجون فلا يتزودون ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس، فأنزل الله تعالي: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾(٣).

ولم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ورفاقه البررة بهذا النوع من التعطل بل أمرهم بالطلب والعمل حيث قال:

«إن نفسًا لن تموت حتي تستكمل رزقها، ألا فاتقوا الله،وأجملوا في الطلب»(٤).

وعن أنس بن مالك – رضي الله تعالي عنه – قال: قال رجل: يا رسول الله: أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل؟ قال: «**أعقلها وتوكل**»(٥).

وأما التوكل الصوفي فليس إلا إيثارًا للخمول والجلوس في الروابط والخانقاوات، وهروبًا عن الجد والكد، والاجتهاد والجهاد كما يذكر السهروردي عن عوارفه رواية

(١) تذكرة الأولياء للعطار ص ٦٤.

(٢) طبقات الأولياء لابن الملقن ص٢٧٧ ، ٢٧٨.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه في شرح السنة والبيهقي في شعب الإيمان.

(٥) رواه الترمذي.

عن داود بن صالح أنه قال:

«قال لي أبو سلمة بن عبد الرحمن: يا ابن أخي، هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية ﴿ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾؟ قلت: لا، قال: يا ابن أخي، لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو يربط فيه الخيل، ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة، فالرباط لجهاد النفس والمقيم في الرباط مرابط مجاهد نفسه، قال الله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ قال عبد الله بن المبارك: هو مجاهد النفس والهوي وذلك حق الجهاد، وهو الجهاد الأكبر، علي ما روي في الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رجع من بعض غزواته: «**رجعنا من الجهاد الأصغر إلي الجهاد الأكبر**». وقيل: إن بعض الصالحين كتب إلي أخ له يستدعيه إلي الغزو فكتب إليه: يا أخي كل الثغور مجتمعة لي في بيت واحد والباب علي مردود، فكتب إليه أخوه: لو كان الناس كلهم لزموا ما لزمته اختلت أمور المسلمين وغلب الكفار؛ فلا بد من الغزو والجهاد؛ فكتب إليه: يا أخي، لو لزم الناس ما أنا عليه وقالوا في زواياهم علي سجاداتهم: الله أكبر، انهدم سور قسطنطينية»[١].

هذا وإن هناك أنواعًا أخري من تطرفات المتصوفة في إظهار التواضع والذل، والرضا بالدون والمسكنة وهوان النفس، والسقوط في أعين الناس، فمن الصوفية المصابين بهذا النوع من الطرف الذي سموه خشوعًا وتواضعًا ورياضة للنفس، أستاذ الجنيد أبو الحسن الكريني كما ينقل عنه أبو طالب المكي وابن عجيبة أنه قال:

نزلت في محله فعرفت فيها بالصلاح فتشتت قلبي فدخلت حمامًا في جوف المحلة وعتيت علي ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها، ثم لبست مرقعتي فوقها وخرجت أمشي قليلاً قليلاً ليفطن بي، فلحقوني فنزعوا مرقعتي واستخرجوا الثياب وصفعوني وأوجعوني ضربًا، فصرت أعرف في الناحية بلص الحمام، فسكنت نفسي[٢].

ويخرج نفسه عن حد الكرامة الإنسانية ويجعلها بمنزلة الكلب في حكاية ذكروها

(١) عوارف المعارف للسهروردي ص ٥٠١ ط دار الكتاب العربي بيروت.

(٢) قوت القلوب لأبي طالب المكي ج٢ ص٧٤، أيضًا إيقاظ الهمم لابن عجيبة ص ٤٠٥.

أن رجلاً دعاه ثلاث مرات إلي طعامه ثم يرده، فرجع إليه بعد ذلك حتي أدخله المنزل في المرة الرابعة، فسأله عن ذلك، فقال: قد ربضت نفسي علي الذل عشرين سنة حتي صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد، ثم يدعي فيرمي له عظم فيجيء[١].

وأغرب من هذا ما ذكره النفزي الرندي نقلاً عن أبي الحسن علي بن عتيق بن يوسف القرطبي صاحب كتاب «بغية الطالب ومنية الراغب» أنه رأي أبا محمد بن عبد الله مفيد وهو يمشي في يوم شات كثير الطين، فاستقبله كلب يمشي علي الطريق التي كان عليها. قال: فرأيته قد لصق بالحائط وعمل للكلب طريقًا ووقف ينتظره ليجوز، وحينئذ يمشي هو، فلما قرب منه الكلب قال: فرأيته قد ترك مكانه الذي كان فيه ونزل أسفل، وترك الكلب يمشي فوقه. قال: فلما جاوز الكلب وصلت إليه فوجدته وعليه كآبة، فقلت له: يا سيدي، إني رأيتك صنعت الآن شيئًا استغربته، كيف رميت بنفسك في الطين وتركت للكلب يمشي في الموضع النقي؟

فقال لي: بعد أن عملت له طريقًا تحتي ففكرت، فقلت: ترفعت علي الكلب، وجعلت نفسي أرفع منه، بل هو والله أرفع مني وأولي بالكرامة[٢].

فهذا هو التواضع والانكسار عند الصوفية، يظنون الترفع علي الكلاب تكبرًا موجبًا لسخط الله تعالي ومقته، ولقد صرح بذلك ابن عجيبة الحسني حيث قال:

«من رأي لنفسه قيمة علي الكلب فهو متكبر ممقوت عند الله»[٣].

وقال الآخرون من الصوفية:

«من ظنّ أن نفسه خير من نفس فرعون فقد أظهر الكبر»[٤].

وأما أحمد بن أبي الحسين الرفاعي فأكرم كلبًا إظهارًا لتواضعه وهو أنه وقلة شأنه وإذلالاً لنفسه، فيذكرون عنه أنه وجد كلبًا أجرب أخرجه أهل أم عبيدة إلي محل بعيد،

---

(١) غيث المواهب العلية للنفزي الرندي ج٢ ص١٥٩: أيضًا قوت القلوب للمكي ج٢ ص٧٤.

(٢) غيث المواهب للنفزي ج٢ ص ١٥٩ بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، أيضًا إيقاظ الهمم ص٤٠٦.

(٣) إيقاظ الهمم لابن عجيبة ص٤٠٤.

(٤) انظر الرسالة القشيرية ج١ ص ١١٥، الأخلاق المتبولية للشعراني ج٣ ص٢٠٧، أيضًا الطبقات الكبري له أيضًا ج١ ص٨٣.

فخرج معه إلي البرية وضرب عليه مظلة وصار يطليه بالدهن ويطعمه ويسقيه ويحت الجرب منه بخرقة، فلما بريء حمل له ماء مسخنًا وغسله[١].

ثم علق علي ضيع الرفاعي هذا ساترًا إياه بقناع التقدس والتأله بقوله:

«كان قد كلفه الله تعالي بالنظر في أمر الدواب والحيوانات»[٢].

وليس ذلك فحسب بل ذكر عنه أبو الهدي الرفاعي أنه كان يبتدئ من لقيه بالسلام حتي الأنعام والكلاب، وكان إذا رأي خنزيرًا يقول له: أنعم صباحًا[٣].

وحكوا عن عبد الرحيم القناوي أنه رأي مرة في عنق كلبة خرقة من صوف فقام له إجلالاً.

لا تدري من أين أخذ الصوفية هذه الأداب والطرق لرياضة النفس وإذلالها؟

ومن الذي أمر بالانكسار والتخشع والتذلل بين يدي الكلاب والخنازير؟ وما معني قوله تعالي ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[٤].

وقوله عز وجل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾[٥].

ونذكر أخيرًا في هذا المعني ما نقلوه عن علي سيرجاني أنه دعا الله يومًا بضريح شجاع الدين الكرماني أن يرسل إليه ضيفًا يأكل معه، إذ جاء كلب فطرده، فهتف هاتف: تطلب ضيفًا ثم تطرده، فحزن جدًّا وخرج للبحث عنه ووجده في برية، فقدم إليه طعامًا فلم يأكل، فتاب الشيخ إلي الله وأناب إليه.

فنطق الكلب: أحسنت يا شيخ، ولو عملت هذا الصنيع بموضع غير ضريح الشيخ شجاع الدين لعوقبت عقابًا شديدًا[٦].

---

(١) قلادة الجواهر لأبي الهدي الرفاعي ص ٦٢، أيضًا طبقات الشعراني ج٢ ص١١٢.

(٢) الطبقات الكبري للشعراني ج٢ ص ١١٢.

(٣) قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر لأبي الهدي الرفاعي ص٦٢، ٦٣ أيضًا طبقات الشعراني ج١ ص١١٢.

(٤) سورة الإسراء/ الآية ٧٠.

(٥) سورة التين / الآية ٤.

(٦) تذكرة الأولياء للعطار ص ١٧١.

ومن الحكايات التي يسردها الصوفية بيانًا لتواضع مشايخهم ما ذكرها اليافعي نقلاً عن إبراهيم بن آدهم أنه قال:

«ما سررت بشيء كسروري يومًا كنت جالسًا فجاء إنسان وبال علي»(١).

ونقل السلمي عن أبي محمد الراسبي أنه قال:

«لا يكون الصوفي صوفيًّا حتي لا تقله أرض ولا تظله سماء، ولا يكون له قبول عند الخلق»(٢).

وقال آخر:

«الصوفي كالأرض يطرح عليه كل قبيح ويطؤه البر والفاجر»(٣).

وذكر الشعراني في طبقاته حكاية أبي العباس أحمد بن مسروق بيانًا لتواضعه وانسلاخه عن التكبر وتجرده عن الترفع، فيقول:

«جاءه مرة شخص فدخل داره لوليمة كانت عند أبي العباس بلا دعوة، فقال أبو العباد: لله علي أن لا أدعه يمشي إلا علي خدي حتي لأجلس موضع الأكل فوضع خده علي الأرض ومشي عليه الرجل إلي أن أبلغ إلي موضع جلوسه، وصار يقول: مثل هذا الرجل يتواضع لي ويحضر وليمتي، بأي شيء أكافئه؟» (٤).

فبمثل هذه التفاهات كانوا يتصنعون بالتواضع، ويتكلفون به، ويتجاوزون إلي التهاون والتخاذل الغير معهود في السلف الصالح.

وأحيانًا يأمرون مريدهم بحلق اللحية وتعليق المخلاة في رقبته إذلالاً لنفسه وإسقاطًا لجاهه(٥).

ويقول محمد بن أبي الحسن: مددت رجلي يومًا بعد صلاة المغرب، فهتف بي هاتف:

---

(١) نشر المحاسن الغالية لليافعي ص ٩٧ بهامش جامع الكرامات للنبهاني، أيضًا إيقاظ الهمم لابن عجيبة ص٤١٢.

(٢) طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي ص١٢٦.

(٣) إيقاظ الهمم ص ٥.

(٤) طبقات الشعراني ج ١ ص ٦٣.

(٥) انظر النور من كلمات أبي طيفور ص١١٣ ضمن شطحات الصوفية للدكتور عبد الرحمن بدوي ط الكويت، أيضًا إيقاظ الهمم لابن عجيبة الحسني ص٣٦.

أهكذا تجالس الملوك؟[١].

ولا شك أن هذا تدين زائد علي السنة، لا يعتبر تواضعًا إسلاميًا، بل زينه الشيطان وأما نسبة قول إلي هاتف فإنها كثيرة في كتبهم ومقولاتهم، يخترعون شيئًا وينسبونه إلي الهاتف ويعنون به ملكًا من الملائكة، وأحيانًا يدعون أن الله سبحانه جل شأنه هو الذي خاطبهم وهتف بهم كما بينا ذلك في كتابنا «التصوف: المنشأ والمصادر»[٢].

ونختم الكلام في موضوع التطرف في التواضع علي ما ذكره الشعراني كقاعدة عامة لجميع المتصوفة حيث قال: «لا يصلح هذا الأمر إلا لأقوام قد كنسوا بأرواحهم المزابل علي رضا منهم واختيار»[٣].

وهناك تطرفات صوفية أخري في أمور الدين والدنيا نذكر بعضًا منها إجمالاً، فيقول السهروردي عبد القادر:

«من عرف عن يمينه وشماله في الصلاة متعمدًا فلا صلاة له»[٤].

وينقل الشعراني عن إبراهيم المتبولي أنه قال:

«كل من رجع الذهب علي التراب فصلاته باطلة»[٥].

وذكر أبو طالب المكي عن بعض الصوفية أنه قال:

«العامة يتوبون من سيئاتهم، والصوفية يتوبون من حسناتهم»[٦].

وأيضًا: «من تاب من تسعة وتسعين ذنبًا لم يتب من ذنب واحد لم يكن عندنا من التائبين»[٧].

وقالوا: «التوبة فرض كل عبد في كل نفس»[٨].

---

(١) نفحات الأنس للجامي ص ١٢٨.

(٢) انظر الباب الثالث التشيع والتصوف.

(٣) طبقات الشعراني ج١ ص٨٨.

(٤) عوارف المعارف للسهرودي من ٣٢٠ ط دار الكتاب العربي بيروت.

(٥) الأخلاق المتبولية للشعراني ج١ ص ١٥٦.

(٦) قوت القلوب لأبي طالب المكي ج١ ص ١٨٩.

(٧) أيضًا ص ١٩١.

(٨) طبقات الشعراني ج٢ ص ٩٣.

وحكي الكلاباذي عن التستري أنه قال:

«من غمض عن الله طرفة عين فلا يهتدي طول عمره»[١].

وقال الشبلي كما نقل عنه السلمي في طبقاته:

«سهو طرفة عين عن الله لأهل المعرفة شرك بالله»[٢].

وحكي عماد الدين الأموي عن إبراهيم الخواص أنه كان يتكلم في العلم وحوله جماعة إلي أن طلعت عليه الشمس وحميت حتي وجدت حرها وهو جالس لا يعبأ بها. فلما اشتدت قلت له: يا سيدي، ما تري أن تقوم إلي الظل؟

فقال: ويلك، ما تدلني إلا علي الشرك[٣].

وقال الشاذلي:

«لو حجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين»[٤].

وقال إبراهيم المتبولي:

«من رفع بصره إلي شيء بغير نية الاعتبار كتبت عليه خطيئة»[٥].

وأخيرًا ننقل من القوم أنهم قالوا:

«مبني التصوف علي أخلاق ثمانية من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام»:

السخاء وهو لإبراهيم، والرضا وهو لإسحاق، والصبر وهو لأيوب، والإشارة وهي لزكريا، والغربة وهي ليحيي، ولبس الصوف وهو لموسي، والسياحة وهي لعيسي، والفقر وهو لمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين»[٦].

فهذه هي دعواهم، وتلك هي أقاويلهم وأفاعيلهم مبنية علي مخالفة الكتاب والسنة

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص ٧٨.

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ص ٨٣.

(٣) حياة القلوب في كيفية الوصول إلي المحبوب لعماد الدين الأسوي.

(٤) الأخلاق المتبولية للشعراني.

(٥) الأخلاق المتبولية للشعراني.

(٦) المصدر السابق.

ومنافية لما جاءت به الشريعة السماوية السمحة ومناقضة لاعتدال الإسلام وقصد السبيل، وتقدم بين يدي الله ورسوله، وتجاوز عليهما، وتعنت غير محبوب، وتقشف غير محمود، لم ينزل الله به من سلطان.

وكذلك يدخل في مناقضة الصوفية تعاليم الدين ومخالفتهم شرع الله أمور أخرى كثيرة خالف فيها المتصوفة نصوص القرآن والسنة، فجمعوا بين الشيئين:

الإتيان بما لم ينطق به كتاب الله وسنة رسول الله، والمخالفة لما ورد فيهما.

كما جاءوا ببدع وخرافات أخرى جعلوها دينًا وليست من الدين، نريد أن نذكرها في باب مستقل يلي هذا الباب لكي يعرف القاريء ويعلم الباحث بأن التصوف ليس إلا تطرفًا في السلوك والأحوال والمعاملات، ومخالفة المنطوق والمنصوص في المعاملات والعبادات، وليس إلا ترويجًا للخرافات والبدعات، وبالله التوفيق.

* * *

الباب الثاني
التصوف ومخالفة الشريعة

إننا ذكرنا في الباب الذي سبق أن الشريعة عبارة عن الكتاب والسنة، والله أمر المؤمنين بالتمسك بهما فقال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝﴾(١).

كما قال أيضًا:

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝﴾(٢).

وقال رسوله صلوات الله وسلامه عليه:

«تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله»(٣).

فالمؤمن ملزم بأن يأتي ما أمره الشرع بعمله وأن يترك ما أمره الشرع بتركه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾(٤).

وأنه لمسلوب الخيار أمام أوامر الله ورسوله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٖ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ۝﴾(٥).

فالطيب ما طيبه الله ونبيه، والحسن ما حسنه الله ورسوله، والمسنون والمستحب ما استحبه الله ومرسله، وكذلك القبيح والمذموم ما قبحه الله أو ذمه رسول الله صلى الله

---

(١) سورة النساء الآية ٥٩.
(٢) سورة النساء الآية ١١٥.
(٣) رواه مالك في الموطأ.
(٤) سورة الحشر الآية ٧.
(٥) سورة الأحزاب الآية ٣٦.

عليه وسلم، وليس للعقل فيه رأي ولا للرأي فيه دخل، والأصل في العبادات المنع، كما أن الأصل في المعاملات الإباحة مع مراعاة **«الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقي الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعي حول الحمي يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حمي، ألا وإن حمي الله محارمه»**(١).

وإن المتصوفة كما لم يقتدوا بأسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم في معاملاتهم من الأكل والشرب واللبس والراحة والكسب والتجارة وغيرها من أمور الدنيا، ولم يتبعوا خطوات ذلك النبي الذي ذكره الرب جل مجده في قرآنه وفرقانه ﴿ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾(٢).

كذلك لم ينهجوا منهجه، ولم يسلكوا مسلكه، وما اقتفوا أثره واهتدوا بهديه، وما اتبعوا سنته في الطاعات والعبادات، فزادوا عليها أشياء من عند أنفسهم كمًا وكيفًا، كما أضافوا إليها أشياء لم تكن معهودة منقولة عن النبي المختار وخلفائه الراشدين الأبرار وأصحابه الطيبين الأخيار، فضلوا وأضلوا، وحادوا عن الجادة المستقيمة والمحجة البيضاء التي ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته عليها، ليلها كنهارها، لا يضل سالكها ولا يهتدي تاركها، فضلت مساعيهم بدل أن تكون مشكورة، وخسرت جهودهم وردت بدل أن تكون مقبولة، وحبطت أعمالهم بدل أن تكون نافعة محمودة، لتقدمهم بين يدي الله ورسوله، واستصغارهم وتقللهم عمل رسول الله في عباداته ضيعتهم في معاملاته، واستحقارهم سنة من كان أخشي الناس وأتقاهم لله، فصاروا كالذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، فخالفوا أوامر

(١) متفق عليه.
(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٧.

النبي ومنهياته زيادة ونقصانًا مفرطين في أشياء ومفرطين في أخري.

كما تجاسروا علي إنزالهم أنفسهم ومشائخهم علي مرتبة التشريع والتقنين، فأوجدوا أشياء، وابتدعوا أعمالاً وجعلوها من الدين ناسين قول الخالق المتعال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾(١).

فابتعدوا عن الجادة، وتفرقت بهم السبل، وضل عنهم سواء السبيل التي هي سبيل الله وسبيل رسوله صلى الله عليه وسلم وسبيل المؤمنين كما هو مبين في القرآن المجيد:

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾(٢).

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾(٣).

فخسروا خسرانًا مبينًا.

ونحن نذكر في هذا الباب مخالفات المتصوفة للقرآن والسنة وبعض بدعهم التي اخترعوها ومحدثاتهم التي ابتدعوها تقربًا إلي الله ووصولاً إلي معرفته وابتغاء لمرضاته حسب زعمهم كما ذكرنا في الباب الذي سبق تطرفاتهم وتقشفاتهم التي لم ير لها أثر فيهما ولا في سيرة المؤمنين الأولين الذين نزل القرآن بينهم والذين تتلمذوا علي مبين القرآن صلوات الله وسلامه عليه.

فنذكر في هذا الباب مخالفة المتصوفة لصريح القرآن والسنة ونصوصهما الظاهرة الصريحة.

من المعلوم في القرآن والسنة أن الله خلق الخلق وأمرهم بعبادته، وأرسل إليهم الرسل تتري، وختمهم بمحمد خاتم النبيين وأشرف المرسلين صلى الله عليه وسلم لكي يهدوهم إلي وحدانيته وعبادته، وخلق الجنة لمن أطاعه من خلقه وعبده وحده،

---

(١) سورة الشوري الآية ٢١.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٥٣.

(٣) سورة يوسف الآية ١٠٨.

وخلق النار لمن غوي وعصي أوامر ربهم وطغي إرشادات أنبيائهم، فرغبهم في الطاعة بالجنة، وأرهبهم في المعصية بالنار، فقال:

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾[1].

كما قال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١﴾[2].

﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[3].

وذكر أهل الفوز من أهل الخسران بقوله:

﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾[4].

فإن أهل السعادة من رغبوا في جنته ورهبوا من النار، فأطاعوه وأطاعوا رسله، وآمنوا بما أنزل إليهم من ربهم، وعملوا بما أمروا فدخلوا الجنة.

وأهل الشقاء من لم يرغب في الجنة ولم يرهب من النار، فعصوا الله ورسله وكفروا بما أنزل إليهم من ربهم.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٠٧ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ١٠٨﴾[5].

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣﴾[6].

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٣٣.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٣١.

(٣) التحريم آية رقم ٦.

(٤) سورة آل عمران الآية ١٨٥.

(٥) سورة هود الآية ١٠٦ إلى ١٠٨.

(٦) سورة النساء الآية ١٣.

و﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾[١].

ووصف المؤمنين بأنهم يدعون ربهم جنته رغبة فيها ويستغفرون من النار رهبة منها:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾[٢].

و ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾﴾[٣].

وبين أحوالهم بأنهم لا يستريحون خوفًا من عذابه وطمعًا في ثوابه فقال: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[٤].

و﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾[٥].

و﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[٦].

وهناك الدنيا والآخرة، وهناك يوم الفصل ويوم الدين، وإن الدنيا لمزرعة للآخرة، ويوم الفصل يحكم بين العباد فينظر فيما أمروا في الدنيا، وعلي ذلك يحكم لهم بما يستحقونه في الآخرة، فقوم جعلوا نصب أعينهم الدنيا وحدها، وقوم تركوا دنياهم لآخرتهم فزهدوا فيها، وقوم جمعوا بين الحسنيين ففازوا بنعيم الدنيا ونعيم الآخرة، وعن هذا كله أخبر الرب تبارك وتعالي:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾[٧].

وقال: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾﴾[٨].

(١) سورة الجن الآية ٢٣.
(٢) سورة البقرة الآية ٢٠١.
(٣) سورة آل عمران الآية ١٦.
(٤) سورة السجدة الآية ١٦.
(٥) سورة الإسراء الآية ٥٧.
(٦) سورة الأنبياء الآية ٩٠.
(٧) سورة البقرة الآية ٢٠١ إلي ٢٠٣.
(٨) سورة الدخان الآية ٤٠.

و﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾[١].

و﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾[٢].

والآيات في هذه المعاني كثيرة جدًّا.

ومثلها بل أكثر منها بأضعاف أحاديث نبوية شريفة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أحب الخلائق إلى الله وأحبهم لله، الذي قال سبحانه وتعالى في شأنه صلى الله عليه وسلم: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[٣].

كان أكثر الناس سؤالاً لجنته واستعاذة من النار فكان يقول: «**اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل**»[٤].

وروي الشيخان أنه كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار**»[٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ دعا النبي صلى الله عليه وسلم قريشًا فاجتمعوا، فعم وخص، فقال:

«**يا بني كعب بن لؤي، انقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة، أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئًا، غير أن لكم رحمًا سأبلها ببلالها**»[٦].

فهذا هو منطوق القرآن والسنة.

وأما المتصوفة فلا يرون الأمر كذلك، فلا الدنيا عندهم ولا الآخرة، ولا الخوف

---

(١) سورة الشعراء الآية ٩١.

(٢) سورة الانفطار الآية ١٣.

(٣) سورة الفتح الآية ٢.

(٤) أخرجه ابن ماجه وصححه ابن حبان والحاكم.

(٥) متفق عليه.

(٦) رواه مسلم.

ولا الطمع، ولا الجنة ولا النار، بل كثيرًا ما يستهزؤن بها ويسخرون بذكرها، فنقلوا عن رابعة العدوية البصرية أنها كانت تنشد:

يعبدون الله خوفًا من لظى ... فلظى قد عبدوا لا ربنا
ولدار الخلد صلوا، لا له ... شبه قوم يعبدون الوثنا[(١)]

وذكرها العطار فقال: «جاء إليها رجال من أهل الله فسألت أحدهم: لماذا تعبد الله؟

فقال: خوفًا من عقابه والجحيم التي برزت للغاوين.

فسألت الأخر فقال: طمعًا في جنته التي أعدت للمتقين.

فقالت: أما أنا فما عبدته خوفًا من ناره ولا طمعًا في جنته فأكون كالأجير السوء بل عبدته حبًا له وشوقًا إليه[(٢)].

وورد مثل هذا في روضة التعريف بالحب الشريف أيضًا[(٣)].

وروي الجامي عنها أنها قالت: وعزتك ما عبدتك خوفًا من نارك ولا رغبة في جنتك، بل كرامة لوجهك الكريم ومحبة فيك[(٤)].

وعلي ذلك قال المنوفي الحسيني بعد ذكر رابعة العدوية، وجويرية، ورابعة الدمشقية وغيرهن: «أولئك اللواتي طمعن في رحمة الله وأحببنه لا رهبة من عقابه، ولا طمعًا في ثوابه»[(٥)].

وأنشدت أيضًا:

أحبك حبين حب الهوي ... وحبًا لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوي ... فشغلي بذكرك عمن سواكا[(٦)]

---

(١) ترصيع الجواهر المكية لعبد الغني الرافعي ص٤٩ ط المطبعة العامرية ١٣٠١هـ.

(٢) تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار ص ٤٢.

(٣) انظر روضة التعريف لوزير الدين بن الخطيب ص٤٢٧.

(٤) نفحات الأنس للجامي (فارس) ص ٥٤٤ ط إيران.

(٥) جمهرة الأولياء للمنوفي الحسيني ج١ ص ٢٧٠.

(٦) التعرف لمذهب أهل التصوف ص١٣١، ١٣٢، قوت القلوب لأبي طالب المكي ص٥٧ أيضًا روضة التعريف ص ٤٢٧، أيضًا نشر المحاسن الغالية للباقي ج١ ص بعاصر جامع كروان كرامات الأولياء للشعراني ط دار صادر بيروت.

وذكر ابن عجيبة الحسني أنها قالت:

كلهم يعبدونه من خوف نار ويرون النجاة حظًا جزيلاً

أو بأن يسكنوا الجنان فيضحوا في رياض ويشربوا السلسبيلا

ليس لي في الجنان والنار رأي أنا لا أبتغي بحبي بديلاً[١]

وأكثر من ذلك ما نقله كل من القشيري والعطار والكلاباذي والكمشخانوي وغيرهم:

مرضت رابعة العدوية فقيل لها: ما سبب علتك؟

فقالت:

نظرت إلي الجنة بقلبي فغار علي قلبي، فأدبني وقد آليت وحلفت أن لا أعود[٢].

وليس هذا الاستغناء من الجنة والخوف والرهبة، فحسب بل أكثر من ذلك نقل الشعراني استهزاءها بالجنة ونعيمها، والقرآن الكريم، فيقول:

«سمعت رابعة العدوية رضي الله عنها شخصًا يتلو قوله عز وجل: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝﴾، قالت: نحن إذن صغار حتي نفرح بالفاكهة والطير»[٣].

وليست رابعة العدوية وحدها من ينقلون عنها استغناءها عن الجنة واستحقار ذكرها، وعدم اهتمامها بالخوف والرجاء، والرهبة والرغبة، بل هذا هو موقفهم ومشربهم، فينقلون ذلك عن الآخرين أيضًا، فيقول السلمي والهجويري والسهلجي والمنوفي الحسيني:

إن أبا يزيد البسطامي الذي قال فيه الجنيد البغدادي كما يروون أبو يزيد منا بمنزلة

---

(١) إيقاظ الهمم لابن عجيبة ص ٣٢ ط مصطفي البانب، أيضًا هامش المعارضة والرد لمحمد كمال جعفر ص ١٣٧.

(٢) انظر الرسالة القشيرية ج٢ ص٥١٦، أيضًا تذكرة الأولياء للعطار ص٣٤، أيضًا التعرف لمذهب أهل التصوف ص١٨٤، أيضًا جامع أصول الأولياء للكمشخانوي ص١١٩ واللفظ له.

(٣) الطبقات الكبري للشعراني ج٢ ص٧١.

جبريل من الملائكة[١].

فكان يقول: «الجنة لا خطر لها عند أهل المحبة، وأهل المحبة محجوبون بمحبتهم»[٢].

ونقل ابن العريف عنه أيضًا أنه كان يسخر بالثواب ولم يكن يبالي بالعقاب، وكان يقول مخاطبًا للرب تعالى:

أريـــدك لا أريـــدك للثـــواب ولكنـــي أريـــدك للعقـــاب[٣]

وكان يستهزئ بالجنة بقوله:

«لله عباد لو بدت لهم الجنة بزينتها لضجوا منها كما يضج أهل النار من النار»[٤].

وقال أيضًا في هذا المعني:

«من عرف الله صار للجنة ثوابًا، وصارت الجنة عليه وبالاً»[٥].

كما كان يستهزئ بالنار، فينقل عنه أنه كان يقول:

«وددت أن قامت القيامة حتي أنصب خيمتي علي باب جهنم. فسأله رجل: ولم ذاك يا أبا يزيد؟

فقال: إني أعلم أن جهنم إذا رأتني تخمد[٦].

وأخيرًا ما ذكر عنه السلهجي في ازدرائه واستصغاره الجنة حيث يروي عن ابن أخي أبي يزيد أنه قال:

«حدثني أبي عن أبيه عن أبي يزيد أنه جاء حاتم الأصم زائرًا له فقال حاتم: قد

---

(١) كشف المحجوب للهجويري ص٣١٣.

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ص ١٩، كشف المحجوب للهجويري ص٣١٨، جمهرة الأولياء للمتوفي ج٢ ص١٣٩ انظر النور في كلمات أبي طيفور للسهلجي ص١٦٩ نشر الدكتور البدوي ط الكويت.

(٣) محاسن المجالس لأبي العباس أحمد بن محمد الصوفي الصنهاجي بن العريف ط باريس ١٩٣٣م أيضًا شرح كلمات الصوفية جمع محمود محمود الغراب ص١٨٠.

(٤) النور من كلمات أبي طيفور للسهلجي ص١٤٧.

(٥) أيضًا ص ١١٨.

(٦) أيضًا ص ١٤٧.

قلت لتلامذتي: من لم يكن منكم يوم القيامة شفيعًا في أهل النار فيدخلهم الجنة لم يكن لي تلميذًا. فقال له أبو يزيد: ولكن قد قلت أنا لهم:

ليس من تلامذتي إلا من وقف يوم القيامة، فكل من أمر من الموحدين إلي النار أخذ بيده وأدخله الجنة»(١).

ومثل ذلك نقلوا عن إبراهيم بن أدهم أنه كان يستهزيء بنعيم الجنة بدعائه:

«اللهم إنك تعلم أن الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة»(٢).

والشبلي الذي قال عنه الجنيد: «لكل قوم تاج، وتاج هذا القوم الشبلي»(٣).

ينقلون عن تاج قومهم هذا أنه كان يدعو: «اللهم أخبأ الجنة والنار خبايا غيبك حتي تعبد بغير واسطة»(٤).

ومن استهزائهم بالجحيم ونيرانها أنه قال في مجلسه:

«إن لله عبادًا لو بزقوا علي جهنم لأطفوها»(٥).

وكذلك كان يقول: «لو خطر علي بالي أن الجحيم بنيرانها وسعيرها تحرق مني شعرة لكنت مشركًا»(٦).

ومن استخفافه بوعيد أهل النار أنه سمع قارئًا يقرأ هذه الآية: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ فقال الشبلي:

«ليتني كنت واحد منهم»(٧).

وأما معروف الكرخي فيروون عنه «أنه عبد الله لا خوفًا من ناره، ولا شوقًا إلي جنته، فلذلك رؤي في النوم في حظيرة القدس جالسًا في سرادق العرش شاخصًا ببصره

---

(١) النور من كلمات أبي طيفور للسهلجي ص ٩٨، ٩٩.
(٢) جمهرة الأولياء لأبي الفيض المنوفي الحسيني ج٢ ص١٣٠.
(٣) نفحات الأنس للجامي ص١٨٠.
(٤) كشف المحجوب للهجويري ص٥٧٧ ط دار النهضة العربية بيروت.
(٥) انظر كتاب اللمع للطوسي ص٤٩١.
(٦) أيضًا ص ٤٩٠.
(٧) اللمع للطوسي ص ٤٩٠.

ينظر إلى الله»[١].

ونقل ذلك عبد الغني الرافعي أيضًا فقال:

«قال بعض إخوان معروف الكرخي رضي الله عنه: أخبرني يا أبا محفوظ، أي شيء هاجك إلى العبادة والانقطاع عن الخلق؟ فقال له: ذكر الموت؟ فقال: أي شيء الموت؟

فقال: ذكر القبر والبرزخ؟ فقال: وأي شيء القبر؟

فقال: خوف النار ورجاء الجنة؟ فقال: وأي شيء هذا؟

ثم قال: إن كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا[٢].

ونقل النفزي الرندي وأبو طالب المكي عن أبي حازم المدني أنه كان يقول:

«إني لأستحي من ربي أن أعبده خوفًا من العذاب فأكون مثل عبد السوء أن لم يخف لم يعمل، واستحي أن أعبده لأجل الثواب فأكون كالأجير السوء، إن لم يعط لم يعمل، ولكن أعبده محبة له»[٣].

وكتب الجامي في نفحاته أن محمد بن سعيد الزنجي سئل عن الرذيل من هو؟

قال: الذي يعبد الله خوفًا ورجاء.

قالوا: وأنت لم تعبد؟

قال: خدمة وطاعة[٤].

ويقول الأنصاري الهروي المتوفى ١٨٤هـ:

«الحرمة هي التحرج عن المخالفات والمجاسرات، وهي على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى تعظيم الأمر والنهي.

لا خوفًا من العقوبة فيكون خصومة للنفس.

ولا طلبًا للجد فيكون مسترقًا للأجرة.

---

(١) قوت القلوب لأبي طالب المكي ج ٢ ص ٥٦.

(٢) كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء للدمياطي ص ١٠٧.

(٣) غيث المواهب العلية للنفزي ج ١ ص ٢٤٢، أيضًا قوت القلوب لأبي طالب المكي ج٢ ص ٥٦.

(٤) نفحات الأنس للجامي (فارس) ص٣٨.

ولا شاهدًا للجد فيكون متدينًا بالمراياة.

فإن هذه الأوصاف كلها شعب من عبادة النفس[١].

وقال أيضًا تحت عنوان الرجاء:

«الرجاء أضعف منازل المريد لأنه معارضة من وجه، واعتراض من وجه، وهو وقوع في الرعونة في مذهب هذه الطائفة»[٢].

وحكي عماد الدين الأموي وغيره أن داود عليه السلام أوحي إليه الرب تبارك وتعالي أن أود الأوداء إلي عبدني بغير نوال... ومن أظلم ممن عبدني لجنة أو نار، لو لم أخلق جنة ولا نارًا ألم أكن أهلاً لأن أطاع[٣].

ومن احتقارهم وازدرائهم بالجنة ما ذكروا عن الصوفي عثمان بن عاشوراء أنه قال:

«خرجت من بغداد أريد الموصل فأنا أسير، وإذا أنا بالدنيا قد عرضت لي بعزها وجاهها ورفعتها ومراكبها وملابسها ومزياتها ومشتهياتها فأعرضت عنها، فعرضت علي الجنة بحورها وقصورها وأنهارها وثمارها فلم أشتغل بها. فقيل لي: يا عثمان، لو وقفت مع الأولي لحجبناك عن الثانية، ولو وقفت مع الثانية لحجبناك عنا»[٤].

ومثل ما نقل عن البسطامي أنه قال: «الجنة هي الحجاب الأكبر لأن أهل الجنة سكنوا إلي الجنة، وكل من سكن إلي سواه فهو محجوب»[٥].

وقال الأموي: «الخواص من الأولياء زهدوا في الحور العين وغيرهم من النعيم للنظر إلي وجه الله تعالي، ثم أعرضوا عن الحور العين والقصور والاتكاء علي الفرش والأرائك واللحوم والفواكه إلي مشاهدة كمال إله الكل»[٦].

وفي هذا المعني نقل الشعراني عن محمد الحنفي أنه دخل الحمام يومًا مع الفقراء،

---

(١) منازل السائرين للخواجه عبد الله الأنصاري الهروي ص ٦٨ ط انتشارات مولي نشر أفغانستان ١٣٥٠ هـ.

(٢) أيضًا ص ٦٠.

(٣) حياة القلوب لعماد الدين الأموي ج٢ ص ٢١٥ بهامش قوت القلوب، أيضًا غيث المواهب العلية.

(٤) غيث المواهب العلية ج ١ ص ١٨٠.

(٥) النور من كلمات أبي طيفور للسهلجي ص ٣٦١.

(٦) حياة القلوب للأموي ج ٢ ص١٢٩.

فأخذ ماء من الحوض ورشه علي أصحابه، وقال: النار التي يعذب بها العصاة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم مثل هذا الماء في سخونته، ففرح الفقراء بذلك[١].

فليشاهد القراء إلي الاستهزاء والاستخفاف وما أسوأه وأشنعه بالإضافة إلي النيل من شأن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه:

«**ناركم جزء من سبعين جزء من نار جهنم**»، قيل يا رسول الله، إن كانت لكافية[٢]، قال: «**فضلت عليهن بتسعة وستين جزء كلهن مثل حرها**»[٣].

هذا ويقول الإسكندري:

«من عبده لشيء يرجوه منه أو ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه فما قام بحق أوصافه»[٤].

ومن أهم ما روي في ذلك ما رواه ابن الملقن في طبقاته عن أبي الحسن بن الموقن المتوفي ٥٦٢هـ أنه قال:

«اللهم إن كنت تعلم أني أعبدك خوفًا من نارك فعذبني بها.

وإن كنت تعلم أني أعبدك خوفًا من نارك فعدني بها.

وإن كنت تعلم أني أعبدك حبًّا مني لجنتك وشوقًا إليها فاحرمنيها»[٥].

ورووا عن شاب كان قلبه علي قلب إبراهيم الخليل كما يقولون، فينقلون عنه أنه كان يقول:

«يا سماء ويا أرض اشهدا عني ما خطر علي قلبي ذكر الجنة والنار قط مثل إبراهيم الخليل»[٦].

فانظر ما أجرأهم علي الكذب، قطع النظر عن استحقار الجنة ونعيمها، التي لم يكن

---

(١) طبقات الشعراني ج ٢ ص ١٠٠.

(٢) أي: أن هذه النار الدنيوية كافية في العقبي لاحتراق الكفار، فهلا اكتفي بها ولأي شيء زيد في حرّها (الألباني).

(٣) متفق عليه.

(٤) انظر غيث المواهب ج١ ص ٢٣٩.

(٥) طبقات الأولياء لابن الملقن ص ٣٤٢.

(٦) مصدر سابق.

نبي من الأنبياء إلا وقد سألها وطلبها من ربه مع ما فيهم سيد الأنبياء وأشرف المرسلين محمدنا خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، وجده نبينا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً واشتياقه إلي الجنة وطلبها من ربه مذكور محفوظ في كتاب ربه وربنا، الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، حيث حكي عنه الرب تبارك وتعالي إذ يقول:

﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾[1].

هذا وقد ذكر السهلجي حكاية عن أبي موسي تدل علي استخفاف الصوفية بالجنة ونيلهم من شأنها وعظمتها فيقول:

«يؤتي يوم القيامة برجل من طريق النار علي حالة أحسن ما يكون، فيراد أن يزداد الذي يؤتي من طريق النار ألمًا ووجعًا فيقال له: تري ذاك الذي يحمل إلي الجنة بتلك الزينة؟ وهو فلان. فيقول نعم، كنت سمعت اسمه في دار الدنيا. قال: فيبلغ الله صوته ذلك الولي فيقف مكانه فيقال له: لم لا تذهب؟ فيقول: لا أبرح من مكاني حتي يكون معي من سمع باسمي. قال: فينادي: وهبناه منك، خذ بيده واذهب به إلي الجنة – وكان الشيخ أبو عبد الله يقول إذا حكي هذه الحكاية: فيقول: هذا لمن سمع الاسم، فكيف لمن رأي وصحب»[2].

فالمعني أنهم استصغروا شأن الجنة ومقامها، وجعلوا دخولها من الأمور الهينة لا تحتاج إلي كثير عناء ومشقة، بل يكفي أن يسمع الإنسان اسم ولي من أولياء الصوفية، وحسبه ذلك من دخول الجنة والبعد عن النار.

وأكثر من ذلك أنهم نقلوا عنه أنه قال: «ما النار؟

لأستندن إليها غدًا، وأقول: اجعلني لأهلها فداء أو لأبلعنها.

ما الجنة؟

---

(١) سورة الشعراء الآية ٨٣ إلي ٨٥.

(٢) النور من كلمات أبي طيفور ص ٦٨.

لعبة صبيان»[١].

ومن احتقارهم الجنة ما رووه عن مطرف بن عبد الله بن الشخير أنه كان يقول:

«لو أتاني آت من ربي عز وجل فقال: أنت مخير بين الجنة والنار أو تصير ترابًا لاخترت أن أصير ترابًا»[٢].

وذكروا عن سليمان الداراني أنه قال:

«إن لله عبادًا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة»[٣].

ومما يدل على إظهار الرغبة عن الجنة وعدم الاهتمام بنعيمها أن الشعراني روي عن سيده أبي الفضل الأحمدي أنه كان يقول:

«أرباب الأحوال تشتاق إليهم الجنة وهم لا يشتاقونها»[٤].

أفليس ترجيح كون التراب على دخول الجنة، وإظهار الرغبة عن نعيمها، عيشها وترفها، والزهد في حورها وقصورها وأنهارها وأثمارها، أليس كفرًا بنعمة الله وجحودًا بها، وقد قال عز من قائل:

﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾﴾[٥].

وقال: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾[٦].

و﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾[٧].

فهذه هي الجنة والنار، والثواب والعقاب، والرجاء والخوف عند الصوفية، وهذا هو ازدراؤهم واستحقارهم بها وبذكرها وبنعمها خلافًا لسيرة المصطفين الأخيار وأحوال أصحاب خاتم النبيين الأبرار، ومنافيًا لنصوص القرآن الصريحة، وأحاديث

(١) مجموع نصوص غير منشورة عن أبي يزيد ص ١٣ نقلاً عن «شطحات الصوفية» للدكتور عبد الرحمن بدوي ط الكويت.

(٢) طبقات الشعراني ج ١ ص ٣٣.

(٣) كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء للدمياطي ص ١٠٧ ط.

(٤) الطبقات الكبرى لعبد الوهاب الشعراني ج٢ ص١٨٠.

(٥) سورة البقرة الآية ٢١١.

(٦) سورة النحل الآية ٨٣.

(٧) سورة العنكبوت الآية ٦٧.

رسول الله الواضحة الجلية.

وإن المتصوفة لا يأبهون بالدنيا والآخرة كما لا يأبهون بالجنة والنار والثواب والعقاب، فينقلون عن إبراهيم بن أدهم أنه قال:

«إن كنت تحب أن تكون لله وليًا وهو لك محبًا فدع الدنيا والآخرة ولا ترغبن فيهما، وفرغ نفسك عنهما»(١).

ومثل ذلك ذكر القشيري والشعراني عن الحسين بن منصور أنه قال: «علامة العارف أن يكون فارغًا من الدنيا والآخرة»(٢).

ونقلوا كذلك عن محمد المغربي الشاذلي أنه كان يقول: لا يصح لمريد قدم في طريق أهل الله عز وجل إلا بعد أن يزهد في الدنيا ونعيم الآخرة(٣).

ومثل ذلك ذكروا عن الجيلي أنه سئل عن الهمة فقال: «هي أن يتعري العبد بنفسه عن حب الدنيا، وبروحه عن التعلق بالعقبي»(٤).

وروي عن الشبلي أنه سمع قوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ فصاح صيحة عظيمة وقال: فأين الذين يريدون الله تعالي(٥).

مع أن الله عزوجل لم يفرق بين إرادة الآخرة وإرادته هو سبحانه وتعالي حيث قال: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾(٦).

فإرادة الآخرة نفس إرادة الله لا فرق بينهما.

ومدح الله تعالي عباده الذين يريدون الآخرة ويسعون لها بقوله: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾(٧).

---

(١) كتاب المحبة للمحاسبي ضمن كتاب ختم الأولياء للترمذي ص ٤٥٢ ط المكتبة الكاثوليكية بيروت.

(٢) الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيري ج ٢ ص ٦٠٥، أيضًا طبقات الشعراني ١ ص ١٠٧.

(٣) الأخلاق المتبولية للشعراني تحقيق الدكتور منيع عبد الحليم محمود ج١ ص٢٢٢.

(٤) الطبقات الكبري لعبد الوهاب الشعراني ج ١ ص١٢٧.

(٥) طبقات الشعراني ج ٢ ص ٧٢.

(٦) سورة الأنفال الآية ٦٧.

(٧) سورة الأسراء الآية ١٩.

وجمع الله بين إرادته ورسوله والدار الآخرة في قوله: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾[(١)].

فهذه هي بعض قواعد المتصوفة في الخوف والرجاء والثواب والعقاب والجنة والنار والدنيا والآخرة، وضعت لمخالفة منطوق القرآن وصريح السنة.

وهناك مخالفات أخري كثيرة للقرآن والسنة في مختلف المجالات نورد بعضًا منها مع ذكر الآيات والأحاديث التي يخالفونها.

فمن المعروف أن الإسلام قلما أكد وشدد مثلما أكد وشدد في أكل الحلال وترك الحرام، وطلبه من المؤمنين قبل العبادات والطاعات لأنه من لم يكن طعامه ولحمه ودمه من حلال أني تتأتي منه الحسنات، ويقبل عنه العبادات، ويستجاب له الدعوات. فأمر الله به المؤمنين كما أمر به الأنبياء والمرسلين، وقدمه علي العمل الصالح والعبادة والمقبولة فقال لأنبيائه وأصفيائه:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[(٢)].

وقال مخاطبًا للمؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾[(٣)].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«لا يكسب عبد مال حرام فيتصدق به فيقبل منه، ولا ينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلي النار، إن الله لا يمحو السيء بالسيء، ولكن يمحو السيء بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث»**[(٤)].

وقال صلى الله عليه وسلم: **«لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت، وكل لحم نبت من السحت كانت النار أولي به»**[(٥)].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إن الله طيب لا يقبل إلا**

(١) سورة الأحزاب الآية ٢٩.
(٢) سورة المؤمنون الآية ٥١.
(٣) سورة البقرة الآية ١٧٢.
(٤) رواه أحمد وكذا في شرح السنة.
(٥) رواه أحمد والدارمي والبيهقي في شعب الإيمان.

طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَـٰلِحًا﴾، وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلي السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأني يستجاب لذلك؟» [١].

ولكن الصوفية يرون عكس ذلك فإنهم يرون الكسب من الركون إلي الدنيا، ويبقون متعطلين عالة علي الناس لا يعملون، ويعيشون علي عطيات الناس من هب منهم ودب، وقد مر بيان ذلك مفصلاً [٢].

وليس هذا فحسب، بل ذكروا أن عديدًا منهم كانوا يتعاطون الحرام فيشربون الخمر ويأكلون الأفيون والبنج والحشيش، ويتناولون المخدرات والمسكرات فواحدًا منهم ذكرناه في كتابنا «التصوف: المنشأ والمصادر» الذي يقولون عنه: أنه كان مستجابًا الدعوات، ومحللاً المشكلات، وما دعا شيئًا قط إلا وقد أعطي، وكان يشرب الخمر ويتعاطي المخدرات المسكرات، وصار مزاره مهبط الأنوار ومحط البركات مثل ما كان هو في حياته [٣].

ومثله الصوفي المشهور عين الدين المتوفي ٨٢٢هـ «كان يشرب الخمر ليلاً ونهارًا» [٤].

ومنهم الشيخ الشرياني القصوري المتوفي ١٠٤٣هـ «كان قبلة الحاجات وكعبة السائلين والطالبين، ولم يكن يقضي لحظة بدون الخمر» [٥].

وليس هذا فحسب، بل اجترأ القوم وقالوا:

«وحكي عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله أنه قال: كان بصحبتي رجل كثير الصوم والصلاة فعجبت من ذلك، ثم نظرت في مأكوله من موضع غير طيب، قال: فأمرته

---

(١) رواه مسلم.

(٢) انظر الباب الأول من هذا الكتاب «التطرف من لوازم التصوف».

(٣) تذكرة أولياء باكستان للدكتور شارب ج٢ ص ٢٥٩ وما بعد.

(٤) انظر تذكرة أولياء برصغير للميرزه اختر الدهلوي ج١ ص٢٠٣.

(٥) أيضًا ج ٢ ص ١٠٣، ١٠٤.

بالخروج من ملكه وأخرجته معي في سفر، فكنت أطعمه الحلال من موضع أعرفه وأرضاه، قال: فلما صحبني مدة كنت أحتاج أن أضربه بالدرة حتي يقوم فيؤدي الفرض»(١).

وأما الملبس فنقل عنهم أنهم كانوا لا يراعون فيه الشرع، فأحيانًا كانوا يتجردون منه ولا يلبسون شيئًا ولا يراعون ما أوجبه الشرع من الستر، وقد ذكرنا عديدًا من الروايات في هذا الكتاب والكتاب الآخر، وأحيانًا كانوا يلبسون لباس الشهرة الممنوع عنه في السنة، وأحيانًا كانا يستحلون الحرير كما ذكر الشعراني وأصحاب الطبقات متصوفة مشهورين وصوفية معروفين ما كانوا يلبسون إلا الحرير، فمنهم: «الشيخ أحمد المشهور بحب رمانتي، كان رضي الله عنه لا يلبس إلا الحرير... وكانت له كرامات كثيرة»(٢).

ومنهم عون بن عبد الله بن عتبة فرووا عنه أنه كان يلبس الخز(٣).

وحث أبو العباس أحمد بن علي البوني المتوفي ٦٢٢هـ علي التختم بالذهب حيث قال:

«ومن الأسرار العجيبة أن يوضع اسمه تعالي العلي العظيم في خاتم من ذهب، من تختم به كان مهابًا عند الناس معظمًا مكرمًا عالي القدر مرفوع الذكر، ولا يزال كذلك طول حياته. وإذا بعث يوم القيامة أمن تزلزل قدمه علي الصراط، وثقلت موازينه بالحسنات»(٤).

مع التحريم الوارد فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم: حيث قال:

«أحل الذهب والحرير للأناث من أمتي، وحرم علي ذكورها»(٥).

وروي عن علي رضي الله عنه قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ حريرًا فجعله(٦) في

(١) كتاب اللمع للطوسي ص ٢١٩.
(٢) الطبقات للشعراني ج٢ ص ١٤٣.
(٣) الطبقات الكبري للشعراني ج١ ص ٤١.
(٤) منبع أصول الحكمة للبوني ص ٤٦ ط مصطفي البابي الحلبي مصر.
(٥) رواه الترمذي والنسائي وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
(٦) رواه أبو داود وأحمد والنسائي وصححه الألباني.

يمينه، وأخذ ذهبًا فجعله في شماله، ثم قال: «**إن هذين حرام علي ذكور أمتي**».

ومن العجائب أن المتصوفة المدعين التقرب إلي الله وابتغاء مرضاته وطلب رضوانه لا يسلكون في ذلك مسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يتبعون خطاه، فإن المسلم يعلم أن أحسن شيء ما يتكرم به العبد إلي الله هي الصلوات الخمس بأوقاتها والتنفلات والتطوعات. ولكن الصوفية لا يرون ذلك ما اشتهر عنهم بكثرة الصلوات والنوافل فالأمر عكس ذلك، نعم، هناك بعض المتصوفة هم قد عرفوا بكثرة التنفل ولكن البعض منهم أيضًا خالفوا أسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لإفراطهم في ذلك، الإفراط المنهي عنه مثل قيام الليل كله من أوله إلي آخره، وقد ذكرنا أمثلة لذلك في باب «التطرف من لوازم التصوف».

ولكن الباحث والقارئ يتفحص أحوالهم وسيرهم في كتب الطبقات والسير ليري العجب العجاب بأن القوم معظمهم لا يحضرون المساجد لأداء الصلوات الخمس ولا يحافظون عليها بل نقلوا عن كثير منهم بأنهم ما كانوا يخرجون من الروابط والزوايا، والصوامع والتكايا، والغيران والكهوف، والسراديب والخلوات أسابيع وشهورًا بل وسنوات أيضًا، لا للجمعة ولا للجماعة، مع ورود التشديد في الحضور لأداء الصلوات في المساجد ومع الجماعة وبأوقاتها. فإن الله تبارك وتعالي حينما أمر المؤمنين بإقامة الصلوات، أمرهم بأدائها مع الجماعة، فقال: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾(١).

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما سئل عن أفضل الأعمال، قال: «**أفضلها الصلاة لأول وقتها**»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه **قال**: أتي النبي صلى الله عليه وسلم رجل أعمي، فقال: يا رسول الله، إنه ليس لي قائد يقودني إلي المسجد، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرخص له فيصلي في بيته، فرخص له، فلما ولي دعاه، فقال: «**هل تسمع النداء**

(١) سورة البقرة الآية ٤٣.
(٢) رواه أحمد والترمذي وأبو داود.

بالصلاة؟»

قال: نعم، قال: «**فأجب**»[١].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**والذي نفسي بيده، لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالف إلي رجال لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم، والذي نفسي بيده، لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقًا سمينًا أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء**»[٢].

وحث المؤمنين علي الحضور في المساجد لأداء الصلاة مع الجماعة حيث قال:

«**صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة**»[٣].

وإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفون المنافق لعدم حضورهم للصلاة في المساجد مع الجماعة كما يروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال:

«لقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة إلا منافق قد علم نفاقه، أو مريض، إن كان المريض ليمشي بين رجلين حتي يأتي الصلاة.

وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنا الهدي، وإن من سره سنن الهدي الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه. وفي رواية قال: من سره أن يلقي الله تعالي غدًا مسلمًا فليحافظ علي هذه الصلوات الخمس، حيث ينادي بهن، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدي، وإنهن من سنن الهدي، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور، ثم يعمد إلي مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ورفعه بها درجة، وحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتي به يهادي بين الرجلين حتي يقام في الصف[٤].

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري.
(٣) متفق عليه.
(٤) رواه مسلم.

فهذه نبذة يسيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، وأن الله أوجب الجمعة علي المسلمين بقوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝﴾(١).

كما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم استماع الخطبة والحضور في العيدين.

ولكن القوم الذين يعدون التصوف من دين الله بل أصل الدين وأساسه وسببًا لقربه وولايته لا يرون عليهم شيئًا من ذلك. فأولاً لا يحضرون الصلوات إطلاقًا ولا يرون للمسجد قيمة وشأنًا كما نقل الشعراني في طبقاته:

«كان الإمام الحسن بن سمعون رضي الله عنه إمامًا زاهدًا ورعًا قلما يخرج من بيته إلا في أيام الجمع لأجل الصلاة، وطول نهاره في قعر بيته رضي الله عنه »(٢).

وذكر ظهير الذين القادري أيضًا صوفيًا ما كان يخرج من منزله إلا للجمعات، فيقول:

«كان ورعًا متدينًا كثير العبادة منقطعًا في منزله من الناس لا يخرج إلا في الجمعات»(٣).

وليس ترك الجماعة فقط، بل الجمعة أيضًا كما ذكر المنوفي الحسيني عن الصوفي المصري الذي قال فيه «هو الولي المجذوب العالم القطب الشريف الشاذلي «فيذكر عنه أنه ما كان يخرج من بيته إلا كل أسبوع لزيارة المشهد الحسيني وكان يخرج في موكب يذكر الله هو وإخوانه حتي إذا وصل إلي المسجد الحسيني كثر انضمام الناس إليه وتزاحموا فيدخل بهم إلي صحن المسجد فيذكرون الله جميعًا»(٤).

فلم يكن غرض خروج هذا الصوفي من بيته إلا زيارة المشهد الحسيني، فأين

---

(١) سورة الجمعة الآية ٩.

(٢) طبقات الشعراني ج ١ ص ٦٨.

(٣) الفتح المبين لظهير الدين القادري ص ٩١ ط.

(٤) جمهرة الأولياء لأبي الفيض المنوفي الحسيني ج ٢ ص ٢٦٥ ط مؤسسة الحلبي القاهرة الطبعة الأولي ١٣٨٧ هـ.

الجماعة وأين الجمعة؟

ثم ما الفائدة من هذا الذكر المقرون بالبدعات والخرافات مع ترك الجمعة والجماعة؟

وهناك صوفي آخر ذكره صاحب «تنبيه المغترين» أنه كان يخلي ولده على الخلوة أربعين يومًا فلا يفتح عليه[١].

ويروي الجعلي الفضلي عن شيخه بان النقا أنه مكث في خلوته أربعين يومًا[٢].

وهذه الأربعينية التي يتعاهدها الصوفية ويعتزلون خلالها عن الناس ويرتاحون في الأربطة والغارات فيفوتهم ثواب السعي إلي المساجد وأجر الصلاة بالجماعة والجمعة قد ذكر فتوحها وفوائدها السهروردي والباخرزي أيضًا فيقولان:

«فإذا تمت الأربعون زالت الحجب، وانصبت إليه العلوم والمعارف انصبابًا... فالعبد بانقطاعه إلي الله تعالي واعتزال الناس يقطع مسافات وجوده، ويستنبط من معدن نفسه جواهر العلوم»[٣].

فيظن الصوفية بأن الله يفتح عليهم جواهر العلوم والمعارف، ويكشف لهم الغرائب والعجائب «تعويضًا عما تركوا لأجله»[٤].

ولا يدرون أن ترك الجمعة والجماعة لا ينتج المعارف والكرامات، وإنما ينتج سخط الله ومقته، وقد سمي رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الخلوة باليهودية والنصرانية في حديث رواه أبو أمامة حيث قال:

«خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية من سراياه وقال: فمر رجل بغار فيه شيء من ماء قال:

فحدث نفسه بأن يقيم في ذلك الغار فيقوته ما كان فيه، وفيه شيء من ماء ويصيب

---

(١) تنبيه المغترين للشعراني ص٨.

(٢) كتاب الطبقات للجعلي الفضلي ص ٦٠ ط بيروت.

(٣) عوارف المعارف للسهروردي ص ٢٠٩ ط دار الكتاب العربي بيروت.

(٤) أيضًا ٢١٢.

ما حوله من البقل ويتخلي عن الدنيا ثم قال: لو أتيت نبي الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فإن أذن لي فعلت وإلا لم أفعل، فأتاه فقال: يا نبي الله إني مررت بغار فيه ما يقوتني من الماء والبقل فحدثتني نفسي بأن أقيم وأخلي من الدنيا.

فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: **«إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة. والذي نفسي بيده لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها»**(١).

وأما الأشياء التي تحصل لهم في خلواتهم فليست كرامات رحمانية كما يظنون، وإنما أحوال شيطانية كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في فتاواه:

«وهذه الخلوات قد يقصد أصحابها الأماكن التي ليس فيها أذان ولا إقامة ولا مسجد يصلي فيه الصلوات الخمس، مهجورة إما مساجد وإما غير مساجد، مثل الكهوف والغيران التي في الجبال، ومثل المقابر لا سيما قبر من يحسن به الظن ومثل المواضع التي يقال أن بها أثر نبي أو رجل صالح، ولهذا يحصل لهم في هذه المواضع أحوال شيطانية يظنون أنها كرامات رحمانية»(٢).

هذا وقد ذكر الجامي عن الصوفي المشهور شمس الدين التبريزي أنه كان يمكث في خلوته ثلاثة شهور لا يخرج منها أصلاً، كما أنه لم يكن يسمح أحدًا بالدخول فيها(٣).

والشعراني يذكر صوفيًا آخر مكث تسعة شهور في خلوته منقطعًا عن الخلق تاركًا للجمعة والجماعة فيقول:

«انقطع الشيخ عبد الحلم المنزلاوي في الخلوة تسعة شهور يقرأ في الليل ختمًا وفي النهار ختمًا، ثم خرج ينفق من الغيب إلي أن مات، وأقمت عنده في زاويته نحو سبعة وخمسين يومًا فما رأيت الفقراء احتاجوا إلي شيء إلا ويخرج لهم من كيس صغير كعقدة الإبهام جميع ما يطلبونه(٤).

---

(١) انظر لذلك تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٢٤ ط دار الوعي العربي بيروت.
(٢) فتاوي شيخ الإسلامي ج ٠ ص ٤٠٦.
(٣) نفحات الأنس للجامي ص ٤٦٦.
(٤) انظر تذكرة أولياء برصغير لميرزه اختر الدهلوي ج ٢ ص ٤٢ ط باكستان.

ومما يدل علي بعض الصوفية وكرههم للحضور في المساجد للجمعة والجماعة ما حكوه عن بركات الخياط نقلاً عن أبي السعود الجارحي أنه قال:

«مدحت الشيخ بركات الخياط للشيخ جمال الدين الصائغ مفتي الجامع الأزهر وجماعة، فقالوا: امضوا بنا نزوره، وكان يوم جمعة، فسلم المؤذن علي المنار فقالوا له: نصلي الجمعة، فقال: ما لي عادة بذلك (يعني أن الجمعة عادة وليست فرضًا)، فأنكروا عليه، فقال: نصلي اليوم لأجلكم (وليس لله)، فخرج إلي جامع المارداني فوجد في الطريق مسقاة الكلاب فتطهر منها (انظر الاستهزاء بالفرائض الإسلامية)، ثم وقع في مشنحة حمير، ففارقوه وصاروا يؤبخون الشيخ عبد الواحد الذي جاء بهم إليه، وصار الشيخ بركات يوبخ عبد الواحد ويقول: أيش هؤلاء الحجارة الذين آتيت بهم لا يعود لك بالعادة أبدًا، والله يا ولدي، مسقاة الكلاب إنما هي مثال مطعمهم ومشربهم، وكذلك مشنحة الحمير إنما هي صورة اعتقادهم النجس»[١].

وهناك آخر كان يمكث في خلوته ستة شهور كل سنة، لا يطعم شيئًا ولا يشرب، وإذا أراد الخروج من خلوته بعد ستة أشهر صاح بصوت عال ليختفي الناس عنه ولا يقع نظره علي أحد لو وقع علي أحد لكان أعمي عليه ليومين[٢].

فهكذا أدي بهم التصوف إلي الاستهزاء بفرائض الشريعة وشعائرها والجهر بهتكها ومخالفتها.

وليس ترك الجمعة والجماعة فحسب، بل صلاة العيد أيضًا كما نقلوا عن أبي السعود الجارحي أنه كان كثير المجاهدات... كان ينزل في سرب تحت الأرض من أول ليلة من رمضان فلا يخرج إلا بعد العيد بستة أيام، وذلك بوضوء واحد من غير أكل[٣].

فهل هذه هي المجاهدات التي قالوا عنها «لو أن النبوة تنال بالمجاهدة لناها عبد الكريم[٤].

---

(١) طبقات الشعراني ج ٢ ص ١٣٥.

(٢) أيضًا ج ٢ ص ١٤٥.

(٣) الطبقات الكبري للشعراني ج٢ ص ١٣٠.

(٤) انظر قلادة الجواهر لأبي الهدي الرفاعي ص ٣٥٧.

وقال الشعراني: «لو أن النبوة تنال بالمجاهدة لنالها سيدي أبو السعود[(١)].

هذا والصوفي الهندي القديم علاء الدين صابر الكليري المتوفى ٦٩٠هـ لم يخرج من خلوته سنتين[(٢)].

وأما الجعلي الفضلي فقد ذكر عن حمد النحلان الذي يقول فيه: «اجتمع بالخضر عليه السلام وأخذ عليه» يقول: «أنه مكث في الخلوة اثنين وثلاثين شهرًا، وأخذ معه ثلاث سلق قرظًا وسبع تمرات، والخلوة فيها طاقة يناولونه بها الماء، وكل ليلة مطالة قدر عين الجمل لفطوره، فلما خرج من الخلوة وجدوا القرظ والتمرات والمطاطيل علي حالها، والركوة ملآنة ماء، فجميع من شرب منها وقع مغشيًّا عليه وصار وليًّا من أولياء الله تعالي»[(٣)].

فهذا التارك للجمعة والجماعة والعيدين يري فيه الصوفية أنه كان من كبار أولياء الله تعالي ومن أصحاب الفيوض والبركات.

فهل تأتي الولاية بمخالفة الشريعة الإسلامية؟ وهل تحصل بشرب ماء من ركوة الفساق العصاة التاركين للجماعة والجمعات؟

ونقلوا عن الصوفي المشهور محمد الحنفي أنه اعتزل عن الناس وجلس في خلوة تحت الأرض سبع سنين، فيقول الشعراني نقلاً عن أبي العباس المرسي أنه قال:

«لما خرج الشيخ محمد الحنفي من الكتاب جلس يبيع الكتب في سوقها، فمر عليه بعض الرجال فقال: يا محمد، ما للدنيا خلقت، فنزل من الدكان وترك جميع ما فيه من الغلة والكتب ولم يسأل عن ذلك بعد، ثم حبب إليه الخلوة فاختلي سبع سنين لم يخرج في خلوة تحت الأرض دخلها وهو ابن أربع عشرة سنة»[(٤)].

ونقل ابن الملقن عن فتح بن شخرف الكسي أنه قال:

---

(١) انظر طبقات الشعراني ج ١ ص ١٤٠.

(٢) انظر تذكرة أولياء برصغير لأختر الدهلوي ج٢ ص ٢ ط باكستان.

(٣) كتاب الطبقات للجعلي الفضلي ص ٦٠ ط.

(٤) طبقات الشعراني ج ٢ ص ٩٠.

«تهت في الجبال سبع سنين»[١].

وليس سبع سنين فحسب، بل ذكروا عن أبي عثمان الحيري من الصوفية القدامي المتوفي سنة ٢٨٩هـ أنه اختلي عشرين سنة لم ير أثناء هذه المدة الطويلة شبحًا من الناس، وبعد العشرين أمر بمخالطة الناس فخرج إليهم[٢].

ولم يكتفوا بالعشرين، فيذكر الطوسي عن أبي عبد الله الصبيحي أنه لم يخرج ثلاثين سنة من بيت من تحت الأرض من كثرة اجتهاده وتعبده، وكان إذا تكلم بعلوم المعارف يدهش العالم[٣].

ولو اقتصر الأمر علي هذا إلا أنه قد تجاوز عن ثلاثين سنة أيضًا فذكروا عن حسين أبي علي الذي يعتقدون فيه أنه «كان من كمّل العارفين وأصحاب الدوائر الكبري، يتناول الناس الذهب والفضة «يذكرون عن وليهم وعارفهم هذا أنه «مكث نحو أربعين سنة في خلوة مسدود بابها ليس لها غير طاقة يدخل منها الهواء»[٤].

فالحاصل أن الصوفية قد زين لهم الشيطان العبادات البدعية، وبغض إليهم السبل الشرعية، وحبب إليهم الخلوة والاعتزال ليحرموا ثواب الجماعة والجمعة ولم يعرف الصوفية أنه لم يبق طريق إلي الله إلا باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وأن هذه العزلة والوحدة والاستغناء عن الأهل والولد وذوي الرحم وأصحاب القربي والأصدقاء والأخلاء، لمن الأعمال المخالفة للشريعة الإسلامية والموجبة للحرمان عن أجر السعي إلي ذكر الله وأداء الجمعة والاستماع إلي تلاوة القرآن الكريم والإصغاء إلي أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، كما أنها من الأعمال المسببة للحرمان عن أجر المصافحة ومعاشرة المسلمين بالبر والصلة وحسن الخلق وتشييع الجنائز وعيادة المرضي وزيارة القبور وخدمة الوالدين وغيرها من الخلق الحسن، وفي الحديث أن رسول الله

---

(١) طبقات الأولياء لابن الملقن ص ٢٧٤.

(٢) خزينة الأصفياء لغلام سرور اللاهوري ص ٩١ باكستان.

(٣) كتاب اللمع للطوسي ص ٥٠٠.

(٤) الطبقات الكبري لعبد الوهاب الشعراني ج٢ ص ٨٨.

صلى الله عليه وسلم قال: «**ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر الله لهما قبل أن يفترقا**»(١).

وقال صلى الله عليه وسلم:

«**من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**»(٢).

وقال: «**ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق**»(٣).

وقال عليه الصلاة والسلام:

«**لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**»(٤).

«**ومن لم يهتم للمسلمين فليس منهم**»(٥).

ولكن الصوفية المعتزلين المحبين للخلوة، المستمرين في الوحدة والعزلة شهورًا وسنين، يعتقدون عكس ما في السنن والأحاديث، فيروي كل من السلمي والسهروردي والباخرزي وابن عجيبة الحسني والشعراني قاعدة عامة للصوفية فيقولون:

«لا يزال الصوفية بخير، ما تنافروا، فإن اصطلحوا هلكوا»(٦).

وينصح ابن عربي المزيد لبركات التصوف بقوله:

«لا يزور ولا يزار، ولا يكلم أحدًا في خير ولا في شر»(٧).

ويقول في كتاب آخر:

«الصحبة أشرّ شيء على المريد، فإن الطريق مبني علي قطع المألوفات وترك المستحسنات، ولما كانت الصحبة تؤدي إلي الألفة والأنس وتغيير المحلّ بوجود الألم

---

(١) رواه أبو داود والترمذي.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أبو داود والترمذي.

(٤) رواه مسلم.

(٥) أخرجه الحاكم من حديث حذيفة والطبراني عن أبي ذر.

(٦) طبقات السلمي ص ٤٢، عوارف المعارف للسهرودي ص ١١٢، أوراد الأحباب وفصوص الآداب لأبي المفاخر يحي الباخرزي ص ١١٠ ط إيران، الفتوحات الإلهية لابن عجيبة ص٦١، الطبقات الكبري للشعراني ص ٨٧.

(٧) الأمر المحكم المربوط فيما يلزم أهل طريق الله من الشروط لابن عربي ص ٢٧٢ المنشور مع ذخائر الأخلاق وكلاهما لابن عربي القاهرة.

عند وقوع المفارقة، لهذا كرهناها»(١).

حتى أنه قال: «لا يقل المريد لأحد: كيف حالك؟»(٢).

ورووا عن أويس القرني كذبًا أنه قال:

«لا ينال الناس هذا الأمر حتى يكون الرجل كأنه قتل الناس أجمعين»(٣).

ونقلوا كذلك عن الرفاعي أنه كان يقول:

«ما لي خير إلا في الوحدة، فيا ليتني لم أعرف أحدًا»(٤).

وقد أوصى داود الطائي مريده بترك صحبة الناس ومعاشرتهم فقال:

«فرّ من الناس كفرارك من السبع»(٥).

وأما الشاذلي فيروون عنه أنه دعا ربه «يا ربّ، أقلني من الناس فلا طاقة لي بمخالطتهم»(٦).

وقال الغزالي: «الخلوة أصل، والخلط عارض، فيلزم الأصل ولا يخالط»(٧).

ويقول أحمد الكمشخانوي:

«واعلم أن التوفيق للعزلة دليل سعادة الأبد، لأن من خالط الناس داراهم، ومن داراهم راآهم، ومن راآهم نافقهم، ومن نافقهم استحق الدرك الأسفل من النار»(٨).

ويكتب ابن عربي: «إن الحق سبحانه لا يتجلّى لقلب له أنس بغيره»(٩).

ورووا عن الشبلي أنه قال:

---

(١) التدبيرات الإلهية لابن عربي ص ٢٣٤ ط مطبعة بريل ليدن ١٣٣٦ هـ.

(٢) أيضًا ص ٢٣٧.

(٣) طبقات الشعراني ج ١ ص ٢٧.

(٤) أيضًا ج ١ ص ٢٧.

(٥) الرسالة القشيرية ج١ ص ٨٤.

(٦) انظر المدرسة الشاذلية وإمامها أبو الحسن الشاذلي للدكتور عبد الحليم محمود ص ٣٥ دار الكتب الحديثة القاهرة.

(٧) فرائد اللآلئ من رسائل الغزالي ط فرج الله ذكي الكردي مصر بتحقيق محمد بخيت ١٣٤٤ هـ.

(٨) جامع الأصول في الأولياء للكمشخانوي ص ١٧٤.

(٩) التدبيرات الإلهية لابن عربي ص ٢٣٥ ط ليدن ١٣٣٦ هـ.

«علامة الإفلاس الاستئناس بالناس»(١).

وهذا كلّه رغم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره السهروردي أيضًا في عوارفه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»(٢).

وهل تأتي الألفة بالتنافر والوحدة والعزلة والفرار من الناس أم بالمعاشرة والمخالطة والالتقاء والمصاحبة؟

هذا وذكر الأموي عن الجنيد أنه قال: «من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه فليعتزل الناس، فإن هذا زمان وحشة»(٣).

ولم يأمر الصوفية معتقديهم بالتنافر والفرار عن عامة الناس فحسب، بل عن الأقرباء وذوي الرحم أيضًا كما أنشد عجيبة الحسني:

استغن عن كـل ذي قـرب وذي رحـم … الغنـي مـن اسـتغني عـن النـاس(٤)

وأين يذهب بعد الاعتزال عن الناس والاستغناء عنهم، بين ذلك صاحب «الأنوار القدسية» حيث يقول:

«من شأن المريد الصادق محبة العزلة عن الناس، واستغناؤه الجلوس في البراري والمواضع الخربة حتي يتقوي ويصبر ولا يتدنّس بالأعيار»(٥).

ويقول: «المريد الصادق يحب الخلوة البعيدة عن مرور الناس كخلاوي السطوح ويجب أن تكون ضيقة حتي لا يصلح له مدّ رجله فيها، ويجب أن تكون مظلمة لا يدخلها نور الشمس»(٦).

ولماذا يعتزل؟ يصرح بذلك الدمياطي حيث يقول:

---

(١) جامع الأصول للكمشخانوي ص ١٧٤.

(٢) انظر عوارف المعارف للسهروردي ص ١١٢.

(٣) حياة القلوب لعماد الدين الأموي بهامش قوت القلوب للمكي ج٢ ص ٩٣ ط دار صادر بيروت.

(٤) إيقاظ الهمم لابن عجيبة الحسني ص ١٢٠.

(٥) الأنوار القدسية للشعراني ج١ ص ١٤٠.

(٦) أيضًا ج ١ ص ١٤١.

«من الوصايا: العزلة، وهي التفرد عن الخلق... وليذهب المريد إلي موضع كالبرية والجبال لا تلزمه فيه الجمعة والجماعة»(١).

فترك الجمعة والجماعة هو المقصود من الاعتزال والخلوة عندهم.

وقد يذكر هذه الخلوة وآدابها وطرق الدخول فيها بحرق الحضرمي(٢) أيضًا.

وأيضًا عبد العزيز الدريني(٣).

وقد ذكر الشعراني عن بعض مشائخه أنه ما شهد جنازة قط(٤).

وينقل الفيتوري عبد السلام عن نصير الدين الأودهي العروس أنه لم يخرج قطّ إلي زيارة المريض إلي أن مات (٥).

مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«من شيع جنازة فله قيراط من الأجر، فإن وقف حتي تدفن فله قيراطان، وفي الخبر القيراط مثل جبل أحد»(٦).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: **«من عاد مريضًا لم يزل في خرفة الجنة»**(٧).

وقال عليه الصلاة والسلام: **«من أتي أخاه المسلم عائدًا مشي في خرفة الجنة حتي يجلس، فإذا جلس غمرته الرحمة، فإن كان غدوة صلّي عليه سبعون ألف ملك حتي يمسي، وإن كان مساء صلي عليه سبعون ألف ملك حتي يصبح»**(٨).

فالحاصل أن الصوفية قد وضعوا بدعات الخلوة والعزلة فرارًا عن الصلاة بالجماعة، وهروبًا عن أداء الجمعات، كما أنهم حرموا أنفسهم من أجور أخري أيضًا.

---

(١) كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء للدمياطي ص٣٥.

(٢) انظر رسالة ترتيب السلوك إلى ملك الملوك لجمال الدين محمد بن عمر بحرق الحضرمي المتوفي ٩٣٠ هـ جامعة ط بنجاب لاهور باكستان.

(٣) انظر طهارة القلوب لعبد العزيز الدريني ص ٢٥٠ ط مصطفي البابي الحلبي القاهرة.

(٤) الطبقات الكبري لعبد الوهاب الشعراني طبعة قديمة مصر.

(٥) الوصية الكبري للفيتوري ص ١٠١ ط مكتبة النجاح طرابلس ليبيا.

(٦) متفق عليه.

(٧) رواه مسلم.

(٨) رواه الترمذي وابن ماجة.

ولم يتركوا الجمعة والجماعة فحسب، بل أن بعضًا منهم قد تركوا الصلاة أصلاً كما نقل النبهاني عن عبد القادر الدشطوطي أنه كان يسمع الأذان ولكنه ما رؤي يصلّي قطّ، فاعترض عليه الناس، فقال:

«الناس معذورون، يقولون: عبد القادر ما يصلي... ولكن لنا أماكن نصلّي فيها»[١].

وهذه خرافة لا أصل لها نقلاً ولا عقلاً، إنما اخترعت لتعطيل الشريعة وتركها، وعلي ذلك يقول النبهاني محجرًا عقله ومسفهًا إياه: إياكم.

إياكم أن تنكروا علي أحد من الأولياء كونه لم يصل معكم في جماعة فإن الله تعالي رجالاً يصلون كل صلاة من الخمس في مكان غير بلدهم فبعضهم لا يصلي الجمعة دائمًا إلا بمكة أو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعضهم لا يصلي الظهر كل يوم إلا في الجامع الأبيض برملة لد ومنهم من لا يصلي المغرب كل يوم إلا علي سد إسكندر ذي القرنين أو جبل قاف ومنهم من لا يصلي العصر كل يوم إلا ببيت المقدس ومنهم من لا يصلي الصبح كل يوم إلا بالجبل المقطم قال وكان سيدي إبراهيم المتبولي وجماعة يصلون الظهر كل يوم بالجامع الأبيض برملة لد.

قال الشعراني: «وممن كان بمثل هؤلاء أيضًا سيدي علي الخواص وسيدي عبد القادر الدشطوطي وسيدي يوسف الكردي وأخبرني الشيخ يوسف الكردي أنه صلي مع سيدي إبراهيم المتبولي الظهر مرات بالجامع الأبيض برملة لد وكان أمامه نحيف الجسم فأمرني الشيخ فسلمت عليه ومشينا خطوات فإذا نحن داخل الغيط ببركة الحاج وكان سيدي إبراهيم وقت الظهر يدخل الغيط دائمًا فلا يراه أحد يصلي الظهر في مصر أبدًا»[٢].

وذكر محمد غوثي الشطاري المتوفي في القرن العاشر من الهجرة شيخه شرف الباني بتي أنه لم يكن يصلي، فاعترض عليه فقال:

«إن الله أعفاني عن الفرض وقال لي: عينك عيني، أي ذاتك ذاتي»[٣].

---

(١) جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج٢ ص ٩٥ ط دار صادر بيروت، أيضًا طبقات الشعراني ج٢ ص ١٣٩.

(٢) جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج١ ص ٢٤٥.

(٣) كلزار أبرار لمحمد غوثي شطاري ١٠٠ ط المعارف لاهور باكستان.

وهناك آخر أحمد المعشوق المتوفي ٧٧٣هـ ذكروا عنه أنه كان تاركًا للصلاة فسأله الناس عن السبب فأجاب قائلاً:

«إني امرأة حائضة، لا تجب الصلاة علي»(١).

وكذلك ذكر العطار عن ذي النون المصري أنه قال له أحد مريديه: حججت أربعين حجة وقمت الليل أربعين سنة ولكني ما حظيت بمحادثة الله تعالي ومكاشفاته، فقال له ذو النون: كل شبعًا ولا تصل العشاء.

ثم يعلق عليه العطار: لو سأل سائل ما الحكمة في الأمر بترك الصلاة؟ فالجواب أن الطريق أحيانًا تخالف ظاهر الشريعة كقتل الخضر الولد بدون سبب ظاهري، فإذن لا إنكار في الطريقة علي مثل هذه الأمور»(٢).

وحكي عن العطار أيضًا أنه كان تاركًا للصلاة وكان يقول: «إن الله رفع عني فريضة الصلاة»(٣).

وهناك صوفي كان يبغض المؤذن للصلاة، فيقول الشعراني:

«كان سيدي إبراهيم عصيفير رضي الله عنه يتشوش من قول المؤذن: «الله أكبر، فيرجمه ويقول: عليك يا كلب، نحن كفرنا يا مسلمين حتي تكبروا علينا»(٤).

وينقل ابن عجيبة الحسني عن أحد الصوفية أنه كان ينشد:

تذلل له تحظي برؤيا جماله ... ففي وجه من تهوي الفرائض والنفل(٥)

وحكي عن الواسطي أنه لما دخل نيسابور سأل أصحاب أبي عثمان: بماذا كان يأمركم شيخكم؟

فقالوا: كان يأمرنا بالتزام الطاعة ورؤية التقصير فيها:

---

(١) تذكرة أولياء برصغير للميرزه الدهلوي ج٣ ص ١٦٥.

(٢) تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار ص ٧٣ ط باكستان.

(٣) أيضًا ص ٨٦.

(٤) طبقات الشعراني ج٢ ص ١٤١.

(٥) إيقاظ الهمم لابن عجيبة الحسني ٥٠٧.

فقال: أمركم بالمجوسية المحضة.

هلا أمركم بالغيبة عنها (أي عن الطاعة) بشهود مجريها ومنشيها[١].

فإذا كان التزام الطاعة كالصلاة والصيام والحج من الفروض والسنن مجوسية محضة فما هو الإسلام؟

ومن أين استقي الصوفية فكرة الغيبة عن الطاعة بشهود منشيها ومجريها؟

وكذلك يخالفون رسول الله صلى الله عليه وسلم في تركهم للصف الأول قصدًا وعمدًا مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«**لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا**»[٢].

وقال عليه الصلاة والسلام:

«**خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها**»[٣].

وقال: «**إن الله وملائكته يصلون علي الصف الأول**»[٤].

وأما الصوفية فهم يكرهون ذلك كما قال الطوسي:

«ومن آداب الصوفية أنهم يكرهون الصلاة في الصف الأول»[٥].

ويقول الشعراني:

«وقد كان سيدي أحمد الزاهد، وسيدي محمد المغربي، وسيدي مدين، وسيدي أبو العباس الغمري يصلون دائمًا في آخر صف في مساجدهم»[٦].

ثم يبين الشعراني علة صنيعهم هذا، والعلة أقبح من الصنيع، فيقول:

«إن فعلهم هذا كان حياء من الله كما قال سيدي علي الخواص رحمه الله: حكم كمل

---

(١) أيضًا ص ١١٧.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه أحمد.

(٥) كتاب اللمع للطوسي ص ٢٠٨.

(٦) الأخلاق المتبولية للشعراني ج١ ص ٣٣٢.

العارفين إذا وقف أحدهم بين يدي ربه في الصلاة حكم من كان فسق في حريم الوالي أتوا به إليه فهو يخاف من القرب من حضرته حتي يحصل رضي الوالي أو العفو والمسامحة»[١].

إن هذا تهاون بالسنة، وإلا فما هذا الخجل والحياء والخوف؟

وهل هؤلاء الصوفية كانوا أشد خوفًا من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم. وبالتالي هم الذين يقولون: لا نعبد ربنا خوفًا وطمعًا ورهبة ورغبة كما بينا ذلك بالتفصيل.

ومن مخالفاتهم في الصلاة أيضًا ما ذكره الطوسي من آداب الصوفية أنهم إذا دخلوا البادية يتمون الفرائض ولا يقصرون الصلاة، ولا يتركون شيئًا مما كانوا يعملون في أوطانهم وإن أباح لهم العلم ترك ذلك، لأن السفر والحضر عندهم سواء[٢].

هذا وقد روي عن يعلي بن أمية قال: قلت لعمر بن الخطاب: إنما قال الله تعالي ﴿أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾، فقد أمن الناس. قال عمر: عجبت مما عجبت منه، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «**صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته**»[٣].

وعن ابن عباس قال: فرض الله الصلاة علي لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر أربعًا، وفي السفر ركعتين،وفي الخوف ركعة[٤].

وأما الصوفية فيقولون: إن طريقهم طريق الشدة ويرون العمل بالرخص انحطاطًا عن الحقيقة كما يقول ابن عربي:

«إن التصوف طريق الشدة ليس للرخاء فيه مدخل، لأن الرخص إنما هي للعامة»[٥].

---

(١) أيضًا ص ٣٣٣.

(٢) كتاب اللمع للطوسي ص ٢٢٧.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

(٥) الأمر المربوط لابن عربي ضمن ذخائر الأعلاق له أيضًا ص ٢٦٨.

وقال النفزي الرندي:

«إذا رأيت المريد انحط عن رتبة الحقيقة إلي رخص الشريعة فاعلم أنه قد نقض عهده مع الله»(١).

مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«**إن الله يحب أن تؤتي رخصه كما يحب أن تؤتي عزائمه**»(٢).

فهذه بعض مخالفات الصوفية في أهم فرائض الإسلام الصلاة.

وأما الصوم فهم خالفوا في ذلك أيضًا تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم سالكين في ذلك مسلك أهل الرياضيات الهندية ومجاهدات الرهبان النصاري، الذين يلتمسون الخوارق والبركات والتجليات والثمرات في التجوع ظنًّا منهم بأن الجوع يورث الحكمة والمعرفة والأنوار الإلهية، فالصوفية أيضًا انتهجوا منهجهم واقتفوا سنتهم، فروي عن كثير منهم أنهم كانوا يصومون الدهر كما يقول السهروردي.

«جمع من المشايخ الصوفية كانوا يديمون الصوم في السفر والحضر علي الدوام حتي لحقوا بالله».

وكان عبد الله بن جابار قد صام نيفًا وخمسين سنة لا يفطر في السفر والحضر(٣).

وحكوا عن أبي رويم بن أحمد أنه قال:

«اجتزت ببغداد وقت الهاجرة ببعض السكك، وأنا عطشان، فاستقيت من دار، ففتحت صبية بابها، ومعها كوز، فلما رأتني قالت:

صوفي يشرب بالنهار.

فما أفطرت بعد ذلك اليوم قط(٤).

ويقول الطوسي:

---

(١) غيث المواهب العلية للنفزي ج ١ ص ١٩٩.

(٢) قد ذكر هذا الحديث ابن عربي أيضًا في كتابه «الجواب المستقيم» ص١٤٨ من «ختم الأولياء».

(٣) عوارف المعارف للسهروردي ص ٣٣١، أيضًا اللمع للطوسي ص ٢٢٠.

(٤) الرسالة القشيرية ج١ ص ١٢٧، اللمع للطوسي ص ٢١٧، ٢١٨، روضة التعريف للسان الدين بن الخطيب ص ٦٧٣، تذكرة الأولياء للعطار ص ٢٠٩، طبقات الأولياء لابن الملقن ص ٢٢٩.

«حكي عن الجنيد أنه كان يصوم علي الدوام... وحكي عن بعض المشايخ الأجلة أنه قال:

صمت كذا وكذا سنة لغير الله، وذلك أن شابًا كان يصحبه، فكان يصوم حتي ينظر إليه ذلك الشاب فيتأدب به ويصوم بصيامه.

ورأيت أبا الحسن المكي بالبصرة رحمه الله، فكان يصوم الدهر ولا يأكل الخبز إلا كل ليلة جمعة[(١)].

ونقل المنوفي الحسيني عن إبراهيم بن أدهم أيضًا أنه كان يصوم في السفر والحضر[(٢)].

ورووا عن أحد أصحاب البسطامي أنه قام الليل وصام الدهر ثلاثين سنة[(٣)].

وذكر الدريني المتوفي ٦٩٧هـ عن داود بن أبي هند أنه صام أربعين سنة لم يعلم الناس ولا أهل بيته، وكان يأخذ الخبز ويخرج فيتصدق به فيظن الناس أنه يأكل في البيت، ويظن أهل بيته أنه يأكل مع الناس[(٤)].

وأما الشعراني فيذكر عن أحمد السطيحة أنه:

«كان رضي الله عنه يعرف سريان القلوب، وكان رضي الله عنه صائم الدهر»[(٥)].

وصوم الدهر هذا مخالف تمامًا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال:

«أفضل الصيام صيام أخي داود عليه السلام، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا»[(٦)].

وروي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه قال: لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

«ألم أحدث عنك أنك تقوم الليل وأنت الذي تقول لأقومن الليل وأصومن النهار»،

---

(١) كتاب اللمع للطوسي ص ٢٢٠.

(٢) جمهرة الأولياء للمنوفي الحسيني ج ٢ ص ١٢٧.

(٣) النور من كلمات أبي طيفور للسهلجي ص ١١٢.

(٤) طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب لعبد العزيز الدريني ص ٢٠٩ ط البابي الحلبي.

(٥) طبقات الشعراني ج ٢ ص ١٣٨.

(٦) متفق عليه.

قال: أحسبه قال: نعم يا رسول الله قد قلت ذلك، فقال: «**فقم ونم، وصم وأفطر، وصم من كل شهر ثلاثة أيام، ولك مثل صيام الدهر**»، قال: قلت: يا رسول الله إني أطيق أكثر من ذلك، قال: «**فصم يومًا وأفطر يومين**»، قلت: إني أطيق أفضل من ذلك. قال: «**فصم يومًا وأفطر يومًا وهو أعدل الصيام، وهو صيام داود عليه السلام**».

قلت: إني أطيق أفضل من ذلك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا أفضل من ذلك**»[١].

وخالفوا الشريعة في الزكاة أيضًا كما روي ابن زروق والجامي وابن عجيبة والمنوفي أن واحدًا من علماء الفقه سأل الشبلي:

كما في خمس من الإبل؟ فسكت الشبلي، فأكثر ابن بشار. فقال له الشبلي:

في واجب الشرع شاة، وفيما يجب علي أمثالنا كلها لله[٢].

وأما الهجويري فيروي عنه أيضًا مثل ذلك فيقول:

«ووجدت في الحكايات أن واحدًا من علماء الظاهر سأل الشبلي علي سبيل التجربة عن الزكاة قائلاً: ما الذي يجب أن يعطي من الزكاة؟

قال: حين يكون البخل موجودًا ويحصل المال فيجب أن يعطي خمسة دارهم عن كل مائتي درهم، ونصف دينار عن كل عشرين دينارًا، هذا في مذهبك، أما في مذهبي فيجب أن لا تملك شيئًا حتي تتخلص من مشغلة الزكاة[٣].

وعلي ذلك نقل الطوسي والقشيري والسهروردي وغيرهم عن السري السقطي أنه قال:

«لا تسأل من أحد شيئًا، ولا تأخذ من أحد شيئًا، ولا يكن معك شيء تعطي منه أحدًا»[٤].

---

(١) متفق عليه.

(٢) قواعد التصوف لابن زروق ص ٢٠، نفحات الأنس للجامي ص ١٣٩، الفتوحات الإلهية لابن عجيبة الحسني ص ٥١، جهرة الأولياء للمنوفي ج٢ ص ١٥٣.

(٣) كشف المحجوب للهجويري ص ٥٥٨.

(٤) اللمع للطوسي ص ٢٦٢، الرسالة القشيرية ج ١ ص ٧١، عوارف المعارف للسهرودي ص٩٢.

ويقول سمنون المحب: الفقير الصادق هو الذي يأنس بالعدم كما يأنس الجاهل بالغني[١].

ومن إحدي خرافات النفري في مواقفه أنه قال:

«قال لي الله: إن كنت ذا مال فما أنا منك، ولا أنت مني»[٢].

وحكي ابن الملقن في هذا المعني عن الجنيد أنه قال:

«جاء إبراهيم الصياد يومًا إلي سري وهو متزر بقطعة حصير، فأمر السري فجيء بجبة فامتنع من لبسها، فقال له سري: البسها، فإنه كان معي مقدار عشرة دارهم من موضع حلال فاشتريتها به، فنظر إليه شزرا، وقال: أنت تقعد مع الفقراء ومعك عشرة دارهم، وامتنع من أخذها»[٣].

ولذلك لا يشتغلون بالكسب وطلب المعاش، بل يظنونه ركونًا إلي الدنيا[٤].

وأما الحج فأحيانًا يستهزئون به، وأحيانًا كانوا يخرجون له بدون زاد وراحلة يتكففون الناس ويستجدون منهم، ويمدون الأيدي إليهم، وقد مر بيان هذا فيما سبق عند ذكر تطرفهم في التوكل.

وأما تركه والاستهزاء به فيذكر العطار عن أبي يزيد البسطامي أنه خرج مرة للحج، فرجع من الطريق فسألوه عن السبب، فقال: لقيني في الطريق رجل حبشي وقال لي: لماذا تركت الله ببسطام فرجعت[٥].

ونقل السهلجي والعطار عن البسطامي أيضًا أنه قال:

«خرجت إلي الحج، فاستقبلني رجل في بعض المتاهات فقال: أبا يزيد إلي أين؟ فقلت: إلي الحج، فقال: كم معك من الدراهم؟

---

(١) طبقات الصوفية لعبد الرحمن السلمي ص ٤٧ ط.

(٢) كتاب المواقف لمحمد بن عبد الجبار النفري ص ٥٤ ط مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٤م.

(٣) طبقات الأولياء لابن الملقن ص ٢٥.

(٤) انظر لذلك قوت القلوب ج ١ ص ٢٥٢، أيضًا كتاب اللمع للطوسي ص ٢٦١، أيضًا غيث المواهب العلية للنفزي الرندي ج ١ ص ٢٠٨.

(٥) تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار ص ٨٢.

قلت: معي مائتا درهم: فقال: طف حولي سبع مرات، وناولني المائتي درهم فإن لي عيالاً، فطفت حوله وناولته المائتي درهم[١].

ونقل عنه الهجويري أنه قال:

«صرت إلي مكة، فرأيت البيت مفردًا، فقلت: حجي غير مقبول، لأني رأيت أحجارًا كثيرة من هذا الجنس. وذهبت مرة أخري فرأيت البيت ورب البيت، قلت لا حقيقة للتوحيد بعد. وذهبت مرة ثالثة فرأيت الكل رب البيت، ولا بيت»[٢].

ومثل ذلك حكي سبط ابن الجوزي نقلاً عن ابن خميس أنه قال:

قال أبو يزيد: حججت أول حجة فرأيت البيت ولم أر صاحب البيت، وحججت ثالثًا فلم أر البيت ولا صاحب البيت ولا الناس[٣].

ومما يدل كذلك علي استهزاء القوم بالكعبة وإهانتهم لها وللطواف حولها ما ذكر النبهاني نقلاً عن إبراهيم الخواص أنه قال:

«إن الكعبة طافت بالشيخ إبراهيم المتبولي حجرًا حجرًا، ثم رجع كل حجر إلي مكانه. قال اليافعي رحمه الله تعالي:

وقد سمعنا سماعًا محققًا أن جماعة من القوم شوهدت الكعبة وهي تطوف بهم طوافًا محققًا[٤].

وذكروا مثل ذلك عن رابعة البصرية أيضًا فقالوا:

«سافرت رابعة إلي مكة فرأت أثناء الطريق كعبة الله تمشي إليها - عياذًا بالله - فقالت: لا أريد الكعبة، بل أريد ربها»[٥].

وذكر السهلجي مثل ذلك عن البسطامي حيث روي عنه أنه قال:

---

(١) النور من كلمات أبي طيفور للسهلجي ص ١٦٤ من شطحات الصوفية للدكتور بدوي، تذكرة الأولياء للعطار ص ٨٢.

(٢) كشف المحجوب للهجويري ص ٣١٩.

(٣) مرآة الزمان لسبط بن الجوزي ص ٢١٤ ضمن شطحات الصوفية للبدوي.

(٤) جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج ١ ص ٢٤٥.

(٥) انظر خزينة الأصفياء لغلام سرور اللاهوري ص ٤١٣ ط باكستان.

«كنت أطوف حول بيت الله الحرام، فلما أن وصلت إليه رأيت البيت يطوف حولي»[١] وليس هذا فحسب، بل قال الحسن بن علوية:

«ذهب أبو يزيد إلي مكة مع واحد من تلامذته. فلما دخل المدينة جاءت مكة إلي المدينة فطافت حوالي أبي يزيد، فغشي علي تلميذه وقع علي الأرض. فلما أفاق مسح رأسه وقال: تعجبت؟

فقال: نعم، قال: والله إن جاءت إلي بسطام لكانت مقصرة في حقي - عياذًا بالله[٢].

هل هناك استهزاء واستخفاف بالكعبة والطواف حولها أكبر وأشد من هذا؟

وأليس هذه الهذيانات إهانة ونيلاً من شأن ركن من أركان الإسلام الخمسة؟

ومن إهانتهم كذلك للكعبة المشرفة - زادها الله شرفًا وتعظيمًا وتكريمًا رغم أنوف الصوفية - أن أحد الصوفية بالهند الشيخ محمد يعقوب سئل:

ما الفرق بين معبد السيخ (طائفة من كفار الهند) وبين بيت الله الحرام؟ فأجاب بقوله: ليس بينهما أي فرق[٣].

وأما الشعراني فقال:

«لا ينبغي للمريد أن يستدبر شيخه أبدًا إلا بإذن، ويكون ذلك مع استشعار المريد الخجل والحياء حتي كأنه يمشي علي الجمر، **فإن شيخه أعظم حرمة من الكعبة**»[٤].

ويجعل شأن زاوية محمد الغمري مثل شأن بيت الله الحرام، فيقول:

«إن جماعة تراهنوا علي أنهم يجدون زاوية سيدي محمد الغمري في المحلة الكبري ساكتة عن الذكر في ليل أو نهار فلم يجدوها فكانت كالكعبة بالنسبة للطائفين»[٥].

ولم يستخفوا بالكعبة فقط بل الحجر الأسود كما ذكر النبهاني عن ابن عربي أن:

«الكعبة كلمته، وكذلك الحجر الأسود، وأنها طافت به، ثم تلمذت له وطلبت منه

(١) النور من كلمات أبي طيفور للسهلجي ص ١٣٩.

(٢) أيضًا ص ١٨٥.

(٣) تذكرة غوثية للشطاري الماندوي ص ٩٦ ط باكستان.

(٤) الأنوار القدسية للشعراني ج ٢ ص ٥٤ دار إحياء التراث العربي بغداد.

(٥) أيضًا ج ٢ ص ١٤٠.

ترقيتها إلي مقامات في طريق القوم، فرقاها لها وناشدها أشعارًا وناشدته فراجعه وحاشاً أولياء الله أن يخبروا خلاف الواقع»[١].

وتجاوزوا في إهانتها جميع الحدود وبلغوا أقصاها حيث نقلوا عن الشبلي أنه رأي الناس شعلة من نار في يده فسألوه السبب؟

فأجاب: أريد أن أحرق بها الكعبة ليتوجه الناس إلي ربها[٢].

وأخيرًا ننقل من الصوفي المصري عبد الرحمن الصفوري حكاية تدل علي السخرية بالكعبة المشرفة والمدينة المنورة وبيت المقدس فيذكر عنه الخواص أنه قال:

«زرت ولية كبيرة من أولياء الله فقلت لها:

هل لك في بلادنا؟

فقالت: وما أصنع في بلادك؟

فقلت لها: فيها مكة والمدينة وبيت المقدس. فقالت: ارفع رأسك، فرفعت رأسي، فإذا بالكعبة والمدينة وبيت المقدس يحومون علي رأسي في الهواء[٣].

فهذه هي حقيقة الحج والكعبة والطواف حولها لدي المتصوفة، وتلك هي مخالفاتهم للشريعة الإسلامية وإهانتهم لأركانها - أعاذنا الله من ذلك.

ومن أعمالهم المخالفة للشريعة الإسلامية عدم اعتنائهم بالنظافة والطهارة التي جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف الإيمان[٤].

وروي عنه عليه الصلاة والسلام في فضل الطيب والنظافة أنه قال:

«إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا ولا تشبهوا باليهود»[٥].

ولكن الصوفية ينصحون مريديهم عكس ذلك، فيكتب عبد الغني الرافعي:

---

(١) جامع كرامات الأولياء للنبهاني ص ١٢٠.

(٢) تذكرة الأولياء للعطار ص ٣٠٤.

(٣) نزهة المجالس للصفوري ج١ ص ١٨ ط دار الكتاب العلمية بيروت.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه الترمذي.

«كل مريد غسل ثوبه بغير نجاسة، أو اكتحل، أو رجل شعره، أو حسن شيئًا من زينة ظاهره لغير ضرورة أو أمر شيخ فهو عامل نفسه، وقالوا لبعضهم: لم لا تمشط لحيتك؟

فقال: إني إذن فارغ(١).

مع أنه روي عن أنس رضي الله عنه أنه قال:

«كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته»(٢).

وروي عن عطاء بن يسار قال:

«كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فدخل رجل ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، كأنه يأمره بإصلاح شعره ولحيته ففعل، ثم رجع. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«أليس هذا خيرًا من أن يأتي أحدكم وهو ثائر الرأس كأنه شيطان»(٣).

وأما الشعراني فيروي عن الصوفي الشيخ محمد السروي أنه «جاءه الشيخ علي الحديدي يطلب منه الطريق فرآه ملتفتًا لنظافة ثيابه فقال:

إن كنت تطلب الطريق فاجعل ثيابك ممسحة لأيدي الفقراء، فكان كل من أكل سمكًا أو زفرًا يمسح في ثوبه يده مدة سنة وسبعة شهور حتي صارت ثيابه كثياب الزياتين أو المساكين، فلما رأي ثيابه لقنه الذكر(٤).

وذكر أيضًا صوفيًّا آخر أنجس وأقذر بكثير، فقال:

«كان سيدي بركات الخياط رضي الله عنه يخيط المضربات المثمنة، وكان رضي الله عنه يقول لمن يخيط له: هات معك فوطة وإلا يتسخ قماشك من ثيابي.

وكان دكانه منتنًا قذرًا لأن كل كلب وجد ميتًا أو قطًا أو خروفًا يأتي به فيضعه

---

(١) ترصيع الجواهر المكية لعبد الغني الرافعي ص ٣٦ ط المطبعة العامرية الشرفية مصر ١٣٠١ هـ ومثلة في تذكرة الأولياء للعطار ص ١٢٩.

(٢) رواه في شرح السنة.

(٣) رواه مالك.

(٤) طبقات الشعراني ج ٢ ص ١٢٨.

داخل الدكان، فكان لا يستطيع أحد أن يجلس عنده»[١].

وقد ذكر صاحب «الأنوار القدسية» عدم الاعتناء بالنظافة كقاعدة عامة لجميع المتصوفة حيث قال:

«يجب علي المريد الصبر علي وسخ الثياب وتخريقها حتي يزول وسخ قلبه»[٢].

وروي الشيخ نور الدين السمهودي أنه كان له فروة كبش مغشاة بثوب طرح يلبسها صيفًا وشتاء، وكانت عمامته من غليظ المحلاوي، يغسلها مرة في السنة[٣].

وذكر ابن الملقن أن امرأة كانت تخدم الجنيد قالت:

«جئت يومًا إلي النوري، وكان يومًا شديد البرد والريح، فوجدته في المسجد وحده جالسًا، فأمرني بإحضار خبز ولبن، فأحضرته، وكان بين يديه قصعة فيها فحم، فقلبه بيده وهو مشتعل، ثم أخذ الخبز واللبن، فجعل اللبن يسيل علي يديه، وفيها سواد الفحم، فقلت: يا رب، ما أقذر أولياءك، ما فيهم أحد نظيف.

قالت: ثم خرجت من عنده، فتعلقت بي امرأة وقالت: سرقت رزمة ثياب، وجروني إلي الشرطي، فأخبر النوري بذلك، فخرج وقال: لا تتعرض لها، فإنها ولية، فقال الشرطي: كيف أصنع المرأة تدعي ذلك؟

قالت: فجاءت جارية ومعها الرزمة المطلوبة. وانطلق النوري بزيتونة، وقال لها: تقولين بعد هذا: يا رب ما أقذر أولياءك؟ فقالت: تبت[٤].

فالمعني أنه لا يحق لأحد أن يعترض علي قذارة الصوفية ونجاستهم، ولا يجوز أن ينصح أحد هؤلاء المنتين المتشبهين باليهود الأقذار المهتمين بوضع الكلاب والقطط الميتة في مساكنهم، لا ينصحهم أحد باعتناء النظافة والطهارة، وإلا فيصيبهم عقاب من عند الله وعذاب أليم.

---

(١) طبقات الشعراني ج٢ ص ١٤٥.

(٢) الأنوار القدسية لعبد الوهاب الشعراني ج ١ ص ٩٠.

(٣) الطبقات الصغري لعبد الوهاب الشعراني ص ٦٢ تحقيق عبد القادر عطا ط مكتبة القاهرة ١٣٩٠ هـ.

(٤) طبقات الأولياء لابن الملقن ص ٦٦.

هذا وأن هناك مخالفة أخري لنص الشريعة الإسلامية، يرتكبها الصوفية، وهي: إضاعة المال وإتلافه، وقد نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك حيث قال:

«إن الله كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[١].

وأما الصوفية فيروون عن الشبلي أنه ألقي بأربعة آلاف دينار جملة في دجلة، فقالوا له: ما تفعل؟

قال: الحجر أولي بالماء، قالوا: لم لا تعطيها للخلق؟

قال: سبحان الله، بم أحتج إلي الله في أني رفعت الحجاب عن قلبي، وجعلته علي قلوب أخوتي المسلمين[٢].

وروي الطوسي عن الحسين النوري أنه حمل إليه ثلثمائة دينار، قد باعوا عقارًا له، فجلس علي قنطرة الصراط وهو يحذف بواحد واحد منها إلي الماء، ويقول:

سيدي تريد أن تخدعني بهذا؟[٣].

ومن الحكايات في هذا المعني ما ذكرها النفزي الرندي عن أبي عبد الله الرازي أنه قال:

كساني ابن الأنباري صوفًا، ورأيت علي رأس الشبلي قلنسوة ظريفة تليق بذلك الصوف، فتمنيت في نفسي أن يكونا جميعًا لي، فلما قام الشبلي من مجلسه التفت إلي، فتبعته. وكان من عاداته إذا أراد أن أتبعه أن يلتفت إلي.

فلما دخل داره دخلت، فقال: انزع الصوف، فنزعه، فلفه، وطرح عليه القلنسوة، ودعا بنار فأحرقهما[٤].

وعلي ذلك ذكر عنه الشعراني أنه كان إذا أعجبه شيء من ثيابه يذهب إلي التنور فيحرقه، فيقال له: هلا تصدقت به؟

فيقول: ما أشغل قلبي كذلك يشغل قلب غيري[٥].

---

(١) متفق عليه.

(٢) كشف المحجوب للهجويري ص٤٦٢.

(٣) كتاب اللمع للطوسي ٢٥٧.

(٤) غيث المواهب العلية للنفزي الرندي ج٢ ص٩٩.

(٥) الأنوار القدسية للشعراني ج١ ص ٩٠، أيضًا الطبقات الكبري له ج١ ص ١٠٤.

وقال الطوسي:

«دخل بعضهم عليه فرأي بين يديه اللوز والسكر وهو يحرقهما بالنار»(١).

هذا ومثل هذا كثير.

ومن مخالفتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حلق اللحية حيث أمر بإعفائها، وعدها من الفطرة حيث قال: عشر من الفطرة: «**قص الشارب، وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم**(٢) **ونتف الأبط وحلق العانة وانتقاص الماء**» وقال الراوي: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة(٣).

وأما الصوفية فثبت منهم خلاف ذلك، فيقول الشعراني:

«وبعضهم (الصوفية) يحلق رأسه وحواجبه ولحيته»(٤).

وبهذا صرح أبو نعيم الأصفهاني والعطار عن أبي بكر الشبلي نقلاً عن أحمد بن محمد النهاوندي أنه قال:

«مات للشبلي ابن كان اسمه غالبًا، فجزت أمه شعرها عليه، وكان للشبلي لحية كبيرة فأمر بحلق الجميع، فقيل له: يا أستاذ، ما حملك علي هذا؟

فقال: جزت هذه شعرها علي مفقود، فكيف لا أحلق لحيتي أنا علي موجود؟»(٥).

وإلي ذلك أشار ابن زروق في كتابه(٦).

وورد عن أبي يزيد البسطامي أيضًا أنه أمر مريده بحلق اللحية، والحكاية بكاملها ذكرها السهلجي، وابن عجيبة، وعبد الغني الرافعي، فينقلون عن الحسن بن علي الدامغاني أنه قال:

كان رجل من أهل بسطام لا ينقطع عن مجلس أبي يزيد ولا يفارقه. فقال له ذات

---

(١) كتاب اللمع للطوسي ص ٤٨٣.

(٢) أي: العقد التي علي ظهر مفاصل الأصابع.

(٣) رواه مسلم.

(٤) الأخلاق المتبولية للشعراني ج١ ص ٢٧٦.

(٥) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ج١٠ ص ٣٧٠، أيضًا تذكرة الأولياء للعطار ص ٢٨٢.

(٦) انظر قواعد التصوف لابن زروق ص ٨٧ ط مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٦ هـ.

يوم: أستاذ! أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر وأقوم الليل، وقد تركت الشهوات وليس أجد في قلبي من هذا الذي تذكره شيئًا بتة. وأنا أؤمن بكل شيء، تقول وأصدق به. فقال له أبو يزيد: لو صمت ثلثمائة سنة وقمت ثلثمائة سنة وأنت علي ما أراك لا تجد من هذا العلم ذرة. قال: ولم يا أستاذ؟ قال: لأنك محجوب بنفسك. قال له: فلهذا دواء حتي ينكشف هذا الحجاب؟ قال: نعم! ولكنك لا تقبل ولا تعمل. قال: بلي! أنا أقبل وأعمل ما تقول. فقال له أبو يزيد: اذهب الساعة إلي الحجام واحلق رأسك ولحيتك وانزع منك هذا اللباس واتزر بعباء وعلق في عتقك مخلاة واملأها جوزًا واجمع حولك صبيانًا وقل بأعلي صوتك: يا صبيان! من صفعني صفعة أعطيته جوزة. وادخل إلي سوقك التي تعظم فيه وينظر إليك كل من عرفك علي هذه الحالة. فقال: يا أبا يزيد! سبحان الله! تقول لي مثل هذا ويحسن أن أفعل هذا؟ فقال أبو يزيد: قول: «سبحان الله» شرك. قال: وكيف؟ قال أبو يزيد: لأنك عظمت نفسك فسبحتها. فقال: يا أبا يزيد! هذا ليس أقدر عليه ولا أفعله، ولكن دلني علي غير هذا حتي أفعله. فقال له أبو يزيد: ابتدأ بهذا قبل كل شيء حتي تسقط جاهك وتذل نفسك، ثم بعد ذلك أعرفك ما يصلح لك. فقال: لا أطيق هذا. قال: قلت إنك لا تقبل وأنا أعلم»[(١)].

فإذن لا يصلح أمر التصوف إلا لمن بادر إلي مخالفة الشرع بأمر شيخه ولم ينكر عليه، ولذلك كتب الشعراني:

«لا ينبغي لأحد أن يبادر إلي الإنكار علي من أمره شيخه بحلق لحيته، فربما كان ذلك من شيخه ليدفع به عنه الكبر والفخر»[(٢)].

فهل يندفع الكبر والفخر، وتتأتي اللذة في الصوم والصلاة والتلاوة بالخروج علي الكتاب والسنة؟

وبالمناسبة ننقل هنا ما قاله الأفلاكي نقلاً عن بعض مشايخه أنه قال:

---

(١) النور من كلمات أبي طيفور للسهلجي ص ١١٢ ، ١١٣، إيقاظ الهمم لابن عجيبة ص٣٦، ترصيع الجواهر المكية لعبد الغني الرافعي ص٢٢.

(٢) الأخلاق المتبولية للشعراني ج١ ص ٤١٢.

«من سعادة المرء خفة لحيته، لأن اللحية حلية المرء، وفي كثرتها إعجاب المرء بنفسه، وهو من المهلكات»[١].

وهذا كله رغم ادعائهم «من لم يتقيد بالكتاب والسنة فلا يمشي في ركابنا»[٢].

وقال الدسوقي: «كل من خالف السنة فهو عدوي»[٣].

ويقول الأسمر الفيتوري:

«من لم يتبع السنة فليس منا ولا نأخذ بيده»[٤].

علي كل فإن الصوفية مع ادعائهم بأن طريقتهم مبنية علي الكتاب والسنة ومتقيدة بهما لا يبالون بمخالفة أوامر الشرع ونواهيه، وبل وأنهم يحكمون بما يخالف الشريعة التي جاء بها محمد صلوات الله وسلامه عليه، وستأتي أمثلة ذلك في الباب التالي، ادعاء بأنهم لا يفعلون شيئًا إلا إذا أمروا كما قال ظهير الدين القادري:

«أنا لا أفعل شيئًا إلا إذا أمرت»[٥].

والأمر من الله يكون أحيانًا بالمخاطبة علي لسان الهاتف كما يصرح بذلك ابن عجيبة الحسني حيث يقول:

«وتكون أيضًا مخاطبات علي ألسنة الهواتف الكونية، فيسمع العارف منها كل ما يحتاج إليه، وهذا أمر مجرب لمن ذاق الفهم عن الله وفي ذلك يقول القشيري:

أنـــــا بـــــــالله أنطـــــــق ومـــــــن الله أســـــــمع[٦]

وأحيانًا يكون الأمر والنهي بنزول الملك كما يبين ذلك عبد العزيز الدباغ بقوله:

«إن الولي ينزل عليه الملك بالأمر والنهي»[٧].

---

(١) مناقب العارفين (فارس) لشمس الدين أحمد الأفلاكي العارفي ج١ ص ٤١٢ تهران ١٣٦٢ هـ.

(٢) الأخلاق المتبولية للشعراني ج١ ص ٢٥٨.

(٣) أيضًا.

(٤) الوصية الكبري للأسمر الفيتوري ص٥٥.

(٥) انظر الفتح المبين لظهير الدين القادري ص ٤٠ ط.

(٦) التوحات الإلهية لأحمد بن محمد بن عجيبة الحسني ص ٢٥٥ ط عالم الفكر القاهرة.

(٧) الإبريز للدباغ ص ١٥١ طبعة قديمة مصر.

وقد بسطنا القول في مسألة نزول الوحي وإتيان الملائكة في كتابنا «التصوف: المنشأ والمصادر» فليراجع إلي ذلك[١].

وعلي ذلك ادعي الصوفية أخذ العلم عن الله بلا واسطة، أي بلا واسطة الرسول صلى الله عليه وسلم، وسيأتي بيان ذلك أيضًا في الباب التالي إن شاء الله.

وإن القوم ليخالفون شرع الله، كتاب الرب وسنة النبي لأنهم لا يبالون بأوامرهما ومنهياتهما، وإن بعضًا منهم ليستخف بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم مثلما نقل السهلجي عن أبي يزيد البسطامي أنه قال:

«أراد موسي عليه السلام أن يري الله تعالي، وأنا ما أردت أن أري الله، هو أراد أن يراني»[٢].

وحكي العطار وأبو طالب المكي وسبط ابن الجوزي عن بعض أصحاب أبي يزيد أنه قال: «كان عندي شاب صغير ملازم للخلوة فقلت له: هل رأيت أبا يزيد؟ قال: لا. فتركته أيامًا وأعدت عليه القول. قال: لا. فلما أكثرت عليه قال: رأيت الله فأغناني عن أبي يزيد. قال: فكررت عليه القول وهو لا يزيد علي هذا. فغاظني. فقلت: لو رأيت أبا يزيد مرة كان أنفع لك من رؤية الله سبعين مرة. فقال: قم بنا إليه. فخرجنا نطلب أبا يزيد. وإذا به قد خرج من النهر وفروته مقلوبة علي كتفه. فلما رآه الشاب صاح ومات. فقلت لأبي يزيد: ما هذا؟ فإنه ذكر أنه يري الله وما مات. يراك فيموت؟ فقال: نعم! كان يري الله علي قدر حاله. فلما نظر إلي. رأي الله علي قدر حالي فلم يثبت فمات. قال: ثم داريناه فغسلناه وكفناه وصلي عليه ودفنه وبكي»[٣].

وحكي السهلجي والعطار عنه أيضًا أنه جاءه رجل فقرأ عنده: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝﴾ قال أبو يزيد: وحياته إن بطشي أشد من بطشه[٤].

(١) انظر «التصوف: المنشأ والمصادر» للمؤلف ص ١٥٩ وما بعد ط إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان.

(٢) النور من كلمات أبي طيفور للسهلجي ص١٨٥ من شطحات الصوفية للدكتور عبد الرحمن بدوي ط وكالة المطبوعات الكويت.

(٣) تذكرة الأولياء لفريد الدين عطار ص ٨٤ ط باكستان، أيضًا مرآة الزمان لسبط بن الجوزي ص٢١٣، ٢١٤ من شطحات الصوفية للدكتور بدوي، أيضًا قوت القلوب لأبي طالب المكي ط دار صادر بيروت.

(٤) النور من كلمات أبي طيفور للسهلجي ص ١٤٣، أيضًا تذكرة الأولياء للعطار ٢٨٨، أيضًا شرح شطحيات=

ونقل روزبهان بقلي شيرازي عن أبي موسي أنه قال:

«سمع أبو يزيد مؤذنًا يقول: الله أكبر، فقال:

«وأنا أكبر من الله» - عياذًا بالله -[١].

ويروون في كتبهم حديثًا موضوعًا حيث يكذبون علي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«رأيت ربي في سكك المدينة علي صورة شاب أمرد»[٢].

ونقل العراقي المتوفي ٦٨٨هـ عن الوراق أنه قال:

«ليس بيني وبين ربي فرق إلا أني تقدمت بالعبودية»[٣].

ومن إهاناتهم لله سبحانه عز وجل أنهم نقلوا عن البسطامي أنه قال: له الحق أخرج إلي خلقي بصفتي (وفي رواية بصورتي) فمن رآك رآني، ومن عظمك عظمني، فلم يسعني إلا امتثال أمر ربي، فخطوت خطوة إلي نفسي من ربي فغشي عليه، فإذا النداء «ردوا علي حبيبي فلا صبر له عني»[٤].

ونقلوا عن بعض المشايخ أنه قال لتلميذه:

«هل رأيت أبا يزيد»؟

فقال التلميذ: رأيت الله فأغناني عن أبي يزيد، فقال له العارف:

لأن تري أبا يزيد مرة كان خيرًا لك من أن تري الله ألف مرة.

فلما سمع ذلك منه رحل إليه فقعد مع العارف علي طريقه، فعبر أبو يزيد وفروته علي كتفه، فقال العارف للتلميذ:

هذا أبو يزيد، فنظر إليه فمات من ساعته[٥].

= لروزبهان بقلي شيرازي ص١٢٩ ط طهران ١٣٦٠ هـ.

(١) شرح شطحيات لروزبهان بقلي شيرازي (فارسي) ص١٠١ ط طهران ١٣٦٠هـ.

(٢) حضرات القدس (فارسي) لبدر الدين السرهندي ط وزارة الأوقاف لاهور ١٩٧١.

(٣) لمعات (فارسي) لفخر الدين العراقي ص ١٠٢ بتصحيح محمد خواجوي ط انتشارات مولي إيران ١٣٦٣ هـ.

(٤) شرح كلمات الصوفية جمع وتأليف محمود محمود الغراب ص ١٥٦ ط مطبعة زيد بن ثابت القاهرة ١٤٠٢ هـ.

(٥) أيضًا ص ١٥١.

وتجاوز أبو الحسن الخرقانغ جميع الحدود وقال:

«صارعت الله وصارعني، فغلب علي»[١].

«لأني أقل من ربي سنتين»[٢].

والعجب كل العجب علي الصوفية الذين يسمون هذه الإهانات والهفوات شطحيات المشايخ ويتأولونها بتأويلات لا يقرها العقل ولا النقل، ويخترعون لهم أعذارًا لا تؤيدها الشريعة الإسلامية، ويقولون: لا إنكار عليهم في أقوالهم وأفعالهم لأنهم محفوظون عن الخطأ والزلل[٣].

فدين الصوفية دين السخرية والاستهزاء، لا يخافون في ذلك لومة لائم، فنقلوا عن البسطامي أنه قال:

«غبت في الجبروت، وخضت بحار الملكوت وحجب اللاهوت حتي وصلت إلي العرش فإذا هو خال، فألقيت نفسي عليه وقلت:

سيدي، أين أطلبك؟

فكشفت، فرأيت أني أنا، فأنا أنا[٤].

وحكوا عنه أيضًا أنه قال:

«ضربت خيمتي بإزاء العرش»[٥].

وحكوا عن الشبلي أنه سئل: متي تستريح؟

فقال: إذا لم أر لله ذاكرًا[٦].

كما نقلوا عن الخرقاني حكاية قالوا فيها:

«نزل صوفي من الهواء يومًا وقال لأبي الحسن الخرقاني:

---

(١) شرح شطحيات لروزبهان بقلي شيرازي (فارس ص ١٨١ ط طهران ١٣٦٠هـ).

(٢) لمعات لفخر الدين العراقي ص١٠٢ بتصحيح محمد خواجوي ط انتشارات مولي إيران ١٣٦٣ هـ.

(٣) انظر لذلك كتابنا «التصوف: المنشأ والمصادر» ص ٢٠١ وما بعد.

(٤) النور من كلمات أبي طيفور للسهلجي ص ١٦٤.

(٥) شرح شطحيات لروزبهان ص ٨٦.

(٦) شرح كلمات الصوفية لمحمود الغراب ص ٢٣٠.

أنا جنيد الوقت وشبلي العصر، فقام الخرقاني وضرب بقدمه الأرض وقال:

أنا أيضًا إله الوقت ورسول العصر[١].

وأما إهانتهم واستخفافهم بخاتم الرسل والأنبياء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحكي الكمشخانوي عن الشبلي أنه:

«أذن مرة، فلما انتهي إلي شهادة النبي عليه السلام قال:

إلهي، لولا أنك أمرتني ما ذكرت معك غيرك[٢].

وذكروا عن أبي يزيد أنه قيل له:

«إن الخلق كلهم لواء محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، فقال أبو يزيد:

تالله، إن لوائي أعظم من لواء محمد عليه السلام، لوائي من نور تحته الجان والأنس كلهم من النبيين[٣].

ويكتب الفيتوري:

«قال الشيخ أحمد بن عروس لأهل تونس: لولا ما سبق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشفاعة لشفعت في الأمم يوم القيامة، وكل إصبع من أصابعي يشفع في سبعين ألفًا»[٤].

فهؤلاء الصوفية ومشايخهم، جعلوا الله عز وجل ونبيه صلى الله عليه وسلم هدف استخفافهم وموضع استهزائهم – حسب ما روي عنهم في كتب القوم أنفسهم – كأنهم لا يؤمنون بتوحيد الله وعظمته، وجلاله وكماله، وبرسالة النبي وعلو شأنه، صلى الله عليه وسلم.

وما دام الأمر كذلك فكيف يستبعد عنهم مخالفة أوامر الله ورسوله ونواهيهما واستهزاء الشريعة والنيل من شأنها. أعاذ الله جميع المسلمين من الزيغ بعد الهدي ﴿رَبَّنَا

---

(١) تذكرة الأولياء لفريد الدين عطار ص ٢٨٢ ط باكستان.

(٢) جامع الأصول في أولياء لأحمد الكمشخانوي ط المطبعة الوهبية ١٢٩٨ هـ.

(٣) النور من كلمات أبي طيفور للسهلجي ص ١٤٣، شرح شطحات لروزبهان ص ١٣٢.

(٤) الوصية الكبري لعبد السلام الأسمر الفيتوري ص ٨٥ ط مكتبة النجاح طرابلس ليبيا.

لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾(١).

وأخيرًا نذكر أن القرآن الكريم أيضًا لم يبق محفوظًا عن أيدي المتصوفة، فلقد حاولوا أن يصرفوا الناس عن تلاوته والتذكير بآياته، فانظر إلي النفري كيف يستخف بالقرآن الكريم ويستهين بآياته التي ذكر فيها الجنة والنار والثواب والعقاب والقيامة وأهوالها، فيكذب علي الله سبحانه تعالي حيث يقول:

«قال الله تعالي «الليل لي لا للقرآن يتلي، الليل لي لا للمحمدة والثناء» يقول الله تعالي ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾﴾ فاجعل الليل لي كما هو لي... وما طلبتك لتتلو القرآن فتقف مع معانيه فإن معانيه تفرقك عني فآية تمشي بك في جنتي وما أعددت لأوليائي فيها فأين أنا إذا كنت أنت في جنتي مع الحور المقصورات في الخيام كأنهن الياقوت والمرجان متكئًا علي فرش بطائنها من إستبرق وجني الجنتين دان، تسقي من رحيق مختوم مزاجه من تسنيم، وآية توقفك مع ملائكتي وهم يدخلون عليك من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار، وآية تستشرف بك علي جهنم فتعاين ما أعددت فيها لمن عصاني وأشرك بي من سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم، وتري الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع علي الأفئدة إنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة، أين أنا يا عبدي إذا تلوت هذه الآية وأنت بخاطرك وهمتك في الجنة تارة وفي جهنم تارة، ثم تتلو آية فتمشي بك في القارعة وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وتري الناس سكاري وما هم بسكاري ولكن عذاب الله شديد، وتري في ذلك اليوم من هذه الآية يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه، وتري العرش في ذلك اليوم تحمله ثمانية أملاك وفي ذلك اليوم تعرضون، فما أنت يا عبدي في النهار في معاشك وفي الليل فيما تعطيه تلاوتك من جنة ونار وعرض، فأنت بين آخرة ودنيا وبرزخ، فما تركت لي وقتًا تخلو بي فيه إلا جعلته لنفسك، والليل لي يا عبدي لا

(١) سورة آل عمران الآية ٨.

للمحمدة والثناء»[١].

هذا ما قاله كبير القوم، وأما ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيروي ابن عمر رضي الله عنه أنه قال:

«لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار»[٢].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أسيد بن حضير قال: «بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكتت، فقرأ فجالت فسكت فسكتت، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف، وكان ابنه يحيي قريبًا منها فأشفق أن تصيبه، ولما أخره رفع رأسه إلي السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

«وتدري وما ذاك»؟ قال: لا، قال: **«تلك الملائكة ونت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتواري منهم»**[٣].

هذا وقد حكي الشعراني عن أبي عبد الله عمرو بن عثمان المكي أنه رأي الحسين بن منصور يومًا وهو يكتب شيئًا فقال: ما هذا؟

فقال: هو ذا أعارض القرآن[٤].

* * *

(١) شرح كلمات الصوفية لمحمود الغراب ص٢٥٦، ٢٥٧.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه واللفظ للبخاري.

(٤) طبقات الشعراني ج١ ص٨٨.

الباب الثالث
التصوف مؤامرة ضد الإسلام

إن التصوف ليس عبارة عن الغلو والمغالاة والتطرف في الدين فحسب، بل هو مؤامرة حيكت، وأحكم نسيجها ضد الإسلام والمسلمين، شارك في تخطيطها وتشكيلها وبث سمومها ونشر أنفاثها خليط من الناس وعديد من الفئات لأغراضهم وأهدافهم، وقد ذكرنا هؤلاء الناس وأولئك الفئات في كتابنا «التصوف: المنشأ والمصادر» عند ذكر مراجع التصوف ومصادره، منشئه ومنشئيه[١].

أما الأغراض والأهداف فنذكرها هنا في هذا الباب وما بعده من الأبواب.

فكان من أهم تلك الأهداف لأولئك الناس والجماعات أبعاد المسلمين عن الإسلام الحقيقي وتعاليمه الصافية النقية المعتدلة وباسم الإسلام، وترويج العقائد اليهودية والمسيحية والمذاهب الهندية والفارسية، كالبوذية والهندوكية والزارادشتية والمانوية والأفلاطونية الحديثة وغيرها من التيارات التي ليس لها أية صلة بالإسلام وبتعاليم الشريعة الحنيفية السمحاء الغراء لقتل روح الجهاد وفكرة إعلاء كلمة الله وأن يكون الدين كله لله وتبليغ رسالات الله وأدائها إلي كافة الأمم والملل في أنحاء المعمورة كلها.

وأيضًا تمكين الذلّ والاستكانة والهوان وإفشاء الجهل والكسل والخمول بينهم وإزاحتهم عن الحكم والسلطة والاختيار، ولم يتمكنوا من هذا كله، ولم ينجحوا في مهمتهم إلا بوضع الأسس والقواعد مختلفة عن قواعد الإسلام وأسسه وأصوله لأنه بدون ذلك لم يكن يرجي فصلهم وقطعهم عن إرشاداته وتوجيهاته كلية، بل كان يتوقع الرجوع إلي حظيرته بالرجوع إلي متابعه الأصلية ومصادره الحقيقة، ففرّقوهم عن الجمع، وأبعدوهم عن الجماعات بوضع الأصول المنافية لأصول الجماعة وأسسها، فجماعة المسلمين كان مذهبهم ومسلكهم مبنيًا علي الإسلام المعبر عنه بالقرآن والسنة، ومذهب القوم ومشربهم مبني علي التصوف المعبر عنه بالكشف والإلهام، ليس

---

(١) من أراد التثبت والتفصيل فليرجع إلي ذلك.

لشخص مخصوص ولا لرجل معين، بل لكل كشفه وإلهامه، والكلّ منهم نبي صغير، وله شرعته ومنهاجه، وارتقي البعض إلي الألوهية والربوبية كما سنبين كل ذلك بالدليل والبرهان وبوضع النقاط علي الحروف، فسوّغوا شرائع جديدة ومذاهب بديعة ومسالك طريفة ومشارب غريبة، ثم دوّنت هذه الشرائع وهذه المذاهب والمسالك والمشارب، وسكبت في قوالب مختلفة، وسميت بسلاسل وطرق في عرف التصوف.

فاخترع أهل كل سلسلة قرآنًا لها بصورة مواجيد وترانيم، وقصائد وأناشيد وأوراد عجيبة وأذكار مختلفة غريبة، وجعلوا السنة أحاديث المشايخ وقصصهم والأساطير المضحكة والحكايات المبكية، كما جعلوا صلواتهم الرقص والوجد وتحريك الرأس وتدويره آليًّا، وحجّهم زيارة المشاهد والقبور والطواف حولها وأكل ترابها والتمسح بجدرانها، وجعلوا صومهم ترك الطيبات وتحريم ما أحلّ الله، والتجوّع المحض طيلة شهور وأعوام، واعتكافهم الانزواء في الخانقاهات والتكايا والربط والزوايا، والدخول في سراديب الأرض وكهوف الجبال وغيرانها، والسياحة التية في الصحاري والبراري والقفار والمقابر، كما عكسوا مفهوم الزكاة وقلبوه، فجعلوها التسول والاستجداء والاسترزاق والاستعطاف، وجعلوا اليد السفلي خيرًا من اليد العليا، فأعرضوا عن العلم والعلماء، ولقّنوا مريديهم ومن وقع في فخهم وحبائلهم بالاجتناب والإعراض عنه وعنهم كيلا يهرب صيدهم وينجو فريستهم من مخالب هؤلاء وأشواكهم بنور العلم وبصحبة العلماء، ولا يوجد في كتب الأولين منهم والآخرين، القديمين منهم والحديثين مخالفة أكثر من مخالفة العلم وأهله، وهذه وحدها كافية لمعرفة حقيقة التصوف والمتصوفة، فقالوا:

«العلم حجاب الله الأكبر»[1].

وفسره كبير مشايخ الصوفية في الهند نظام الدين الدهلوي المتوفي ٧٢٥هـ بقوله:

«إن العلم دون الحق، وكل ما هو دونه فهو يحجب عنه»[2].

---

(١) سير الأقطاب والأولياء لمحمود بن مبارك علوي كرماني ص ٥١٦ ط لاهور.

(٢) انظر سير الأولياء في أحوال وملفوظات مشائخ جشت (بالفارسية) لمحمد بن مبارك العلوي الكرماني المتوفي=

ومن تحريفات النفزي أنه قال:

أوقفني الله في مقام الوقفة وقال لي:

العلم حجابي، وقال: العالم يخبر عن الأمر والنهي، وفيها علمه، والواقف يخبر عن حقي وفيه معرفته.

وقال: العالم في الرق، والواقف حر[١].

وكذبوا علي سفيان الثوري أنه قال:

«لولا أن للشيطان فيه حظًا ما ازدحمتم عليه يعني العلم»[٢].

وأيضًا «طلب هذا ليس من زاد الآخرة»[٣].

ونقل الطوسي عن بعضهم أنه قال:

«إذا رأيت الفقير قد انحط من الحقيقة إلي العلم فاعلم أنه قد فسخ عزمه، وحلّ عقده»[٤].

ويحكي الشعراني حكاية عن أحد الفقهاء يستدل منها علي أفضلية المتصوفة علي العلماء بالشريعة، فيقول:

«جاء مرة قاض من المالكية يريد امتحان الشيخ محمد الحنفي، فأعلموا الشيخ أنه جاء ممتحنًا، فقال الشيخ رضي الله عنه: إن استطاع يسألني ما عدت أقعد علي سجادة الفقراء فلما جاء القاضي يسأل قال: ما تقوله في، وتوقف، فقال له الشيخ رضي الله عنه: نعم، حتي قال ذلك مرارًا عديدة، فلم يفتح عليه بشيء»[٥].

ويفرق كذلك بين المعرفة الصوفية وفقه الشريعة حيث يقول:

=٧٧٠ هـ ص ١٩٤ط مركز تحقيقات فارسي إيران وباكستان لاهور، أيضًا تذكرة أولياء باك وهند (أردو) للدكتور ظهور الحسن شارب ص ٨٤ ط لاهور باكستان.

(١) كتاب المواقف لمحمود بن عبد الجبار النفري ص ١٠، ١١ط مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٣٤.

(٢) انظر غيث المواهب العلية للنفزي الرندي ج٢ ص ١٤٧.

(٣) أيضًا.

(٤) كتاب اللمع للطوسي ص ٢٣٣.

(٥) الطبقات الكبري للشعراني ج٢ ص ٩٤.

«كان الشيخ زكريا من العارفين ولكنه تستّر بالفقه»(١).

ويفضّل الصقلي والدمياطي الصوفية علي علماء الشريعة حيث يكتب:

فلركعة من عارف هي أفضل ... من ألفها من عالم فنقبلا

هذا دليل علي أن العارف أفضل من غيره لأن ركعة من عارف أفضل من ألف ركعة من عالم غير عارف (أي غير صوفي).

قال الشيخ أبو القاسم الصقلي في كتاب الأنوار: ركعة من عارف أفضل من ألف ركعة من عالم(٢).

ونقلوا عن الجنيد أنه كان يقول:

«المريد الصادق غنّي عن علم العلماء، وإذا أراد الله بالمريد خيرًا أوقعه إلي الصوفية ومنعه صحبة القراء»(٣).

ومن الوقائع التي تترشح منها مخالفة طلب العلم، ويتدفق البغض والحقد علي العلماء والطلاب ما ذكر ابن عجيبة الحسني حيث قال:

«وقد عقد بعض الشيخ حلقة الذكر في بيت مظلم فلم يجدوا قلوبهم، فقال لهم: ائتوني بالمصباح، فلما أتوا به وجدوا معهم طالبًا من طلبة المدرسة، فأخرجوه فحينئذ وجدوا قلوبهم»(٤).

ولذلك منعوه من الفكر والنظر في الأدلة واستعمال العقل كما ذكر كل ذلك الشيخ الأكبر للصوفية في رسالته:

«إن المريد لا ينبغي له الكلام إلا بما شاهده وعاينه، والصمت عليه واجب، والفكر عليه حرام، والنظر عليه في الأدلة محظور... والأولي بالشيخ إذا رأي المريد يجنح

---

(١) أيضًا ج٢ ص ١٢٨.

(٢) كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء للدمياطي ص١٠٦ط أيضًا كتاب الأنوار لأبي القاسم الصقلي نقلاً عن الكفاية ص١٠٦.

(٣) طبقات الشعراني ج١ ص ٨٤ طبعة قديمة ١٣٠٥ هـ.

(٤) الفتوحات الإلهية لابن عجيبة الحسني ص ١١٩ ط عالم الفكر القاهرة.

إلي استعمال عقله في النظريات ولا يرجع إلي رأيه فيما يدله عليه فليطرده إلي منزله»(١).

ومثل ذلك بل أصرح وأوضح ما ذكره عبد الغني الرافعي حيث قال:

«إذا طلب المريد من شيخه دليلاً شرعيًّا أو عقليًّا علي ما ذكره من المعارف الإلهية والإشارات الربانية فليزجره ويهجره، وإن لم يفعل فقد خانه في التربية... وذلك لأن الواجب في هذا الطريق التصديق للمرشد والتسليم لغيره، ويحرم علي المريد الفكر والنظر في الأدلة، ويجب عليه الصمت وعدم التكلم.

وإذا أصر المريد علي الفكر والنظر في الأدلة، فليطرده؛ لئلا يفسد عليه بقية أصحابه كما يجب عليه طرده إذا علم أن حرمته سقطت من قلبه(٢).

وسبب ذلك أن «طريق القوم أمر خاص زائد علي علوم الظاهر»(٣).

والعلم الظاهر: المقصود منه علم القرآن والسنة، فإن المتصوفة يريدون أن يترك المسلمون تعلم كتاب الله ودراسة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتبعون خرافاتهم وخزعبلاتهم وأوهامهم التي يسمونها إلهامًا، وتخيلاتهم التي يسمونها كشفًا كما ذكر ذلك ابن عجيبة الحسني:

«كان طريق التصوف مؤسسة علي الكتاب والسنة والهامات العارفين الذين تنورت عقولهم، وانصقلت مرآة قلوبهم فيها فتجلي فيها ما كان حقًا، وزهق منها ما كان باطلاً، فكانت طريقهم مبنية علي التحقيق»(٤).

فأضاف القوم إلي الكتاب والسنة أوهامهم وخرافاتهم أيضًا باسم الإلهامات، وهي الأصل والمحك عندهم، وعلي هذا الأساس خالفوا نصوص الكتاب والسنة ولم يسمحوا مجال الاعتراض لمريديهم التجاء إلي هذه القاعدة الصوفية كما سنبين ذلك في هذا الباب إن شاء الله.

---

(١) الأمر المحكم المربوط فيما يلزم أهل طريق الله من الشروط لابن عربي المنشور مع ذخائر الأعلاق له أيضًا ص٢٦٩، ٢٧٠ ط مطبعة السعادة القاهرة.

(٢) ترصيع الجواهر المكية لعبد الغني الرافعي ص ١٢٩.

(٣) الأنوار القدسية للشعراني نقلاً عن علي بن وفا ج١ ص١٩٤ط بغداد العراق.

(٤) الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية لابن عجيبة ص ٣٤٤ط عالم الفكر القاهرة ١٩٨٣م.

هذا ولم يكتم بعض منهم حيث صرحوا بمخالفة طلب ذلك العلم الشريف، علم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتفقه في الدين، حتي أنهم نقلوا عن أبي سليمان الداراني أنه قال:

«من طلب الحديث فقد ركن إلي الدنيا»(١).

وروي عن رابعة البصرية أنها كانت تجعل إيثار كتب الحديث والإقبال علي الناس من أبواب الدنيا(٢).

ورووا عن بشر بن الحارث الحافي أن سبب تركه طلب الحديث أنه سمع أبا داود الطيالسي يحدث عن شعبة أنه كان يقول:

«الإكثار من طلب الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة، فهل أنتم منتهون؟ فلما سمعه منه قال: انتهينا انتهينا.

ثم ترك الرحلة في طلب الحديث، وأقبل علي العبادة(٣).

ونقلوا عن الجنيد أنه كان يقول:

«أحب للصوفي أن لا يقرأ ولا يكتب لأنه أجمع لهمه وأحب للمريد المبتدي أن لا يشغل قلبه بهذه الثلاث وإلا تغير حاله: التكسب، وطلب الحديث، والتزوج»(٤).

ومثل ذلك نقلوا عن أبي بكر نصر بن أحمد الدقاق – وكان من أقران الجنيد – أنه قال:

«آفة المريد ثلاثة أشياء: التزويج، وكتابة الحديث، ومعاشرة الضد»(٥).

وروي الصوفية عن سفيان الثوري أنه كان يقول:

«ليس طلب الحديث من عدة الموت لكنه علة يتشاغل بها الرجل»(٦).

كما رووا عن بشر بن الحارث أنه سأله رجل أن يحدثه فأبي عليه، فجعل يرغبه

---

(١) انظر قوت القلوب لأبي طالب المكي ج٢ ص١٥٢.

(٢) انظر أيضًا قوت القلوب لأبي طالب ج٢ ص٥٧.

(٣) غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية للنفزي الرندي ج٢ص١٤٥.

(٤) قوت القلوب لأبي طالب المكي ج١ ص٢٦٧ ط دار صادر بيروت.

(٥) الطبقات الكبري لعبد الوهاب الشعراني ج١ ص٨٨.

(٦) غيث المواهب العلية ج ٢ ص١٤٧.

ويكلمه وهو يأبى عليه، قال: فلما أيس منه قال له: يا أبا نصر ما تقول لله غدًا إذا لقيته وسألك لم لا تحدث؟

قال : فقال له بشر: أقول: يا رب كانت نفسي تشتهي أن تحدث فامتنعت من أن أحدث ولم أعطها شهوتها[١].

وزاد الخطيب قال بشر:

«إني وإن أذنت للرجل وهو يحدث. فإنه عندي قبل إن يحدث أفضل كثيرًا من كائن من الناس، وإنما الحديث اليوم طرق من طلب الدنيا، ولذة، وما أدري كيف يسلم صاحبه، وكيف يسلم من يحفظه، لأي شيء يحفظه، قال بشر: وإني لأدعو الله أن يذهب به من قلبي، ويذهب بحفظه من قلبي، وإن لي كتبًا كثيرة قد ذهبت، وأراها تؤطأ ويرمي بها فما آخذها، وإني لأهم بدفنها وأنا حي صحيح، وما أكره ترك ذاك خير عندي. وما هو من سلاح الآخرة، ولا من عدد الموت»[٢].

ويروي العطار في تذكرته أن بشر الحافي درس الحديث ثم دفن جميع كتبه في الأرض ولم يحدث قط[٣].

ويذكر الشعراني عن أبي المواهب الشاذلي: أنه انقطعت عنه رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم لاشتغاله بفقه الكتاب والسنة، فيقول:

«كان سيدي أبو المواهب الشاذلي رضي الله عنه يقول: انقطعت عني رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة، فحصل لي غم بذلك، فتوجهت بقلبي إلي شيخي يشفع في عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فحضر عنده رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقال:

ها أنا - أنظر التعبير - فنظرت فلم أره، فقلت: ما رأيته، فقال عليه الصلاة والسلام: سبحان الله، غلبت عليه الظلمة، وكنت قد اشتغلت بقراءة جماعة في الفقه... فتركت الاشتغال بالفقه فرأيته»[٤].

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصبهاني ج٨ ص٣٥٥ ط دار الكتاب العربي بيروت.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج٧ ص٧١ط دار الكتاب العربي بيروت.

(٣) تذكرة الأولياء لفريد الدين عطار ص٦٦ ط باكستان.

(٤) طبقات الشعراني ج٢ ص٧٥.

وبلغت بهم الجرأة والكراهة للحديث وأهله إلى أن قالوا: إن رجلاً استشار معروف الكرخي في صحبه إمام أهل السنة أحمد بن حنبل فقال له جوابه:

«لا تصحبه فإن أحمد صاحب حديث، وفي الحديث اشتغال بالناس، فإن صحبته ذهب ما تجد في قلبك من حلاوة الذكر وحب الخلوة»(١).

وابن عجيبة الحسني يحذر عن مجالسه العلماء والاستماع إليهم بقوله:

«الجلوس معهم اليوم أقبح من سبعين عاميًا غافلاً وفقيرًا جاهلاً، لأنهم لا يعرفون إلا ظاهر الشريعة، ويرون أن من خالفهم في هذا الظاهر خاطئ أو ضالّ، فيجهدون في رد من خالفهم، يعتقدون أنهم ينصحون وهم يغشون. فليحذر المريد من صحبهم والقرب منهم ما استطاع. فإن توقف في مسألة ولم يجد من يسأل عنها من أهل الباطن فليسأله علي حذر، ويكون معه كالجالس مع العقرب والحية. والله ما رأيت أحدًا قط من الفقراء قرب منهم وصحبهم فأفلح أبدًا في طريق الخصوص»(٢).

وهذا مع ادعائهم «علمنا هذا مؤيد بالكتاب والسنة»(٣).

والجدير بالذكر أن المتصوفة كما يخالفون العلم والعلماء وطلب الحديث يخالفون كذلك إسناد الحديث الذي ليس هو إلا من قوائمه، فلا يقوم إلا به، رغبة في ترويج أباطيلهم وأضاليلهم، وزيغهم وضلالهم كذبًا علي نبي الله وزورًا علي رسوله صلوات الله وسلامه عليه كي لا يعرف الحق من الباطل، والصدق من الكذب، ويميز الصحيح من السقيم، وعلي ذلك نري أن كتب أكثرهم مليئة بالأحاديث الموضوعة والروايات المختلقة المزورة المكذوبة علي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتي كتب الغزالي فيلسوف الإسلام وفقيه المسلمين، ولما سئلوا عنها وعن مواردها ورواتها قالوا: روينا عن رسول الله في المنام أو اليقظة مدعين تصحيحها عن النبي صلى الله عليه وسلم أو

(١) انظر قوت القلوب لأبي طالب المكي ج٢ ص٢٣٦.

(٢) إيقاظ الهمم لابن عجيبة الحسني ص٩٧ط مصطفي البابي الحلبي الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.

(٣) انظر الرسالة القشيرية ج١ ص ١١٨، طبقات الأولياء لابن الملقن ص١٢٧، حياة القلوب للأموي ص٢٩٢، اليواقيت والجواهر للشعراني ج٢ ص٩٣، تنبيه المغترين للشعراني ص٦، جمهور الأولياء للمنوفي ج٢ ص١٤٩، شرح كلمات الصوفية لمحمد الغراب ص٢٠٧.

عن الله رأسًا دون النظر إلي إسنادها ورواتها مثل ما ذكر الشعراني عن أبي المواهب الشاذلي أنه قال:

«رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن الحديث المشهور» واذكروا حتي يقولوا مجنون، وفي صحيح ابن حبان «أكثروا من ذكر الله حتي يقولوا مجنون» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صدق ابن حبان في روايته، وصدق راوي «اذكروا الله» فإني قلتهما معًا، مرة قلت هذا، ومرة قلت هذا»[١].

ويقول نجم الدين الكبري المقتول ٦١٨هـ:

«غيث فأبصرت النبي عليه السلام ومعه علي، فبادرت إلي علي فأخذت بيده وصافحته وألهمت كأني سمعت في الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من صافح عليًا دخل الجنة، فجعلت أسأل عليًا عن هذا الحديث أصحيح هو فكان يقول: نعم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، من صافحني دخل الجنة»[٢].

وفي هذا المعني ذكر الصوفي المشهور أبو طالب المكي قصة مكذوبة علي الإمام أحمد ابن حنبل أن داود المحبر لما صنف كتاب العمل جاء أحمد بن حنبل فطلبه منه، فنظر فيه أحمد صفحًا، ثم رده إليه، فقال: ما لك؟

قال: فيه أسانيد ضعفاء، فقال له داود: أنا لم أخرجه علي أسانيد فانظر فيه بعين الخبر»[٣].

وما أكثر ما يقوله المتصوفة ردًا علي أهل الحديث لتمسكهم بالإسناد تصحيحًا لرواية وتضعيفًا لها:

«أخذتم علمكم ميتًا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت»[٤].

(١) الطبقات الكبري للشعراني ج٣ ص٧٦.

(٢) فواتح الجمال وفواتح الجلال لنجم الدين الكبري ص١٢ بتصحيح الدكتور رفريتزمائرط ألمانيا ١٩٥٧م.

(٣) قوت القلوب في معاملة المحبوب لأبي طالب المكي ج٢ ص١٥٢.

(٤) ذخائر الأغلاق لابن عربي ص١٥٣، الجواهر والدرر للشعراني ص٢٨٦، هامش الرسالة القشيرية ج١ ص٨٨ وغيرها من الكتب الكثيرة.

كما نقلوا ذلك عن أبي يزيد البسطامي، وسيأتي بيان ذلك مفصلاً إن شاء الله في هذا الباب.

ويعلق علي قول البسطامي هذا أحد المتصوفة المعاصرين:

«أقام الله أولياءه مقام الرسول في التفقه في الدين والإنذار وهو الذي يدعو إلي الله علي بصيرة كما يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بصيرة لا علي غلبة ظن كما يحكم عالم الرسوم، فشتان بين من هو فيما يفتي به ويقوله علي بصيرة منه في دعائه إلي الله وهو علي بينة من ربه وبين من يفتي في دين الله بغلبة ظنه، ثم إن من شأن عالم الرسوم عن الذب عن نفسه أنه يجهل من يقول فهمني ربي ويري أنه أفضل منه وأنه صاحب العلم، إذ يقول من هو أهل الله إن الله ألقي في سري مراده بهذا الحكم في هذه الآية، أو يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في واقعتي فأعلمني بصحة هذا الخبر المروي عنه وبحكمه عنده، فمن ورث محمدًا في جمعيته كان له من الله تعريف بالحكم وهو مقام أعلي من الاجتهاد وهو أن يعطيه الله بالتعريف الإلهي أن حكم الله الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه المسألة هو كذا، فيكون في ذلك الحكم بمنزلة من سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع إلي الله فيه فيعرف صحة الحديث من سقمه سواء كان الحديث عند أهل النقل من الصحيح أو مما تكلم فيه، فإذا عرف فقد أخذ حكمه من الأصل، لذلك قال أبو يزيد البسطامي في هذا المقام وصحته تخاطب علماء زمانه علماء الرسوم «أخذتم علمكم ميتًا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، يقول أمثالنا حدثني قلبي عن ربي وأنتم تقولون حدثنا فلان، وأين هو قالوا مات، عن فلان وأين هو قالوا مات» فلا حجاب بين الله وبين عبده أعظم من نظره إلي نفسه وأخذه العلم عن فكره ونظره، وإن وافق العلم فالأخذ عن الله أشرف»[١].

ويقول الشعراني:

«أخبرني الشيخ محمد الشناوي أن ثم جماعة ببلاد اليمن لهم سند بتلقين الصلاة

(١) شرح كلمات الصوفية لمحمود الغراب ص١٥٤ ط مطبعة زيد بن ثابت ١٤٠٢هـ.

والسلام علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيلقنون المريد بذلك، ويشغلونه بالصلاة علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزال يكثر منها حتي يصير يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة ومشافهة، ويسأله عن وقائعه كما يسأل المريد شيخه من الصوفية، وأن مريدهم يترقي بذلك في أيام قلائل، ويستغني عن جميع الأشياخ بتربيته صلى الله عليه وسلم»(١).

وذكر أيضًا عن سليمان الخضيري الصوفي أنه قال:

«بينما أنا جالس في الخضيرية علي باب الإمام الشافعي رضي الله عنه إذ رأيت جماعة عليهم ثياب بياض، وعلي رءوسهم غمامة من نور، يقصدونني من ناحية الجبل، فلما قربوا مني فإذا هو بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، فقبلت يده، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: امض معنا إلي الروضة، فذهبت مع النبي صلى الله عليه وسلم إلي بيت الشيخ جلال الدين (السيوطي)، فخرج إلي النبي صلى الله عليه وسلم وقبل يده وسلم علي أصحابه، ثم أدخله الدار، وأجلسه وجلس بين يديه، فصار الشيخ جلال الدين (السيوطي) يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن بعض الأحاديث، وهو صلى الله عليه وسلم يقول: هات يا شيخ السنة»(٢).

ومثله في كتاب «قلادة الجواهر في ذكر الرفاعي وأتباعه الأكابر»(٣).

ونقل النبهاني مثل ذلك عن أبي محمد بن الخطيب(٤).

وأما فريد الدين العطار فينقل عن أبي الحسن الخرقاني أنه قال:

«وهبني الله جميع العلوم والمعارف مع كوني أميًّا، وقرأت الحديث علي رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصدقه مريده، فرأي في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعه يقول: صدق الرجل، صدق الرجل – ثم يقول المريد – بدأت أتردد إليه وأقرأ

---

(١) الأنوار القدسية للشعراني ج١ ص٣٢ ط بغداد العراق.

(٢) الطبقات الصغري لعبد الوهاب الشعراني ص٢٨، ٢٩ الطبعة الأولي القاهرة ١٩٧٠م.

(٣) قلادة الجواهر لأبي الهدي الرفاعي ص٤٢٢.

(٤) انظر جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج٢ ص٢١٥.

الحديث، فأحيانًا كان يقول: هذا الحديث ليس بصحيح، ولما سألته كيف عرفت ذلك؟

قال: لما تقرأ الحديث أشتغل بمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلما قرأت الحديث الصحيح تبسم النبي صلى الله عليه وسلم وتنورت جبهته، وإذا مررت بحديث موضوع ظهرت كآبة علي وجهه عليه الصلاة والسلام فبذلك أميز الصحيح من الضعيف[١].

ويصرح الدباغ قائلاً:

«قد ينزل الملك علي الولي، ويخبره بصحة حديث ضعفه العلماء»[٢].

فمن الغريب أن الصوفية إذا لم يجدوا السند في مسألة يدعون أنهم أخذوا عن الملك، أو عن الخضر كما يقول الشعراني في مسألة اتصال السند بلبس الخرقة:

فلا تستغرب يا أخي توقف بعض المحدثين في اتصال السند بلبس الخرقة فإنه معذور في ذلك، لعسر استخراج ذلك من كتب المحدثين علي غالب الصوفية، فرحم الله الحافظ ابن حجر والجلال السيوطي، في تبيينهما اتصال السند بذلك.

وإن الشيخ محي الدين بن العربي لم يطلع علي اتصال سندها من طريق النقل الظاهر فأخذها من طريق الخضر عليه السلام، لما اجتمع به حتي اعتمد عليه في السند»[٣].

وعبد الله الأنصاري الهروي أيضًا أنكر ضرورة الإسناد للعلم الصوفي حيث كتب:

«العلم اللدني إسناد وجوده، وإدراكه عيانه، ونعته حكمه، ليس بينه وبين الغيب حجاب»[٤].

فالمعني أن العلم اللدني لا يحتاج إلي إسناد، فوجوده إسناده.

فهكذا أرادوا نشر الجهد ومحو العلم بهدم القواعد وتحطيمها، التي لم تؤسس ولم

---

(١) تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار ص٢٧٧.

(٢) الإبريز للدباغ ص١٥١ طبعة قديمة مصر.

(٣) الأنوار القدسية للشعراني ج١ ص ٣٠.

(٤) منازل السائرين للخواجه عبد الله الأنصاري الهروي ص١٣٢ نشر أفغانستان ١٣٥٠.

تخطط إلا للمراعاة والمحافظة علي العلوم والفنون كي لا تلعب بها يد المحتالين المنتحلين والعابثين المبطلين. وما الله بغافل عما يعملون، وهذا مع أهمية الإسناد واهتمام المسلمين به لكونه عمدة ومعيارًا للقوي والضعيف والصحيح والسقيم، وعلي ذلك بوب الإمام مسلم بن حجاج القشيري بابًا في صحيحه لبيان أن الإسناد من الدين، ونقل فيه عن محمد بن سيرين أنه قال:

«إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم»[(١)].

وعن عبد الله بن المبارك أنه قال:

«الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»[(٢)].

وروي عنه أيضًا أنه قال:

«بيننا وبين القوم القوائم يعني الإسناد»[(٣)].

فهذه هي منزلة الإسناد عند أهل السنة وأئمتهم، ولماذا لا يكون؟

لأن الإسناد يعرف أسماء الرواة، وبأسمائهم تفتش عن أحوالهم، وبأحوالهم تحكم علي مروياتهم، وإذا لم يكن ذلك لم يتأت الخبر ولم يحصل اليقين ولكن المتصوفة جعلوا الحديث لعبة يلعبون بها لإثبات مزاعمهم ونظرياتهم، فحديث الناس جعلوه حديثًا للنبي المعصوم عليه الصلاة والسلام معتمدين علي كشفهم وإلهامهم، فجعلوا الموضوع ثابتًا، والضعيف قويًّا، والسقيم صحيحًا دون النظر إلي رواته ومصدره، قائلين بأنهم سمعوه عن النبي صلى الله عليه وسلم رأسًا، أو علموا تصحيحه عن رسول الله مشافهة، أو بواسطة الملك، أو بتعليم الخضر، وهذه إحدي وجوه مخالفة العلم وطرقها.

وقبل أن نتقدم إلي فكرة أخري نريد أن نذكر الباحث والقاريء أن مخالفة العلم منافية لتعاليم القرآن والسنة لأن العلم نور وضياء يستنير به الأمم طريقهم إلي الهدي، ويستضيئون به في ظلمات الطريق ويصلون به إلي المقصود والمرام، ولا يخالف النور

---

(١) رواه مسلم.

(٢) أيضًا.

(٣) أيضًا.

والضياء إلا الذين يحبون الجهل والظلام، لا يتمنون إلا الظلام الدامس لأن النور يذهب ببصرهم، ويقضي علي رغباتهم وشهواتهم، وما أحسن ما قاله ابن الجوزي ردًا علي الصوفية في تركهم التشاغل بالعلم:

«اعلم أن أول تلبيس علي الناس صدهم عن العلم لأن العلم نور فإذا أطفأ مصابيحهم، خبطهم في الظلم كيف شاء... وروي عن ضرار بن عمرو قال:

إن قومًا تركوا العلم ومجالسة أهل العلم، وأخذوا محاريب فصلوا وصاموا حتي يبس جلد أحدهم علي عظمه، وخالفوا السنة فهلكوا، فوالله الذي لا إله غيره ما عمل عامل علي جهل إلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح... كما روي عن أبي الحسن بن سالم أنه قال:

جاء رجل إلى «سهل بن عبد الله (التستري) وبيده محبرة وكتاب، فقال لسهل: جئت أن أكتب شيئًا ينفعني الله به. فقال: اكتب، إن استطعت أن تلقي الله وبيدك الحبرة والكتاب فافعل، قال يا أبا محمد أفدني فائدة، فقال: الدنيا كلها جهل إلا ما كان علمًا، والعلم كله حجة إلا ما كان عملاً، والعمل كله موقوف إلا ما كان منه علي الكتاب والسنة، وتقوم السنة علي التقوي، وعن سهل بن عبد الله أنه قال:

احفظوا السواد علي البياض، فما أحد ترك الظاهر إلا تزندق، وعن سهل بن عبد الله أنه قال:

ما من طريق إلي الله أفضل من العلم، فإن عدلت عن طريق العلم خطوة تهت في الظلام أربعين صباحًا... وروي عن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل أنه كان يري المحابر بأيدي طلبة العلم فيقول:

هذه سرج الإسلام، وكان هو يحمل المحبرة علي كبر سنه فقال له رجل: إلي متي يا أبا عبد الله؟

فقال:

المحبرة إلي المقبرة[1].

---

(١) انظر تلبيس إبليس للإمام ابن الجوزي البغدادي المتوفي ٥٩٧ هـ ص ٣١٠ وما بعد تحت عنوان «تلبيس إبليس علي الصوفية في ترك تشاغلهم بالعلم» ط دار القلم بيروت ١٤٠٣هـ.

هذا وقد ذكر الرب تبارك وتعالي العلم في موضع المدح والثناء، وحلي به أنبياءه وأصفياءه، وجعله مفخرة يعتز ويفتخر به، كما جعل الجهل وعدم العلم عيبًا يعاب وينتقص عليه ويزدري به، فقال جل من قائل:

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾(١).

ومدح أهل العلم بقوله:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾(٢).

كما أدرجهم ضمن من يشهد بألوهيته ووحدانيته حيث قال:

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾(٣).

لأنهم هم المؤمنون حقيقيًّا ويؤمنون بكل ما ينزل من عنده ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾(٤).

ومدح طالوت،وبين سبب اختياره، واصطفائه من بين الناس لأنه صاحب علم، فقال:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾(٥).

هذا وقد زين نبيه يوسف بالعلم حيث قال:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾(٦).

وأباه من قبل أيضًا:

﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾(٧).

وكذلك الخضر:

---

(١) سورة المجادلة الآية ١١.
(٢) سورة فاطر الآية ٢٨.
(٣) سورة آل عمران الآية ١٨.
(٤) سورة آل عمران الآية ٧.
(٥) سورة البقرة الآية ٢٤٧.
(٦) سورة يوسف الآية ٢٢.
(٧) سورة يوسف الآية ٦٨.

﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥﴾[١].

ولوطًا كذلك:

﴿ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[٢].

وكذلك موسي:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[٣].

وداود وسليمان:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾[٤].

وذكر منه وإحسانه علي أفضل البشر وسيد الخلق بقوله:

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾[٥].

وأمره بطلب المزيد منه بقوله:

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ۝١١٤﴾[٦].

وأما الجهل فوصف به قوم موسي الذين ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝١٣٨﴾[٧].

وقوم لوط أيضًا:

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝٥٥﴾[٨].

وقوم هود الذين قال لهم نبيهم:

﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ۝٢٣﴾[٩].

---

(١) سورة الكهف الآية ٦٥.
(٢) سورة الأنبياء الآية ٧٩.
(٣) سورة القصص الآية ١٤.
(٤) سورة النمل الآية ١٥.
(٥) سورة النساء الآية ١١٣.
(٦) سورة طه الآية ١١٤.
(٧) سورة الأعراف الآية ١٣٨.
(٨) سورة النمل الآية ٥٥.
(٩) سورة الأحقاف الآية ٢٣.

ومشركي الجزيرة الذين حاجوا خاتم النبيين ورسول الله إلي العالمين صلى الله عليه وسلم في دعوته، وعارضوه، فأمر أن يخاطبهم:

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾[١].

وأمر المؤمنين عامة أن يعرضوا عن الجهال بقوله:

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾[٢].

والآيات في هذه المعاني لا تعد ولا تحصي.

ومثل ذلك وردت أحاديث كثيرة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مدح العلم والتحريض علي اكتسابه، والثناء علي العلماء، وذم الجهل وأهله، فقال عليه الصلاة والسلام:

«**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلي الجنة**»[٣].

وقال صلى الله عليه وسلم: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتي إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا**»[٤].

وقال: «**من دل علي خير فله مثل أجر فاعله**»[٥].

والحديث المشهور: «**من سلك طريقًا فيه علمًا سلك الله به طريقًا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضي لطالب العلم، وإن العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم علي العابد كفضل القمر ليلة البدر علي سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»[٦].

---

(١) سورة الزمر الآية ٦٤.

(٢) سورة الفرقان الآية ٦٣.

(٣) رواه مسلم.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه مسلم.

(٦) رواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجة والدارمي.

وعن أبي أمامة الباهلي قال: ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان: أحدهما عابد والآخر عالم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**فضل العالم علي العابد كفضلي علي أدناكم**»، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتي النملة في حجرها، وحتي الحوت، ليصلون علي معلم الناس الخير**»[(١)].

وقال صلى الله عليه وسلم:

«**إن رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرًا**»[(٢)].

وقال: «**طلب العلم فريضة علي كل مسلم**»[(٣)].

وقال: «**من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتي يرجع**»[(٤)].

وقال صلى الله عليه وسلم: «**نضر الله عبدًا سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلي من هو أفقه منه**»[(٥)].

و«**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين**»[(٦)].

وأيضًا: «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجلين كانا في بني إسرائيل: أحدهما كان عالمًا يصلي المكتوبة، ثم يجلس فيعلم الناس الخير، والآخر يصوم النهار ويقوم الليل، أيهما أفضل؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**فضل هذا العالم الذي يصلي المكتوبة، ثم يجلس فيعلم الناس الخير علي العابد الذي يصوم النهار ويقوم الليل، كفضلي علي أدناكم**»[(٧)].

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه ابن ماجه والبيهقي.

(٤) رواه الترمذي والدارمي.

(٥) رواه الشافعي والبيهقي في المدخل.

(٦) رواه البيهقي.

(٧) رواه الدارمي وصححه الألباني.

والأحاديث في هذا المعني كثيرة جدًا.

ولكن القوم أحبوا الجهل وكرهوا العلم، واشتروا الضلالة بالهدي والغي بالبصيرة، وتفننوا في مخالفة العلم وذويه، وتقريب الجهل وترويجه، فاحتالوا واخترعوا طريقًا آخر، وجاءوا وسموه كشفًا وإلهامًا، وبذلك أرادوا القضاء عليه وإطفاء نور الهداية والرشد بمنع الناس عن القرآن، وصدهم عن السنة زاعمين أن السنة منقولة عن ميت عن ميت، وكشفهم وإلهامهم عن الحي الذي لا يموت، فلا حجة لها عليهم، ولهم ولكلامهم حجة عليها وعلي الخلق، وهذا ضرب من ضروب الجهل، وإغراق وانغماس فيه، ولا نشك في أنه مؤامرة خطيرة ضد شريعة الله التي جاء بها محمد بن عبد الله خاتم أنبياء الله وسيد رسله صلى الله عليه وسلم، وليس هناك مؤامرة أكبر وأخطر من هذه لأنها تتضمن على نسخ شريعة الله الأخيرة ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنها ما دام أوامر الرب تنزل، وأحكامه تتنزل، وإرشاداته تلهم، وتعليماته تعرف بالكشف فلا معني لانقطاع النبوة وختم الرسالة وكمال الدين وتمام النعمة:

ولو كان القرآن كافيًا لهداية الأمة وإرشاد الناس لما احتيج إلي إنزال الأمور بعده.

ولو كانت السنة النبوية شافية، لما اضطر إلي تنزيل السنن الجديدة وتقنينها، وإن كانت تلك السنن سنن رسول الله لم يبينها هو عليه السلام لتلاميذه الراشدين وأصحابه الطيبين فكيف أدي الأمانة وبلغ الرسالة، ولماذا شهد الله عنه ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾[1].

أو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبين القرآن فاحتيج إلي أن يبينه الله بعد وفاته بوساطة صوفي أو متصوفة فما معني قوله إذن ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾. وقوله تعالي: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾[2].

---

(١) سورة التكوير الآية ٢٤.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٦٤.

فدعوي الكشف والإلهام ليس إلا تعطيلاً للعلم والقواعد الشرعية بدون أصول ثابتة وأسس مطردة، وكذلك نشر الفوضوية والهمجية حيث لا يلزم أحد بشيء، ولا يطالب منه شيء لإمكان وجود الكشف والإلهام خلافه، زيادة علي ذلك إمكان الإلهامات المختلفة، والمكاشفات المتناقضة المتضاربة في وقت واحد باختلاف الأشخاص وتعدد الملهمين وأهل الكشف لأنه لا مدخل للعقل، ولا مقام للفكر فيها كما قال الشيخ الأكبر للمتصوفة محيي الدين بن عربي في فتوحاته:

«اعلم أن علومنا وعلوم أصحابنا ليست من طريق الفكر، وإنما هي من الفيض الإلهي»[1].

ويقول:

«إن جميع ما أكتبه في تأليفي ليس هو عن روية وفكر، وإنما هو عن نفث في روعي علي يد ملك الإلهام»[2].

و«جميع ما كتبته وأكتبه في هذا الكتاب إنما هو إملاء إلهي، وإلقاء رباني، أو نفث روحاني في روح كياني، كل ذلك بحكم الإرث للأنبياء والتعبية لهم لا بحكم الاستقلال... وإن ترتيب أبواب الفتوحات لم يكن عن اختيار ولا عن نظر فكري، وإنما الحق أملي علينا علي لسان ملك الإلهام جميع ما نسطره، وقد نذكر كلامًا بين كلامين لا تعلق له بما قبله ولا بما بعده، وذلك شبيه بقوله تعالي: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ بين آيات طلاق ونكاح وعدة وفاة تتقدمها وتتأخرها.

وإن العارفين إنما كانوا لا يتقيدون بالكلام علي ما بوبوا عليه فقط لأن قلوبهم عاكفة علي باب الحضرة الإلهية مراقبة لما يبرز منها، فمهما برز لها أمر بادرت لامتثاله، وألفته علي حسب ما حد لها، فقد تلقي الشيء إلي ما ليس من جنسه امتثالاً لأمر ربها»[3].

---

(١) الفتوحات المكية لابن عربي الباب السابع والأربعون نقلاً عن كتاب «الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر» للشعراني ج١ ص٥ بهامش «اليواقيت والجواهر».

(٢) الفتوحات المكية لابن عربي الباب السادس والستون وثلاثمائة.

(٣) الفتوحات المكية لابن عربي من أبواب شتي نقلاً عن «اليواقيت والجواهر» للشعراني ص٨.

وعلي ذلك في بداية فصوصه:

«إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مبشرة أريتها في العشر الآخر من محرم سنة سبع وعشرون وستمائة بمحروسة دمشق، وبيده صلى الله عليه وسلم كتاب، فقال لي: هذا «كتاب فصوص الحكم» خذه واخرج به إلي الناس ينتفعون به، فقلت: السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منا كما أمرنا فحققت الأمنية وأخلصت النية وجردت القصد والهمة إلي إبراز هذا الكتاب كما حده لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة (٢ - ١) ولا نقصان، وسألت الله تعالي أن يجعلني فيه وفي جميع أحوالي من عباده الذين ليس للشيطان عليهم سلطان، وأن يخصني في جميع ما يرقمه بناني وينطق به لساني وينطوي عليه جناني بالإلقاء السبوحي والنفث الروحي في الروع النفسي بالتأييد الاعتصامي؛ حتي أكون مترجمًا لا متحكمًا، ليتحقق من يقف عليه من أهل الله أصحاب القلوب أنه من مقام التقديس المنزه عن الأغراض النفسية التي يدخلها التلبيس. وأرجو أن يكون الحق لما سمع دعائي قد أجاب ندائي؛ فما ألقي إلا ما يلقي إلي، ولا أنزل في هذا المسطور إلا ينزل به علي. ولست بنبي ولا رسول ولكني وارث ولآخرتي حارث.

فمن الله فاسمعوا وإلي الله فارجعوا
فإذا ما سمعتم ما أتيت به فعوا[1]

وبعدئذ لا يبقي لأحد أن يعترض علي صوفي، أو ينتقد فعلاً من أفعاله، أو يطعن في أمر من أوامره، أو يتكلم في تعليم من تعاليمه، مهما كان مخالفًا للعقل والنقل؛ لأن النقل مأخوذ ميتًا عن ميت كما روي السهلجي عن أستاذه أنه قال:

«حضرت مجلس أبي يزيد (البسطامي) والناس يقولون: فلان لقي فلان. قال أبو يزيد: مساكين، أخذوا ميتًا عن ميت، وأخذنا علمنا من الحي الذي لا يموت.

(١) فصوص الحكم لابن عربي ص٤٧، ٤٨ مقدمة الكتاب ط دار الكتاب العربي ببروت بتعليق الدكتور أبي العلا عفيفي.

قال أيضًا: الناس يقولون له، وأنا أقول منه[١].

وأيضًا قال ردًّا علي رجل فقيه:

«علمك يا شيخ نقل عن لسان التعليم، لا للعمل، وعلمي من الله إلهامات من عنده»[٢].

ونقلوا عن أصحاب الجنيد أنه قال:

«مدارج العلوم تكون بالوسائط، وأما مدارج الحقائق فلا تكون إلا بالمكاشفة»[٣].

ويقول ابن عربي: علماء الرسوم يأخذون خلفًا عن سلف إلي يوم القيامة، فيبعد النسب، والأولياء يأخذون عن الله ألقاه في صدورهم»[٤].

ونقل النفزي الرندي عن المتصوفة أنه دخل عليه إنسان وهو يبكي:

فقال: ما يبكيك؟

قال: مات أستاذي، فقال له ذلك العارف: ولم جعلت أستاذك من يموت؟[٥].

ونقل الشعراني عن مشايخه أنه صرح بكل وضوح وجلاء:

«لا يكمل الرجل عندنا في مقام العلم حتي يكون علمه عن الله عز وجل بلا واسطة من نقل أو شيخ، فإن من كان علمه مستفادًا من نقل أو شيخ فما برح عن الأخذ عن المحدثات وذلك معلول عند أهل الله عز وجل، ومن قطع عمره في معرفة المحدثات وتفاصيلها فاته حظه من ربه عز وجل لأن العلوم المتعلقة بالمحدثات يفني الرجل عمره فيها ولا يبلغ إلي حقيقتها ولو أنك يا أخي سلكت علي يد شيخ من أهل الله عز وجل لأوصلك إلي حضرة شهود الحق تعالي فتأخذ عنه العلم بالأمور من طريق

(١) النور من كلمات أبي طيفور للسهلجي ص١٠٠ المنشور في شطحات الصوفية للبدوي، أيضًا الفتوحات المكية عربي ج١ ص١٣٩ مقدمة الكتاب، أيضًا ذخائر الأخلاق لابن عربي ص١٥٣ ط مطبع السعادة القاهرة، أيضًا الجواهر والدرر للشعراني ص٢٨٦ بهامش الإبريز للدباغ، أيضًا الطبقات الكبري له ص٥. أيضًا هامش الرسالة القشيرية ج١ ص٨٨، أيضًا شرح كلمات الصوفية لمحمود الغراب ص١٥٣.

(٢) النور من كلمات أبي طيفور للسهلجي ص١٠٠.

(٣) طبقات الشعراني ج١ ص١١٧.

(٤) مصرع التصوف هامش للوكيل نقلاً عن المناوي.

(٥) غيث المواهب العلية للنفزي ج١ ص٢٣٧ بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود.

الإلهام الصحيح من غير تعب ولا نصب ولا سهر كما أخذه الخضر عليه السلام.

فلا علم إلا ما كان عن كشف وشهود لا عن نظر وفكر، وظن وتخمين[١].

فهذا النص يرشح كل ما في إناء الديانة الصوفية من مخالفة طلب العلم والسعي لاكتسابه، والرحلة في سبيله، فلا يخرج أحد لطلب علوم القرآن والحديث وليجلس في دير من دور القوم أو خلوة من الخلوات ويشتغل فيها بالعبادة والتحنث فيفتح الله عليه جميع العلوم بالتجلي على قلبه - عياذًا بالله - كما ذكر الشعراني مبينًا نزول صورة العلوم والإلهام عليه ردًّا على سؤال سأله «ما صورة تنزل وحي الإلهام على قلوب الأولياء؟» فأجاب:

«صورته أن الحق تعالى إذا أراد أن يوحي إلى ولي من أوليائه بأمر ما، تجلى إلى قلب ذلك الولي في صورة الأمر فيفهم من ذلك الولي التجلي بمجرد مشاهدته ما يريد الحق تعالى أن يعلم ذلك الولي به من تفهيم معاني كلامه أو كلام نبيه صلى الله عليه وسلم، فهناك يجد الولي في نفسه علم مالم يكن يعلم من الشريعة»[٢].

هذا بالنسبة للعقل، وأما النقل فلقد صرح ابن عربي أنه لا علاقة له بعلمهم الذوقي والكشفي والإلهامي كما قال:

«وتختلف الطريق في تحصيل العلوم بين الفكر والوهب وهو الفيض الإلهي، وعليه طريقة أصحابنا، ليس لهم في الفكر دخول لما يتطرق إليه من الفساد، والصحة فيه مظنونة، فلا يوثق بها يعطيه... ولهذا يقال في علوم النبوة والولاية: إنها وراء طور العقل، ليس للعقل فيها دخول بفكر، لكن له القبول، خاصة عند السليم العقل الذي لم تغلب عليه شبهة خيالية فكرية، يكون من ذلك فساد نظره»[٣].

وأيضًا: «إن علوم الأنبياء والأولياء أذواق، لا عن فكر ونظر»[٤].

وقال محمد الاستنبولي: «لا يجوز لمن لا يعرف مصطلح القوم أن يتكلم في حقهم

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني ص٥.

(٢) اليواقيت والجوهر للشعراني ج٢ ص٨٤ ط مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٨هـ.

(٣) الفتوحات المكية لابن عربي الجزء الرابع والعشرون الباب السابع والأربعون السفر ص١٦٢ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م.

(٤) ختم الأولياء للحكيم الترمذي ص٢٣٩ هامش ط المطبعة الكاثوليكية بيروت.

بشر لأن دائرة الولاية تبدأ من وراء طور العقل لبنائها علي الكشف»[١].

ويعرف الخواجه عبد الله الأنصاري الهروي «الكشف» بقوله:

«هو بلوغ ما وراء الحجاب وجودًا»[٢].

فإذن لا إنكار علي ما يقوله مشايخهم ويتفوهون به مخالفًا للعقل والنقل، ولا رد علي ما يعملون ويأتون به منافيًا للدليل الشرعي والبرهان النظري.

وأقطع النصوص في ذلك هو ما صرح به عبد الغني الرافعي حيث قال:

«ومن آداب الطريق أن يعتقد في شيخه أنه علي شريعة من ربه وبينة منه، فلا يزن أحواله بميزانه، فقد يصدر من الشيخ ما صورته مذمومة وهو محمود في الباطن، ومنهم من يجسد روحانيته علي صورته ويقيمها في فعل من الأفعال ويراها الحاضرون، فيقولون:

رأينا فلانًا يفعل كذا وهو بمعزل من ذلك الفعل... وكأنما إنما يفعلون ذلك ليصرفوا الناس عنهم»[٣].

فالمعني أن الصوفية لا إنكار عليهم ولو رآهم أحد يزني ويشرب الخمر ويعمل الخبائث ويرتكب المحارم، لأنه من الممكن أن تتجسد روحانيته في صورة مثل صورته وترتكب حرامًا وهو «بمعزل من ذلك».

فوا أسفي علي مؤامرة الصوفية ضد الإسلام والشريعة الإسلامية النقية الزكية النزيهة عن مثل هذه الفلسفات الشيطانية، فإنها لا تعرف شيئًا من هذه الحيل والعلل التي اخترعها الصوفية للاستهزاء بالشريعة وأوامرها وهتك حرمتها.

وإلا فما المراد من تحريم الفكر والنظر في الأدلة علي المريد وتحريم موازنة أفعال وأحوال شيخه بميزان الشريعة، وإيجاب التسليم لمرشده وهاديه الذي لا يهديه إلا إلي الزيغ والضلال وإلي طريق الجحيم.

فهذا جزاء لمن أراد أن يحافظ علي الشريعة ولا يتركها بأمر من يريدون القضاء

---

(١) الطبقات الصغري للشعراني ص ٣٨ ط.

(٢) منازل السائرين للخواجه عبد الله الأنصاري الهروي ص١٩٢.

(٣) ترصيع الجواهر المكية لعبد الغني الرافعي ص٣٤ ط.

عليها من المتصوفة.

ورواية أخري رواها الجعلي الفضلي عن صوفي سوداني أنه «كان يرد المطلقة ثلاثًا من غير زوج ينكحها وكان الشيخ عبد القادر ابن الشيخ إدريس ينكر عليه في ذلك ويقول له: جميع الناس تسويهم أولاد الزنا، فيقول له: متي ما أنكر عليه اسأل أمك، فسأل أمه طاهرة عن ذلك، فقالت: أبوك طلقني ثلاثًا، مكثت عزبة ثماني سنين، فردني له، فحملت بك، فقال له الشيخ: يا عبد القادر، رجعنا لك»[(١)].

وذكر الجعلي هذا واحدًا من مشايخه ومتصوفيه محمد الحميم بن عبد الصادق أنه تزوج من تسعين امرأة، وجمع بين العشرات، كما جمع بين بنات الشيخ بان النقا وبين بنات أبي لدوده اثنتين اثنتين، فأنكر عليه القاضي، وقال له: يا شيخ محمد، خمست، وسدست، وعشرت حتي جمعت الآن بين أختين، تخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فقال له:

إن الرسول صلى الله عليه وسلم أذن لي بذلك... فقال له القاضي: جميع هذه الأنكحة فسختها، فدعا عليه وقال له: الله يفسخ جلدك، فمرض القاضي وانفسخ جلده... وقال في رده أبياتًا، منها:

فإن كنت يا قاضي قرأت مذاهبًا ... فلم تدرك يا قاضي رموز مذاهبنا
فمذهبكم نصلح به بعض ديننا ... ومذهبنا يعجم عليم إذا قلنا
قطعنا البحار الزاخرات وراءنا ... فلم يدر الفقهاء أين توجهنا
حللنا بواد عندنا اسمه الفضا ... فضاق بنا الوادي ونحن ما ضقنا
حللنا بقرب القاب روحًا من الدنا ... عجنا شموسًا أخجلت شمس نورنا[(٢)]

ومثل ذلك رووا عن عبد الرحمن الجامي الصوفي الخراساني الفارسي المشهور أنه قدم سيف الدين أحمد ومعه جملة من المدرسين، فعمل لهم الضيافة، ثم أقام لهم الغناء والرقص، فقال بعض الحاضرين للشيخ:

(١) كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين للجعلي الفضلي ص١٠٣ ط المكتبة الثقافية بيروت لبنان.
(٢) أيضًا ص ١٥٠، ١٥١.

يا مولانا، كيف استماع الغناء والضرب بالدفوف والرقص، ما هو خلاف الشرع؟

فحول الشيخ وجهه إليه وتكلم في أذنه خفية، فظهر منه صوت عجيب، وحصل له وجد بالسماع وضرب الدف، ولما أفاق اعتذر للشيخ[١].

وأشنع منها الحكاية التي ذكرها اليافعي أن بعض الأمراء «استأذنته امرأته ذات ليلة في الخروج من بيته فأذن لها ثم تبعها، ولم يزل يمشي بعدها إلي أن جاءت إلي موضع سماع الشيخ وفقرائه، فرأي النساء وقربها من الفقراء، فأنكر عليه بقلبه، وقال: هؤلاء الفاعلون التاركون يسمعون والنساء عندهم، ثم أنه أخذه حرقان بول فتنحي إلي مكان ليبول فيه، فوجد فرج امرأة، فعرفه من أين أتي، ثم وقف حتي تفرق الناس وهو محزون متحير في أمره، فوقف علي الشيخ وقال له:

هكذا يكون الفقراء إذا جلس عندهم النساء فاستغفر الله تعالي من ذلك الخاطر، ودعا له الشيخ فعاد إلي حاله الأول»[٢].

ومن الغرائب أن الهجويري المعروف بالاعتدال يحكي عن إحدي الصوفيات فاطمة البلخية أنها ذهبت مع زوجها الصوفي المشهور أحمد بن خضروية البلخي إلي با يزيد، فلما أقبلت علي با يزيد رفعت البرقعة عن وجهها، وكانت تتحدث معه بجرأة، فتعجب أحمد من ذلك، واستولت الغيرة علي قلبه، فقال: يا فاطمة، أي جرأة تلك التي كانت لك مع با يزيد؟

فقالت: لأنك أنت محرم طبيعتي وهو محرم طريقتي[٣].

هذا والوقائع مثل هذه أكثر من أن تعد وتحصي، وأن يسعها باب أو كتاب، إن دلت علي شيء دلت علي أنه لا استنكار ولا نكير علي الصوفية فيما يأمرون ويفعلون، ويقولون ويعملون، لأن لهم علاقة ورابطة واتصالاً مع الله بطريق الكشف والإلهام

---

(١) جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج٢ ص٦١.

(٢) نشر المحاسن الغالية في فضل مشائخ الصوفية لعبد الله اليافعي ص٨٧ بهامش جامع كرامات الأولياء ط دار صادر بيروت.

(٣) كشف المحجوب للهجويري ترجمة عربية للدكتورة إسعاد عد الهادي قنديل ص٣٣٢ ط بيروت، أيضًا تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار ص١٦٩ ط باكستان، أيضًا لنور ص١٧٠.

غير مسطور في القرآن ولا مذكور في السنة، فهم يعملون حسب ما يلهمون، ويقولون حسب ما يكشف لهم مثل ما ينقل عبد القادر أحمد عطا عن الشعراني أن الأولياء لهم علوم يتداولونها فيما بينهم لم يسطر في كتاب، ولم يطرق سمع أحد علم منها وهي كثيرة»[(١)].

وبمثل ذلك قال الأستاذ مصطفي عبد الرزاق المتعاطف علي التصوف والتصوفة:

«وأهل التصوف يؤثرون العلوم الإلهامية دون التعليمية، ويعدونها المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينة التي يستحيل معها إمكان الخطأ.

ولذلك لم يحرصوا علي دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون، والبحث عن الأقاويل والأدلة، بل قالوا: إن الطريق إلي تحصيل تلك الدرجة بتقديم المجاهدة، ومحو الصفات المذمومة، وقطع العلائق كلها، والإقبال بكنه الهمة علي الله تعالي فطريق الصوفية يرجع إلي تطهير محض وتصفية وجلاء ومحاسبة للنفس ثم استعداد وانتظار للتجلي[(٢)].

وعلي ذلك قال الشعراني:

«لا ينبغي لأحد أن يبادر إلي الإنكار علي من أمره شيخه بحلق اللحية، - بعدما ذكر حكاية غريبة عن الشيخ عبد الغفار القوصي - أن بعض الأولياء كان جالسًا يعظ الناس، فنزل من الكرسي وضرب شخصًا علي رأسه من السامعين، ثم رجع إلي الكرسي فقال فقيه: هذا حرام عليك، أيش عمل هذا حتي تضربه؟

فقال المضروب: أنا أستحق ذلك لأني اغتبت في نفسي وليًّا من الأولياء المدفونين فضربني تعزيرًا، فخجل ذلك الفقيه من الشيخ، ثم أنه نزل وضرب شخصًا آخر، فسألوه عن ذلك، فقال: أنه خطر في نفسه أنه أفضل من العلماء الحاضرين، وقال له: كيف تفضل نفسك؟ أما علمت أن ذلك ذنب إبليس الذي أخرج به من الجنة، فقال

---

(١) انظر مقدمة كتاب الطبقات الصغري لعبد الوهاب الشعراني لعبد القادر أحمد عطا ص١٠ الطبعة الأولي القاهرة ١٩٧٠.

(٢) التصوف مقال مصطفي عبد الرزاق عن التصوف ص٦٩ط بيروت ١٩٨٤م.

الشخص: استغفر الله تعالي، وتاب من ذلك»[١].

ومثل ذلك قال في أخلاقه بعد ما ذكر عن المتبولي أنه قال:

«علمت من كان في ظهر آدم من السعداء حال كونهم ذرات، فلا يزيدون علي ما علمت ولا شخصًا واحدًا، وكذلك أطلعني الله تعالي علي جميع ما يفعله كل عبد حين أري أنفه فأعرف ما وقع فيه في الماضي، وما يقع فيه في المستقبل من خير وشر - ثم قال - :

وقلت: وينبغي التسليم لكل من ادعي أن الله أطلعه علي ذلك لأنه ادعي ممكنًا»[٢].

وابن عجيبة الحسني لم ير أن يتأخر عن الجماعة ترويجًا لهذا الباطل، فقال بعد ما نقل عن أبي بكر الشبلي أنه كان له تلميذ، فكساه رجل يومًا جبة وكان علي رأس الشبلي قلنسوة، فخطر علي قلب التلميذ محبة القلنسوة ليجمعها مع الجبة، فكاشفه الشيخ فأزال له الجبة وجمعها مع القلنسوة ورمي بهما في النار، وقال له: لا تبق في قلبك التفاتًا لغير الله - قال بعد ذكر هذه الحكاية - :

وأنكر عليه بعض أهل الظاهر المتجمدين علي ظاهر الشريعة جهلاً بالمقصود، لأن أعمال الصوفية مبنية علي العبادة القلبية[٣].

فهكذا خالف القوم الشريعة، ونقضوها وعطلوها، وهدموا قواعدها بدعوي الكشف والإلهام فأدعي بعض منهم بعدم التفريق بين النبي والولي من حيث الوحي والإلهام، وزاد بعضهم في غلوائه فرجحوا الولاية علي النبوة، وزعموا بعدم ختم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وإتيان النبي[٤].

وارتقي البعض الآخر إلي أن وصل إلي مرتبة الألوهية والربوبية، فقالوا في ذلك ما قالوا[٥].

والجدير بالذكر أن جل إلهامات القوم وأكثر مكاشفاتهم ليست من الرب عز اسمه

---

(١) انظر الأخلاق المتبولية للشعراني ج١ ص٤١١، ٤١٢.

(٢) الأخلاق المتبولية للشعراني ج١ ص ١٢٤ ط القاهرة.

(٣) إيقاظ الهمم لابن عجيبة ط مصطفي البابي الحلبي الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.

(٤) انظر كتابنا «التصوف: المنشأ والمصادر» الباب الثالث منه.

(٥) انظر لذلك كتابنا «أولياء أم آلهة» الباب الأول.

وجل مجده، بل أنها خيالات نفسانية أو بخارات صعدت إلي مفكراتهم وأذهانهم من سوء الهضم، والتجوع، والسهر، أو تخيلات المهووسين والمجنونين أو القاءات وإيحاءات شيطانية، لاختلافها وتناقضها وتعارضها وتباينها باختلاف الأشخاص والبيئات.

فوجود الاختلاف دليل علي أن مصدرها ومنبعها ليس بواحد، وهذا واضح وجلي لمن عرف مكاشفات القوم واطلع علي إلهاماتهم وقرأ في كتبهم، فمكاشفات ابن عربي تختلف عن مكاشفات ابن سبعين، وإلهامات أبي يزيد البسطامي عن با يزيد الأنصاري وذي النون المصري، والرفاعي عن الشاذلي والنقشبندي عن السهروردي، والجشتي عن القادري، والبكتاشي عن النوربخشي، والتيجاني عن العروسي ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[1].

وعلي ذلك انتبه لهم علماء الإسلام وفقهاء الأمة، وتصدوا لهم بالرد علي أفكارهم وخيالاتهم، ففسقوا البعض وكفروا الآخرين، وأفتوا بالزندقة علي قسم منهم، ولم يكن ردهم عليهم إلا أن قالوا كما نطق به شيخهم الأكبر:

«ويزيل رجل الطريق التفكر عن نفسه جملة واحدة، فإنه مفرق لهمه، ويعتكف علي مراقبة قلبه عند باب ربه، عسي الله أن يفتح له الباب إليه، ويعلم ما لم يكن يعلم، مما علمته الرسل وأهل الله، مما لم تستقل العقول بإدراكه، وإحالته.

فإذا فتح الله لصاحب هذا القلب هذا «الباب» حصل له تجل إلهي، أعطاه ذلك التجلي بحسب ما يكون حكمه، فينسب إلي الله منه أمرًا لم يكن قبل ذلك يجرأ علي نسبته إلي الله سبحانه... غير أن أصحابنا اليوم يجدون غاية الألم حيث لا يقدرون يرسلون ما ينبغي أن يرسل عليه – سبحانه! – كما أرسلت الأنبياء – عليهم السلام! – . فما أعظم تلك التجليات! وإنما منعهم أن يطلقوا عليه ما أطلقت الكتب المنزلة والرسل – عليهم السلام – عدم إنصاف السامعين من الفقهاء وأولي الأمر، لما يسارعون إليه في تكفير من يأتي بمثل ما جاءت به الأنبياء – عليهم السلام – في جنب الله. وتركوا (– أعني

(١) سورة النساء الآية ٨٢.

هؤلاء الفقهاء) معني قوله - تعالي - : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ كما قال له صلى الله عليه وسلم - ربه - عز وجل - عند ذكره الأنبياء والرسل - عليهم السلام - : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾.

فأغلق الفقهاء هذا الباب من أجل المدعين، الكاذبين في دعواهم.

ونعم ما فعلوا! وما علي الصادقين في هذا من ضرر. لأن الكلام والعبارة عن مثل هذا ما هو ضربة لازب. وفي ما ورد عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ذلك كفاية لهم. فيوردونها، يستريحون إليها: من تعجب وفرح، وضحك، وتبشبش، ونزول، ومعية، ومحبة، وشوق: وما أشبه ذلك مما لو انفرد بالعبارة عنه الولي كفر، وربما قتل.

(٣٠٣) وأكثر علماء الرسوم عدموا علم ذلك ذوقًا وشربًا. فأنكروا مثل هذا من العارفين، حسدًا من عند أنفسهم. إذ لو استحال إطلاق مثل هذا علي الله تعالي، ما أطلقه علي نفسه، ولا أطلقته رسله - عليهم السلام - عليه. ومنعهم الحسد أن يعلموا أن ذلك رد علي كتاب الله، وتحجير علي رحمة الله أن تنال بعض عباد الله، وأكثر العامة تابعون للفقهاء في هذا الإنكار، تقليدًا لهم، لا بل - بحمد الله - أقل العامة... فانظر ما يقاسيه، في نفسه، العالم بالله. فسبحان من أعمي بصائرهم - علماء الرسوم - حيث أسلموا وسلموا وآمنوا بها به كفروا، فالله يجعلنا ممن عرف الرجال بالحق، لا ممن عرف الحق بالرجال[١].

«إنما كان الناس ينكرون علي أهل الله تعالي علومهم لأنها جاءت أصحابها من طرق غريبة غير مألوفة، وهي طرق الكشف، وأكثر علوم الناس إنما جاءتهم من طريق الفكر، فلذلك كانوا ينكرون كل ما جاءهم من غير هذا الطريق، وما كل أحد يقدر علي جلاد مرآة قلبه بالمجاهدة والرياضة حتي يصير يفهم كلام أهل الله ويدخل دائرتهم ولكن لله في ذلك حكم وأسرار»[٢].

وأيضًا «لقد وقع لنا وللعارفين أمور ومحن بواسطة إظهارنا المعارف والأسرار

(١) الفتوحات المكية لابن عربي السفر الرابع ص١٢٢ إلى ٢٢٧ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) أيضًا الباب الثامن والثلاثون وأربعمائة نقلاً عن اليواقيت والجواهر للشعراني ج١ ص٢٥.

وشهدوا فينا بالزندقة، وآذونا الأذي، وصرنا كرسول كذبه قومه وما آمن معه إلا قليل، وأعدي عدو لنا المقلدون لأفكارهم، وأما الفلاسفة فيقولون عنا: هؤلاء قوم أهل هوس قد فسدت خزانة خيالهم، فضعفت عقولهم، ويا ليتهم إذ لم يصدقونا جعلونا كأهل الكتاب لا يكذبونا فيما لم يخالف شرعنا مع أنا لا يضرنا بحمد الله إنكارهم علينا لجهلهم»(١).

ونقل الشعراني مثل ذلك عن الجنيد سيد الطائفة أنه قال:

«لا يبلغ أحد درج الحقيقة حتي يشهد فيه ألف صديق بأنه زنديق، وذلك لأنه إذا نطق بعلوم الأسرار لا يسع الصديقين إلا أن ينكروا عليه»(٢).

وذكر الشعراني في مقدمة كتابه «الطبقات الكبري» الكثيرين من المشايخ الصوفية الكبار الذين أخرجوا من بلادهم، وفسقوا وكفروا مثل أبي يزيد البسطامي وذي النون المصري، وسمنون، وسيد الطائفة الجنيد، والحكيم الترمذي، وأبي مدين المغربي وغيرهم الكثيرين الكثيرين(٣).

وذكر ماسنيون سبب سخط الفقهاء وغضبهم علي المتصوفة حيث قال:

«ولكن الفقهاء والمتكلمين أسخطهم أن يروا أناسًا يتحدثون عن نشدان الضمير، ويحتكمون إلي قصائد الباطن، في حين أن شريعة القرآن تحاسب علي الأعمال الظاهرة، وتعاقب الناس علي آثامهم، ولا حيلة لها مع النفاق في الدين، ولذلك حاولوا أن يبينوا أن حياة الصوفية لا محالة مفضية بهم إلي الزيغ».

وعن مثل هؤلاء قال الله عز وجل:

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ

---

(١) التدبيرات الإلهية لابن عربي ص١١٣ ط مطبعة بريل ليدن ١٣٣٦هـ أيضًا درر الغواص للشعراني ص٣٢٠ بهامش الأبرير للدباغ طبعة قديمة مصر، أيضًا اليواقيت والجواهر للشعراني ص٢٥ ط مصطفي البابي الحلبي القاهرة.

(٢) الطبقات الكبري للشعراني.

(٣) المصدر السابق.

ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾[١].

و﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾[٢].

* * *

(١) آية رقم ٧٩ سورة البقرة.

(٢) آية رقم ٧٨سورة آل عمران.

الباب الرابع

التصوف - بدعه وخصائصه

إن المنصف لما يتعمق في كتب المتصوفة ورسائلهم وصحفهم، في سيرهم وسلوكهم، أحوالهم وطبقاتهم، أسسهم وقواعدهم، ليري أن أمرهم مبني: أما علي التطرف أو مخالفة الشريعة، أو مكون من البدع والزيغ والضلال.

فأما تطرفهم ومخالفتهم للشريعة فلقد ذكرناها فيما سبق، ونورد ههنا ما ابتدعوه واستحدثوه باسم الدين في التصوف، ولو أن كل هذا من حيث المبدأ والمال من قسم واحد لأن التطرف أيضًا بدعة في الدين، ومخالفات الشرع منهي عنها في الإسلام، ولكننا خصصنا هذا الباب لبيان أشياء اختص بها المتصوفة، وجعلوها من ميزاتهم وشعاراتهم، بل أنها من لوازمهم وخصائصهم، قلما يتصور صوفي ولا يتصور هذه الأشياء معه أو يتصور هذه الأشياء ولا يحضر في الذهن التصوف والمتصوفة من قديم الزمان وحديثه باختلاف الكم والكيف مثل الرقص والغناء، والوجد والتواجد، والأناشيد والمواجيد، والقصائد والترانيم، والأذكار والأوراد بألفاظها المخصوصة وأدابها الخاصة، وتصور الشيخ، وصحبه المريد، والخلوات والخانقاوات وآداب المكوث فيها، وغيرها من الأمور التي خصصوا لبيانها أبوابًا وفصولاً في كتبهم.

ويلاحظ الباحث أن للقوم نظامًا خاصًا، ومميزًا عن نظام الإسلام، وآدابًا ومناهج لم يرد ذكرها في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم تعرف في القرون الأولي المشهود لها بالخير، بل أخذوها من غير المسلمين، والبعيدين عن الإسلام وعقائده، أفكاره ومعتقداته، بل هي تخالف في شكلها وصورتها، وبحروفها وألفاظها، وكلماتها ومنطوقها، ومعانيها ومدلولاتها، واسمها ورسمها، وسيرتها وتشكيلها، وأدائها وأسلوبها من الإسلام الساذج، غير المتكلف والمصطنع، دين الفطرة ودين البساطة، فأين هو وتعاليمه من الرقص والتمايل وجدًا وطربًا، والذكر وحلقاته،

والحركات على التصفيق والبكاء والتصدية، وضربات الذكر، وتحريك الرأس والجسم آليا وبهلوانيا، والجلوس بين يدي الشيخ كالجلسة بين يدي الرب الخشوع والخضوع، وعدم التنفس أمامه والسؤال منه والاعتراَض عليه وعلى كل ما يفعله ويأمر به، والمكوث في سراديب الأرض واللبث في كهوف الجبال وغيرانها، وغير ذلك من الخرافات والخزعبلات.

فالإسلام دين يشمل الدنيا والآخرة، ويعامل الإنسان كما خلق في أحسن تقويم، مكرم ومعظم، وله حقوق، وعليه فرائض، وله إخوان وخلان، وأهل وعيال، ووالد وما ولد، وأقارب وجيران، وأسرة وبيئة يعيش فيها ومجتمع يحيطه، فلا يستغني عنهم ولا يستغني عنه، وعلى ذلك يقال: إن الإنسان مدني الطبع، وهو كذلك، ولذلك بعث الله النبيين وأرسل الرسل ليهدوه ويسلكوا به سبيل المؤمنين المتقين والمعتدلين يراعون الذمم، ويصلون الرحم، ويوفون بالعهود، ويرحمون الصغير، ويوقرون الكبير، ويداوون المريض، ويواسون الجريح، ويجبرون المكسور، ويقرون الضيف، ويراعون اليتيم، ويعطون المسكين، ويحافظون على ما أمر الله بحفظه، ويراعون الله فيما أمرهم برعايته، ويخافونه ويتقونه حق تقاته.

ولكن التصوف ليس هكذا، فهو انزواء وحشة وتنافر من الناس واعتزال عنهم: ثم رقص وسماع، وأكل وشرب على الاستجداء، ونوم في الروابط، لا الكسب ولا الطلب، ولا الزواج ولا المعاشرة، ومخالفة فطرة الله التي فطر الناس عليها.

وقد ذكرنا أشياء منها، ونذكر ههنا من بدع القوم ومحدثاتهم التي علقت بهم ولزمتهم، أو عرفت بهم وعرفوا بها.

فمن بدعهم ما يسمونه سماعًا، وهو: سماع أناشيد وأبيات غزلية فيها ذكر الهجر والوصل، والقرب والبعد، والعذاب والملامة، والعذل واللوم، والقطيعة والشوق، والحب والعشق، والحبيب والمعشوق، والقدود والخدود، والحسن والجمال، والغنج والدلال، والخمر والكئوس، والساقي والسيقان، مع الآلات وبدونها مكاء وتصدية،

دون سماع القرآن وأحاديث سيد الأنام.

كما يقول ابن عجيبة الحسني:

«السماع هو استماع الأشعار بالنغم والموسيقي»(١).

وجعلوا هذا السماع من لوازم التصوف حيث نقلوا عن علم من الأعلام المتصوفة الحسين النوري أنه سئل عن الصوفي فقال:

«الصوفي الذي سمع السماع وآثر علي الأسباب»(٢).

وقال ابن البنا السرقسطي:

وللأنـــام في الســـماع خـــوض لكـــن لهـــذا الحـــزب فيـــه روض
وإن للـــــشيوخ فنـــــا إذ جعلـــوه للطريـــق ركنًـــا(٣)

ونقل الشعراني عن الحارث المحاسبي أنه كان يقول:

«مما يتمتع به الفقراء سماع الصوت الحسن»(٤).

و«أنه من أسرار الله تعالي في الوجود»(٥).

وقالوا:

«السماع لصف غذاء الأرواح لأهل المعرفة لأنه وصف يدق عن سائر الأعمال، ويدرك برقه الطبع لرقته، ويدرك بصفاء السر عند صفاء السر لأهله»(٦).

ونقلوا عن الجنيد أنه قال:

«الرحمة تنزل علي الفقير في ثلاثة مواضع: عند الأكل فإنه لا يأكل إلا عند الحاجة، وعند الكلام فإنه لا يتكلم إلا لضرورة، وعند السماع فإنه لا يسمع إلا عند الوجد»(٧).

---

(١) الفتوحات الإلهية لابن عجيبة الحسني ص١٨٣ ط عالم الفكر القاهرة.

(٢) كتاب اللمع للطوسي ص٣٤٣، أيضًا الرسالة القشيرية ج٢ ص٦٤٤.

(٣) المباحث الأصلية لابن البنا السرقسطي ضمن الفتوحات الإلهية لابن عجيبة ص١٨٣.

(٤) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية للشعراني ج٢ ص١٧٩ ط دار إحياء التراث العربي بغداد.

(٥) التدبيرات الإلهية لابن عربي ص٢٢٣ ط ليدن.

(٦) كتاب اللمع للطوسي ص٣٤٢، الرسالة القشيرية ج٢ ص٦٤٦.

(٧) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص١٩١، ومثله في كتاب اللمع للطوسي ص٣٤٣، وفي الرسالة=

ويذكر الهجويري واحد من المشايخ أنه كان يقول:

«السماع تنبيه الأسرار لما فيها من المغيبات»[١].

وأما الكلاباذي فيقول:

«السماع استجمام من تعب الوقت، وتنفس لأرباب الأحوال، واستحضار الأسرار لذوي الأشغال».

وإنما اختير علي غيره مما يستروح - هكذا - إليه الطباع، لبعد النفوس عن التشبث به والسكون إليه، فإنه من القضاء يبدو، وإلي القضاء يعود[٢].

ونقل الغزالي وأبو طالب المكي عن بعض المشائخ أنه قال:

«رأيت أبا العباس الخضر عليه السلام فقلت له: ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا؟

فقال له: الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدام الفقهاء»[٣].

وأما ابن عجيبة فنقل هذا عن رسول الله حيث قال:

«حكي عن بعض الأبدال أنه قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: ما تقول في السماع الذي عليه أصحابنا؟

فقال: هو الصفاء الذي لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء[٤].

ونقل الشعراني عن سهل بن عبد الله أنه كان يقول:

«معني السماع علم استأثر الله تعالي به لا يعلمه إلا هو، والعبارات تقصر عنه ولكن الصادقون - كذا - تشير إليهم المعاني فيستريحون بذلك من تعب الحجاب»[٥].

= القشيرية ج٢ ص٦٤٥، وفي إحياء علوم الدين للغزالي ج٢ ص٢٤٧، وفي قوت القلوب لأبي طالب المكي ج٢ ص٦١، وفي عوارف المعارف للسهروردي ص١٧٦.

(١) كشف المحجوب للهجويري ص٦٥٣ طبعة عربية.

(٢) التعرف للكلاباذي ص١٩٠.

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي ج٢ ص٢٤٧، أيضًا قوت القلوب لأبي طالب المكي ج٢ ص٦٣.

(٤) الفتوحات الإلهية لابن عجيبة الحسني ص١٨٥.

(٥) الأنوار القدسية للشعراني ج٢ ص ١٨٢، ومثله في الرسالة القشيرية ج٢ ص ٦٥٠.

ونقل الوزير لسان الدين بن الخطيب عن أبي علي الروذباري أنه سئل عن حقيقة السماع فقال:

«المنطق الذي ظهر الحق به، ونطق به في الأزل»[١].

والقشيري ذكر عنه أنه سئل عن السماع فقال:

«مكاشفة الأسرار إلى مشاهدة المحبوب»[٢].

ونقلوا عن ذي النون المصري أنه قال:

«السماع وارد حق يزعج القلوب إلى الله»[٣].

ونقل القشيري عنه أنه سئل عن الصوت الحسن فقال:

«مخاطبات وإشارات أودعها الله تعالى كل طيب وكل طيبة»[٤].

وهو الذي روي عن بعض المتصوفة أنه سئل عن السماع فقال:

«بروق تلمع ثم تخمد، وأنوار تبدو ثم تخفي، ما أحلاها لو بقيت مع صاحبها طرفة عين، ثم أنشأ يقول:

خطــرة في الـــسر منـــه خطـــرت ... خطـرة الـبرق ابتـدي ثـم اضـمحل

أي زور لـــك لـــو قـــصدًا سري ... ومـــسلم بـــك لـــو حقًـا فعــل[٥]

ونقلوا عن السري السقطي أنه قال:

«تطرب قلوب المحبين إلى السماع، وتخاف قلوب التائبين، وتكاب قلوب المشتاقين»[٦].

ونقل الغزالي عن أبي الحسين الدراج أنه قال:

«جاء بي السماع في ميادين البهاء فأوجدني وجود الحق عند العطاء، فسقاني بكأس

---

(١) روضة التعريف للوزير لسان الدين بن الخطيب ص٢٧٠ ط.

(٢) الرسالة القشيرية ج٢ ص٦٤٩.

(٣) كشف المحجوب للهجويري ص٦٥٢.

(٤) انظر الرسالة القشيرية ج٢ ص ٦٤٥.

(٥) أيضًا ص ٦٥٧.

(٦) الفتوحات الإلهية لابن عجيبة الحسني ص١٨٤.

الصفاء فأدركت به منازل الرضاء، وأخرجني إلي رياض التنزه والفضاء»[١].

وهناك كلام القشيري في رسائله كاد أن يكون جامعًا وشاملاً لهذه المعاني كلها حيث يقول تحت عنوان «ما السماع»:

«السماع إدراك الغيوب بسمع القلوب بفهم الفؤاد لحقائق المراد، الوقوف علي إشارات الحق عند وجود عبارات الخلق، الترقي مما يقرع سمع الظاهر إلي ما يوجب جمع السرائر، إصغاء القلب إلي خطاب الغيب، إشارات ترد علي الأسرار عند عبارات تسمع من الأغبار انطلاق لسان السرائر إذا سكت لسان الظواهر، جريان لسان الفؤاد والعبد ساكت بين العباد، مفاوضة الأحباب وسكوت اللسان عن الخطاب.

السماع من موجبات الرأفة ومذهبات الكلفة، السماع سفير يؤدي إليكم رسائل الغيب ودليل ينفي عنكم دواعي الريب، تعريف يفد علي القلب بريد التجلي وتأبيد يحصل من الغيب بحسن التولي، غذاء الأرواح وشفاءها، روح القلوب وصفاءها، لطائف الغيب وزوائده، نتائج القرب وعوائده.

السماع يبرز كل وجد كامن ويزعج كل قلب ساكن، السماع مبهج لقوم مزعج لقوم لأنه يفيد قومًا ويبيد قومًا من أفاده أبهجه وأصحاه ومن أباده أزعجه - أو لأم محاه - السماع غريم لا يرضي من الفقير إلا ببذل الروح لكنه يغنيه عن نيل كل ممنوع، السماع يقضي ويقتضي، يقضي حقك ويقتضي حقه فحقه منك التلف وحقك أن يكون منك الخلق السماع يهتك ستر كل كاتم ويملك السمع حتي لا يدخله لوم لائم، السماع تذكير ما سلف لك يوم الميثاق فيثير منك كوامن الاشتياق السماع معني يصادفك بغتة ثم يفارقك فلتة فلا لوروده سبب ولا لزواله موجب يحتسب، السماع غيور لا يرضي بدون قتلك لكنه يتلطف في اقتاصك بختلك[٢].

فهذا هو السماع عند القوم، لخصناه من الكتب الموثوقة المعتمدة لديهم.

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ج٢ ص٢٦٧.

(٢) رسالة في السماع ضمن الرسائل القشيرية ص٥٠ وما بعد - نشر المعهد المركزي للأبحاث الإسلامية إسلام أباد باكستان.

وقبل أن نذكر آداب السماع التي اختلقها المتصوفة وأوجدوها بيانًا بأن له مقامًا وشأنًا ومنزلة ومرتبة تضاهي القرآن الكريم الذي أنزله الله هدي للناس ورحمة وشفاء للمؤمنين، نريد أن نذكر بعض سماعاتهم التي كلف بها القوم وشغفوا بها، وطالما يجعلون تأثيرها أوقع في النفوس من آيات الذكر الحكيم لكي يعرف القاريء من أي نوع هؤلاء الناس؟

فيذكر ابن الملقن عن صوفي مشهور عمرو بن عثمان المكي المتوفي ٢٩٧هـ أنه دخل أصبهان، فصحبه حدث وكان والده يمنعه من صحبته، فمرض الصبي، فدخل عليه عمرو مع قوال، فنظر الحدث إلي عمرو، قال: قل له يقول شيئًا، فقال:

ما لي مرضت فلم يعدني عائد ... منكم ويمرض عبدكم فأعود؟

فتمطي الحدث علي فراشه وقعد، وقال للقوال: زدني بحبك لله.

فقال:

وأشد من مرضي علي صدودكم ... وصدود عبدكم علي شديد

أقسمت لا علق الفؤاد بغيركم ... ولكن علي بها أقول عهود

فزاد به البر حتي قام وخرج معهم[١].

وذكر السلمي واحدًا من أصحاب الجنيد وأحد مشائخ العراق وأئمتهم أبا محمد المرتعش النيسابوري والذي قال فيه أبو عبد الله الرازي «كان مشائخ العراق يقولون: عجائب بغداد في التصوف ثلاث: إشارات الشبلي، ونكت المرتعش، وحكايات جعفر الخلدي» يذكر عنه برواية أحمد بن علي:

«كنت عند المرتعش قاعدًا، فقال رجل: قد طال الليل وطاب الهواء، فنظر إليه المرتعش وسكت ساعة ثم قال: لا أدري ما تقول، غير أني ما سمعت بعض القوالين في بعض هذه الليالي يغني ويقول:

---

(١) طبقات الأولياء لابن الملقن ص٣٤٤ ط مكتبة الخانجي القاهرة.

لســـست أدري أطـــال لـــيلي أم لا كيــف يــدري بــذاك مـــن يــتقلي
لــو تفرغـــت لاســتطالة لـــيلي ولرعـــي النجـــوم كنـــت مخـــلي
إن للعاشـــقين عـــن قـــصر الليـــ ـــل وعـن طولـه مـن الوجـد شـغلا

قال: فبكي من حضره(١).

وعنه ذكر ابن الملقن أنه قال لبعض جلسائه:

«أنشدني الأبيات التي كنت تنشد بالأمس، فأنشأ يقول:

وقـف الهـوي بي حيـث أنـت فليـــ ـــس لي متـــأخر عنـــه ولا متقـــدم
أجـــد الملامـــة في هـــواك لذيـــذة حبّـــا لـــذكرك فليلمنـــي اللـــوم
أشـــبهت أعـــدائي فـــصرت أحـــبهم إذ صـار حظـي منـك حظـي مـنهم
وأهنتنـــي فأهنـــت نفـــسى صـــاغرًا مـا مـن يهـون عليـك ممـن يكـرم(٢)

ونقل السهرودي في عوارفه عن ذي النون أنه لما دخل بغداد دخل عليه جماعة ومعهم قوال، فاستأذنوه أن يقول شيئًا، فأذن له، فأنشد القوال:

صـــغير هـــواك عـــذبني فكيـــف بـــه إذا احتنكـــا
وأنـــت جمعـــت مـــن قلبـــي هـــوي قـــد كـــان مـــشتركًا
أمـــا ترثـــي لمكتئـــب إذا ضـــحك الخـــلي بكـــي

فطاب قلبه، وقام وتواجد وسقط علي جبهته والدم يقطر من جبهته ولا يقع علي الأرض(٣).

ويذكر السراج الطوسي والهجويري عن الدراج أنه قال:

«كنت أنا وابن الفوطي مارين علي الدجلة بين البصرة والأبلة وإذا بقصر حسن، له منظر وعليه رجل بين يديه جارية تغني وتقول:

---

(١) طبقات الصوفية لأبي الرحمن السلمي ترتيب أحمد الشرباصي ط مطابع الشعب القاهرة ١٣٨٠هـ.

(٢) طبقات الأولياء لابن الملقن ص١٤٣.

(٣) عوارف المعارف للسهروردي ص ١٧٩، الرسالة القشيرية ج٢ ص٦٥٠، إحياء علوم الدين للغزالي ص٢٦٩، نشر المحاسن الغالية لليافعي ص٢٠٥ بهامش جامع كرامات الأولياء للنبهاني.

كـــــــل يـــــــوم تتلـــــــون غـــــير هـــــذا بـــــك أجمـــــل
في ســـــــــــبيل الله ود كـــــان منـــــي لـــــك يبـــــذل

قال: وإذا شاب تحت المنظر، بيده ركوة وعليه مرقعة يتسمع، فقال: يا جارية بالله وبحياة مولاك إلا إذا أعدت هذا البيت، قال: فأقبلت الجارية عليه وهي تقول هذا البيت:

كـــــــل يـــــــوم تتلـــــــون يـــــر هـــــذا بـــــك أجمـــــل

قال: فشهق شهقه وحمد، فتأملناه فإذا هو ميت[١].

ونقل الهجويري عن أحد مشائخه أنه قال:

سمعت مع درويش في بغداد صوت مغن كان يغني:

مني إن تكن حقًا تكن أحسن المني إلا فقد عشنا بها زمنًا رغدًا

فصرخ ذلك الدرويش وفارق الدنيا.

ومثل هذا، يقول أبو الرودباري رضي الله عنه: رأيت درويشًا قد شغل بغناء مغن، فأصغيت أنا أيضًا لأري ما يقول، فكان ذلك المغني يقول بصوت حزين:

أمـــد كفـــي بالخـــضوع إلي الـــذي جـــاد بالـــصنيع

فصرخ الدرويش ووقع، فلما اقتربت منه وجدته ميتًا[٢].

وأنشد أبو طالب المكي نقلاً عن بعض الصوفية أنه كان يقول:

يـــا حبيبًـــا بـــذكره نتـــداوي وصـــفوه لكـــل داء عجيـــب
مـــن أراد الطبيـــب سرا إذا اشـــتياقًا إلي لقـــاء الطبيـــب
مـــن أراد الحبيـــب ســـار إليـــه وجفـــا الأهـــل دونـــه والقريـــب
لـــيس داء المحـــب داء يـــداوي إنـــما بـــرؤه لقـــاء الحبيـــب[٣]

(١) كتاب اللمع للطوسي ص٣٥٨، أيضًا كشف المحجوب للهجويري ص٦٥٧، أيضًا إحياء علوم الدين للغزالي ج٢ ص ٢٦٤ ط دار القلم ببروت.

(٢) كشف المحجوب للهجويري ص٦٥٨.

(٣) قوت القلوب لأبي طالب المكي ج٢ ص٤٣.

وأيضًا روي عن أبي تراب أنه كان ينشد:

لا تخـــدعن فللمحـــب دلائـــل ولديـه مـن تحـف الحبيـب وسـائل
منهـــا تنعمـــه بمـــر بلائـــه وسروره في كـــل مـــا هـــو فاعـــل
فـــالمنع منـــه عطيـــة مقبولـــة والفقـــر إكـــرام ولطـــف عاجـــل
ومـن اللطـائف أن يـري مـن عزمـه طـــوع الحبيـــب وإن ألـــح العـــاذل
ومـــن الـــدلائل أن يـــري مبتـــسمًا والقلـــب مـــن الحبيـــب بلابـــل
ومـــن الـــدلائل أن يـــري مـــتفهمًا لكـــلام مـــن يحظـــي لذيـــه الـــسائل
ومـــن الـــدلائل أن يـــري متقـــشفًا متحفظًـا مـن كـل مـا هـو قائـل[1]

وذكر ابن عربي في كتابه «محاضرة الأبرار» كثيرًا من الأبيات الغزلية التي يهتم الصوفية بالاستماع إليها، فمنها ما ذكرها تحت عنوان «من السماع الصوفي» فيقول:

«وسماعنا علي قول كثير عزة»:

لقـد حلفـت جهـدًا بـما حلفـت لـه قـــريش غـــداه المـــأزمين وصـــلت
وكانـت لقطـع الحبـل بينـي وبينهـا كنـــاذرة نـــذارًا فأوفـــت وحلـــت
فقلـت لهـا يـا عـز كـل مـصيبة إذا وطنـت يومًـا لهـا الـنفس ذلـت[2]

وقال أيضًا: «وسماعنا علي قول ابن الدمينة:

ألا يا صبا نجد متي هجـت مـن نجـد لقـد زادني مـسراك وجـدًا عـلي وجـد
لئن هتفـت ورقـاء في رونـق الـضحي عـلي فـنن غـض النبـات مـن الرنـد
بكيـت كـما يبكـي الوليـد ولم تكـن جليـدًا وأبـديت الـذي لم يكـن يبـدي
وقـد زعمـوا أن المحـب إذا دنـا يمـل وأن النـأي يـشفي مـن الوجـد
بكـل تـداوينا فلـم يـشف مـا بنـا عـلي أن قـرب الـدار خـير مـن البعـد
عـلي أن قـرب الـدار لـيس بنـافع إذا كـان مـن تهـواه لـيس بـذي ود[3]

(١) أيضًا ص٦٣.
(٢) محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار لابن عربي ج١ ص ٣٦٠ ط دار الكتاب الجديد القاهرة ١٩٧٢م.
(٣) أيضًا ص٣٦١.

ويقول: «وسماعنا على قول قيس لمجنون أيضًا:

ألا يــا حبــذا نجــد وطيــب ترابــه … أرواحــه إن كــان نجــد عــلى العهــد
ألا ليــت شــعري مــن عوارضــتي قبــا … طــول التنــائي هــل تغيرتــا بعــدي
وعــن جارتينــا بالأثيــل إلى الحمــي … لي عهــدنا أم لم يــدوما عــلى عهــد[1]

وأما كتابه «ذخائر الأعلاق «فكله ممتلىء بالتشبيب والتغزل والأبيات العشقية الداعية إلى الهزل والمجون والخلاعة، ذكرنا نبذة منها في كتابنا «التصوف المنشأ والمصادر»[2].

وقد ذكر الجامي في نفحاته أن هناك طائفة من الصوفية كثيرًا ما ينشدون هذه الأبيات:

وقــف بالــديار فهــذه آثــارهم … تبكــي الأحبــة حــسرة وتــشوقًا
كــم قــد وقفــت بهــا أســأل مخــبرًا … عــن أهلهــا أو صــادقًا أو مــشفقًا
فأجــابني داعــي الهــوي في رســمها … فارقــت مــن تهــوي تعــز الملتقــي[3]

وذكر أيضًا أن مشائخ الصوفية ينشدون أشعارًا يصفون فيها راح المحبة وشوق وصل المحبوب، ومن ذلك البيت المشهور:

هنيئًــا لأهــل الــدير كــم سـكروا بهــا … ومــا شربــوا منهــا ولكــنهم همــو
عــلي نفــسه فليبــك مــن ضــاع عمــره … ولــيس لــه فيهــا نــصيب ولا ســهم[4]

ونذكر بعض الأبيات التي ذكرها الغزالي من كبار المتصوفة فينقل عن النوري أنه كان مع جماعة في دعوي، فجري بينهم مسألة في العلم وأبو الحسين النوري ساكت، ثم رفع رأسه وأنشدهم:

---

(١) أيضًا ص ٣٣٩، ٣٤٠.
(٢) انظر الباب الثالث من كتابنا «التصوف: المنشأ والمصادر».
(٣) نفحات الأنس للجامي ص١٤١ ط كتاب فروشي محمودي إيران ١٣٣٧ هجري قمري.
(٤) نفحات الأنس للجامي ص٥٤٣.

رب ورقـــاء هتـــوف في الـــضحي ذات شــــجو صـــــدحت في فــــنن
ذكـــــرت إلفًـــــا ودهــــرًا صـــالحًا وبكـــت حزنًــا فهاجــت حـــزني
فبكـــــائي ربـــــما أرقهـــــا وبكاهــــــا ربـــــما أرقنـــــي
وبقـــد أشـــكو فـــما أفهمهـــا ولقـــد تـــشكو فـــما تفهمنـــي
غـــير أني بـــــالجوي أعرفهـــــا وهـــي أيـــضًا بـــالجوي تعرفنـــي[١]

وذكر:

وكــــأس شربـــت عـــلي لــــذة وأخــــري تـــدوايت منهـــا بهـــا[٢]

وأيضًا:

رق الزجـــــاج ورقـــــت الخمـــــر فتــــشابها فتــــشاكل الأمـــــر
فكـــــأنما خمـــــر ولا قـــــدح وكـــــأنما قـــــدح ولا خمـــــر[٣]

ومن تلك الأبيات ما نقلها أبو المفاخر يحيي الباخرزي عن ابن الفارض أنه كان ينشد:

شربنـا عـلي ذكـر الحبيـب مدامـة سـكرنا بهـا مـن قبـل أن يخلـق الكـرم
لها البدر كـأس وهـي شـمس يـديرها هلال وكم يبـدو إذا مزجـت نجـم[٤]

فهذه نماذج للسماع الصوفي وأناشيد المتصوفة، وهناك كثير من الأبيات الغزلية باللغة الفارسية والأردية لدي المتصوفة أردأ منها وأقبح، فيها الفسوق البين والفجور الظاهر، نعرض عن إيراداها تجنبًا عن الإطالة.

ويقول أبو طالب المكي عن هذا السماع:

«تعرف مواجيد أصحابنا عند السماع»[٥].

ويكتب عن السماع أيضًا:

---

(١) انظر إحياء علوم الدين ج٢ ص ٢٧٣ ، ٢٧٤.

(٢) أيضًا ص ٢٦٩.

(٣) إحياء علوم الدين ج٢ ص ٢٦٧.

(٤) أوراد الأحباب وفصوص الآداب للباخرزي ص٢٤٢ ط إيران.

(٥) انظر قوت القلوب لأبي طالب المكي ج٢ ص٦١.

«وإنما ذكرنا هذا لأنه كان طريقًا لبعض المحبين، وحالاً لبعض المشتاقين، فإن أنكرناه مجملاً أنكرنا علي سبعين صادقًا من خيار الأمة»[١].

ويقول الأنصاري الهروي أن الأنس يتأتي من ثلاثة أشياء، منها: التغذي بالسماع[٢].

وهذه الأبيات والأناشيد والترانيم والقصائد والأشعار الغزلية المليئة بذكر ما يذكره الغاوون لا تقرأ ولا تنشد بصوت طيب، بل تغني علي ألحان وأنغام ومع آلات الطرب واللهو والغناء، كما أنه ليس من الضروري أن يكون القوال والمنشد رجلاً مسنًا، بل ومن البنات والجواري تسمع ويصغي إليهن كما ذكر الجعلي الفضلي عن سيده إسماعيل الصوفي أنه:

«أول ما تقوم عليه الحالة يمشي في حوشه، ويحضر البنات والعرايس والعرسان للرقيص، ويضرب الربابة، كل ضربة لها نغمة يفيق منها المجنون، وتذهل منها العقول، وتطرب لها الحيوانات والجمادات حتي إن الربابة يضعونها في الشمس أول ما تسمع صوته تضرب علي نغمته من غير أن يضربها أحد، وفرسة بنت بكر يشدونها له ويلبسونها الحرحر والجرس وقوادها ماسكها أول ما تسمع ترنمه في كلام الحرب وهو يقول:

بنـــت بكـــر المـــراد ويـــوا ويـــوا   ســـلطية العـــرض ويـــوا ويـــوا

فإن الفرس تقوم وتومئ برأسها وتتأتي بيديها والعقد فيها شلو شلو (حكاية لصوت العقد) [٣].

وذكر عن سليمان الطوالي الزغرات أنه «كانت له جارية تضرب له الدلوكة اسمها

(١) أيضًا ص٦١، كذلك أوراد الأحباب وفصوص الآداب للباخرزي ص٢٣٧، أيضًا عوارف المعارف للسهروردي ص١٨٤.

(٢) منازل السائرين للخواجه عبد الله الأنصاري الهروي ص١١٦ مع الشرح الفارسي ط انتشارات مولي إيران ١٣٤١ هجري قمري.

(٣) كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان لمحمد ضيف الله الجعلي الفضلي ص٢٨ ط المكتبة الثقافية بيروت لبنان.

منانة، كانت ضرابة لها بجميع أنواع الضرب يقول لها:

يــــا منانـــــة دق الدلوكـــــة خـــادم الله المــــاك مملوكـــــة [(١)]

وقد ذكر الشعراني أيضًا صوفية كانوا يضربون آلات[(٢)].

والدباغ أيضًا ذكر صوفيًّا طبالاً كان يضرب بالطبل ففتح الله عليه فبقي علي حالته ولم يرجع عنها[(٣)].

وكتب الشعراني عن عمر بن الفارض أنه «كانت له جواري يغنين له، فيقوم ويتواجد، وكان يتعالي في شرائهن لأجل حسن أصواتهن[(٤)].

واتهموا عطاء أنه «كانت له جاريتان يلحنان، فكان إخوانه يستمعون إليهما»[(٥)].

وعلي ذلك قال الفيتوري:

«يجوز ضرب البندير (من آلات الغناء) والرقص كذلك إذا كان من تواجد[(٦)].

وقال عماد الدين الأموي:

«لا بأس إذا كان في السماع آلة من دف أو شبابة، ولا بأس بالرقص في السماع»[(٧)].

ثم ذكروا آدابًا لهذا السماع أو الغناء لا تقل عن آداب سماع القرآن، بل وتفوقها كما يكتب القشيري في رسالته تحت عنوان «ما آداب السماع»؟ فيقول:

القعود بالهيبة عند صحوك إلي أن تصل إلي الخمود والغيبة لمحوك ثم الأناخة بحقوة الخضوع بقلبك ناسيًا أو متناسيًا لخطاب من ربك ثم استشعار الخجل فيما يرقيك إليه الحق أو يلقيك به من وجود حال أو شهود مقام أو روية وصال أو توهم

---

(١) أيضًا ص٩٣.

(٢) انظر طبقات الشعراني ج٢ ص ١٠٠.

(٣) انظر الأبريز للدباغ ص ٢٣٥ طبعة قديمة مصر.

(٤) الأنوار القدسية للشعراني ج٢ ص ١٨٦.

(٥) قوت القلوب لأبي طالب المكي ج٢ ص٦٢، عوارف المعارف للسهروردي ص١٧٧، مكاشفة القلوب للغزالي ص٢٣٩.

(٦) الوصية الكبري لعبد السلام الفيتوري ص١٩ و ٦٨.

(٧) حياة القلوب لعماد الدين الأموي ج٢ ص ١٧٩ بهامش قوت القلوب لأبي طالب المكي.

إكرام ثم ملاحظة ما يناغيك به من التقريب بعين السكر والنسيب ثم ترك المساكنة إلي ما يثني به الحق سبحانه عليك في سرك باستصغار حالك بل باستقذار قلك وكثرك ثم إخفاء حالك عن الحاضرين بترك الأبداء فيما تسمع وتلبس صورة الحال بنعت الأجانب فيما إليه يرجع ثم سقوط أحكام البشرية من تغيرك وتكدرك فيما تسامر فيه من غير إظهار فضل لك بكل وجد تدعيه أو حق من أحد تقتضيه ثم مراعاة حقوق الأكابر إذا حضروا موضع السماع بدوام السكون إلا عن غلبة الاختيار مسقطة ونازلة في الإزعاج مفرطة ثم كتمان ما تكاشف به من الإشراف علي أحوال من هو دونك في الشرف والحال»[١].

ويقول:

«وللسماع شروط أخر، فمنها أن لا يتخير فيما يسمع علي القوال، ولا يصح عليه خطأه في الأقوال لأن ذلك سوء أدب في أحكام الحضرة»[٢].

وأما الباخرزي فيقول:

«من آداب الصوفية في السماع أن يصلوا قبل الحضور في مجلس السماع، ويسألوا البركة من الرب عز وجل، وأن يقعدوا فيه بالهيبة والوقار، ويلازموا السكينة والإخلاص»[٣].

وينقل كذلك عن روز بهان بقلي أنه قال في كتابه «الأنوار في كشف الأسرار»:

«من آداب السماع كذلك أن يكون القوال حسن الوجه لأن العارفين يحتاجون لاستجمام قلوبهم إلي ثلاثة أشياء: روائح طيبة، ووجه صبيح، وصوت حسن مليح كما قال عليه السلام: «**حبب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء، وقرة عيني في الصلاة**»[٤].

---

(١) الرسائل القشيرية ص ٥٤، ٥٥ ط إسلام أباد باكستان.

(٢) أيضًا ص ٥٣.

(٣) أوراد الأحباب وفصوص الآداب ليحيي الباخرزي (فارسي) ص٢٠٢ط إيران.

(٤) أوراد الأحباب للباخرزي ص ٢٠٧.

ومن تلك الآداب ما ذكرها عبد السلام الأسمر في وصيته فيقول:

«إخواني: تأدبوا معها أي حضرة السماع وأحسنوها واخشعوا فيها كما تخشعون في الصلاة اللهم إلا إذا نزل بكم أمر غالب من وجد أو شوق أو ذوق أو حال أو جدب. فإذا أغمي علي أحد منكم في الحضرة فقد سقط عليه التكليف فسقطوا له، وإذا شق بكم من ضرب أو مزاحمة أو صراخ يفسد عليكم ذكركم أو صوت قوي يخلط عليكم أو يشتتكم أو يضربكم ضررًا فأخرجوه من الحلقة برفق ولين ولا تضروه ولا تنازعوه ولا تهددوه ولا تفتحوا عليه، ولو غير الاسم الأعظم ولو كان يقول خاخاخا أو حاحاحا أو لا لا لا أو ها ها ها أو كاكاكا أو فافافا أو أي حرف من الحروف الهجائية. فإذا لم يشق بكم ولا يضر بكم فلا تخرجوه من الحضرة إلي أن يشبع واجعلوه في وسطها وأحسنوا له الذكر وصوتوا فيه بالقوة إلي أن يلقي علي الأرض أو يطيب. فإذا سقط علي وجه الأرض فانقلوه بظرافة وتلقوه حين سقوطه علي الأرض لئلا يتضرر جسده.

إخواني: فأخرجوه بينكم بأدب وظرافة وألقوه علي الأرض النظيفة واطرحوه عليها وغطوه بالإزار إلي أن يفيق ويرجع علي ما كان عليه.

إخواني: وغمضوا أعينكم في الحضرة ولا يلتفت منكم أحد، واحفظوا الحلقة لئلا يدخلكم الجان، وحفظ الحلقة هو الفاهق الذي هو في دائرة الحضرة ما بين الرجل والرجل ولا يدخل في وسط الحضرة منكم أحد إلا من غلب عليه، ما ذكرناه من جذب ونحوه.

إخواني: ومن أصابه الضراط فليخرج منها ويقضيه ويرجع إلي الحضرة[1]».

ولم يكتف بهذا بل صرح بأشياء أخري، فيها إهانات وخرافات، فيقول:

«وعند إنشاد كلامي إياكم والعبث والسخرية وكذلك حين الذكر والإنشاد وحين تنشدون كلامي فإن روحي تحضر بين أيديكم سواء حيًّا أو ميتًا.

إخواني: وحين ينشد أحدكم كلامي فأنصتوا له واستمعوا وحضروا قلوبكم معه وتأملوه.

(١) الوصية الكبري لعبد السلام الأسمر ص ٥٠ ط مكتبة النجاح طرابلس ليبيا.

إخواني: وعند قولكم لكلامي فلا تتحدثوا ولا تعيشوا واخشوا فيه فإن روحي بين أيديكم ومعها ملكان صالحان.

إخواني: ولا تقطعوا كلامي وأتقنوه وأحسنوه واحفظوه حفظًا فائقًا.

إخواني: وإذا قلتم من كلامي قصيدة فلا تبطلوا في أثنائها إلي أن تتمموها ولا نظروا. ولا تبتروها ولا تقطعوها ولو سمعتم الأذان المهم إلا إذا كنتم تشوشون علي المؤذن أو تخلطوا عليه الأذان فأتموها سرًا.

إخواني: من لا يهزه إنشادي ودفي فقد تغلظ طبعه وفسد مزاجه وفيه نزعة يهودية»[١].

وحكي القشيري عن الجنيد أنه قال:

«السماع يحتاج إلي ثلاثة أشياء: الزمان والمكان والإخوان»[٢].

وقال الكمشخانوي:

«آداب الحضرة ثلاثة: دوام النظر، وإلقاء السمع، والتوطين لما يرد من الحكم»[٣].

وقد أطال الغزالي في ذكر آداب السماع:

«الأول: مراعاة الزمان والمكان والإخوان: قال الجنيد: السماع يحتاج إلي ثلاثة أشياء وإلا فلا تسمع: الزمان والمكان والإخوان. ومعناه أن الاشتغال به في وقت حضور طعام أو حصام أو صلاة أو صارف من الصوارف مع اضطراب القلب لا فائدة فيه فهذا معني مراعاة الزمان فيراعي حالة فراغ القلب له. وأما المكان: فقد يكون شارعًا مطروقًا أو موضعًا كريه الصورة أو به سبب يشغل القلب فيجتنب ذلك. وأما الإخوان: فسببه أنه إذا حضر غير الجنس من منكر السماع متزهد الظاهر مفلس من لطائف القلوب كان مستقلاً في المجلس واشتغل القلب به...

الأدب الثاني: هو نظر الحاضرين أن الشيخ إذا كان حوله مريدون يضرهم السماع

---

(١) أيضًا ص ٥٢، ٥٣.

(٢) الرسالة القشيرية ج٢ ص٦٤٥.

(٣) جامع الأصول في الأولياء للكماشخانوي ص٤٠.

فلا ينبغي أن يسمع في حضورهم فإن سمع فليشغلهم بشغل آخر...

الأدب الثالث: إن يكون مصغيًا إلي ما يقول القائل، حاضر القلب، قليل الالتفات إلي الجواب، متحرزًا عن النظر إلي وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من أحوال الوجد. مشتغلاً بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله تعالي له من رحمته في سره، متحفظًا عن حركة تشوش علي أصحابه قلوبهم. بل يكون ساكن الظاهر، هادئ الأطراف متحفظًا عن التنحنح والتثاؤب، ويجلس مطرقًا رأسه، كجلوسه في فكر مستغرق لقلبه، متماسكًا عن التصفيق والرقص وسائر الحركات علي وجه التصنع والتكلف والمراءاة، ساكتًا عن النطق في أثناء القول بكل ما عنه بد فإن غلبه الوجد وحركه بغير اختيار فهو فيه معذور غير ملوم...

الأدب الرابع: أن لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر علي ضبط نفسه ولكن إن رقص أو تباكي فهو مباح إذا لم يقصد به المراءاة لأن التباكي استجلاب للحزن، والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط. فكل مسرور مباح فيجوز تحريكه...

الأدب الخامس: موافقة القوم في القيام إذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف، أو قام باختيار من غير إظهار وجد وقامت له الجماعة فلا بد من الموافقة، فذلك من آداب الصحبة. وكذلك إن جرت عادة طائفة تنحية العمامة علي موافقة صاحب الوجد إذا سقطت عمامته أو خلع الثياب إذا سقط عنه ثوب بالتمزيق فالموافقة في هذه الأمور من حسن الصحبة والعشرة، إذا المخالفة موحشة ولكل قوم رسم، ولا بد من مخالفة الناس بأخلاقهم كما ورد في الخبر، لا سيما إذا كانت أخلاقًا فيها حسن العشرة والمجاملة وتطييب القلب بالمساعدة»[1].

فيا لهفتي ووا أسفي علي فقيه مثل الغزالي الذي ذهب به التصوف إلي هذه المذاهب والمقالات التي لا تتصور عن عاقل ذي شعور أن يقولها أو يتلفظ بها دون أن تصدر من شخص فقيه متكلم أصولي مناظر، ولله في خلقه شأن يهدي من يشاء ويضل من يريد، وبهذا يعرف قدرته واختياراته، وعظمته وجلالته.

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ج٢ ص٢٧٦ وما بعد.

والهجويري أيضًا بوب بابًا في ذكر آداب السماع، وعد آدابًا كثيرة، منها:

«إذا استولي السماع علي جماعة ولم يكن له منه نصيب فينظر إلي سكرهم بصحوة فيجب أن يكون محتاجًا إلي الوقت ويمكن لسلطان الوقت لتصل إليه بركاته»[١].

والسرقسطي أيضًا ذكر آداب السماع، ومن جملتها:

ولا يجـــوز عنـــده الـــتكلم ولا التلاهـــي، لا، ولا التبـــسم[٢]

ثم يشرح ابن عجيبة الحسني هذا البيت بقوله:

«إنما لا يجوز التكلم عنده (أي عند السماع) لأنه عند العارفين محل الوجد والخمرة، والكلام يشوش القلب ويبعده من الحضرة، ويتلف عن الحقيقة، فالواجب تركه لمن أراد جبر قلبه... وأما التبسم فإن فيه إساءة الأدب، فإن غلبه خرج، وإلا أخرج وزجر. قال السلمي رحمه الله: ولا يحضر مجلس السماع من يبتسم أو يتلاهي»[٣].

والشعراني نقل عن ابن عربي أن من آداب القوم في السماع أن لا يكون هناك من ليس من أهل طريقة أو من أهل طريقهم لكنه ينكر السماع ولا يقول به»[٤].

ويقول:

«وإذا سقطت عمامة الشيخ عن رأسه أو وضعها هو اختيارًا لثقلها أو لشدة حر ونحو ذلك، فمن الأدب، موافقة الفقراء له في ذلك، فيضعون كلهم عمائمهم كذلك، وإن رمي الشيخ عمامته إلي القوال أو رداءه فلهم أن يوافقوه بصدق، وليحذر أحدهم أن يرمي خرفته للقوال من غير إشارة الشيخ فإنه ترك الأدب. وإذا وقع من أحد من الفقراء خرفة أو عمامة في غير وجد، فيستحب للنقيب رفعها عن مواقع الأقدام إكرامًا لها، وإن كانت عمامة الشيخ رفعها كذلك وصار قائمًا بها إلي أن يطلبها الشيخ بالقرينة أو الإشارة، فهناك يتقدم النقيب ويضعها علي رأس الشيخ قائلاً بسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) كشف المحجوب للهجويري ص ٦٦٨.

(٢) المباحث الأصلية للسرقسطي ضمن الفتوحات الإلهية لابن عجيبة ص١٩٠.

(٣) الفتوحات الإلهية لابن عجيبة الحسني ص١٩٠، ١٩١ ط عالم الفكر القاهرة.

(٤) الأنوار القدسية الشعراني ج٢ ص١٨٧.

مع استشعار الحياء والأدب»[١].

فهذه هي آداب السماع عند الصوفية.

ومن أشنع ما استحدثوه وابتدعوه في السماع هو الوجد والتواجد والرقص، وقد بوبوا لبيانها أبوابًا مستقلة، وفصلوا الفصول، وما هي إلا خرافات وخرافات، وسخافات وسخافات، واستخفاف العقل والاستهزاء بالفكر ولكن أني للقوم أن يتعقلوا ويتفكروا، فقال السراج الطوسي مبينًا للوجد في باب مستقل من لمعه تحت عنوان «في ذكر اختلافهم في ماهية الوجد» قال:

«اختلف أهل التصوف في الوجد ما هو؟ فقال عمرو بن عثمان المكي رحمه الله:

لا يقع علي كيفية الوجد عبارة لأنها سر الله تعالي عند المؤمنين الموقنين»[٢].

ونقل عن أحد المتصوفة أنه قال:

«إن الوجد مكاشفات من الحق، ألا تري أن أحدهم يكون ساكنًا فيتحرك ويظهر منه الزفير والشهيق... وقال أبو سعيد أحمد بن بشر بن زياد الأعرابي رحمه الله:

«أول الوجد رفع الحجاب، ومشاهدة الرقيب الفهم، وملاحظة السبب، ومحادثة السر، وإيناس المفقود، وهو فناؤك أنت من حيث أنت.

قال أبو سعيد رحمه الله: الوجد أول درجات الخصوص وهو ميراث التصديق بالغيب، فلما ذاقوها وسطع في قلوبهم نورها، زال عنهم كل شك وريب.

وقال أيضًا: الذي يحجب عن الوجد رؤية آثار النفس والتعلق بالعلائق والأسباب، لأن النفس محجوبة بأسبابها، فإذا انقطعت الأسباب، وخلص الذكر وصحا القلب ورق وصفا، ونجعت فيه الموعظة والذكر وحل من المناجاة في محل غريب وخوطب وسمع الخطاب بأذن واعية وقلب شاهد وسر طاهر، فشاهد ما كان منه خاليا، فذلك هو الوجد، لأنه وجد ما كان عنده عدمًا معدومًا»[٣].

---

(١) أيضًا من ١٩٠.

(٢) كتاب اللمع للطوسي ص٣٧٥ ط دار الكتب الحديثة مصر.

(٣) أيضا من ٣٧٥، ٣٧٦.

وقال الهجويري:

«اعلم أن الوجد والوجود مصدران: أحدهما بمعني الحزن، والثاني بمعني الوجد، وفعل كلاهما كأنه واحد، ولا يمكن التفرقة بينهما إلا بالمصدر، كما يقال: وجد يجد وجودًا ووجدانًا: إذا صار محزونًا، وأيضًا: وجد يجد جدة: إذا صار غنيا، ووجد يجد موجدة: إذا غضب. والفرق بين هذه كلها يكون بالمصادر لا بالأفعال.

ومراد هذه الطائفة من الوجد والوجود إثبات حالين يظهران لها في السماع، أحدهما مقرون بالحزن، والآخر موصول بالوجد والمراد.

وحقيقة الحزن: فقد المحبوب، ومنع المراد، وحقيقة الوجد: حصول المراد والفرق بين الحزن والوجد هو أن الحزن اسم الغم الذي يكون في نصيب النفس، والوجد اسم الغم الذي يكون في نصيب الغير علي وجه المحبة. وتغير هذا جملة صفة الطالب «والحق لا يغير».

ولا تدخل كيفية الوجد تحت العبارة لأنها ألم في المغايبة، ولا يمكن بيان الألم بالقلم، فالوجد سر بين الطالب والمطلوب يكون بيانه في كشف تلك الغيبة، ولا تصح العلامة والإشارة إلي كيفية الوجود، لأنه طرف في المشاهدة، ولا يمكن إدراك الطرب الطلب، فالوجود فضل من المحبوب إلي المحب، والإشارة معزولة عن حقيقته.

وعندي أن الوجد ألم للقلب، إما من الفرح أو الترح أو الطرب أو التعب. والوجود إزالة غم عن القلب ومصادقته لمراده.

وصفة الواجد: إما حركة في غليان الشوق في حال الحجاب، وإما سكون في حال المشاهدة في حال الكشف: «إما زفير وإما نفير، إما أنين وإما حنين، إما عيش وإما طيش، إما كرب وإما طرب»[(١)].

وقال الكلاباذي:

«الوجد هو ما صادف القلب من فزع أو غم أو رؤية معني من أحوال الآخرة أو كشف حالة بين العبد وبين الله عزوجل... وقال النوري: الوجد لهيب ينشأ في

(١) كشف المحجوب للهجويري ترجمة عربية ص ٦٦١ ط دار النهضة العربية بيروت.

الأسرار، ويسنح عن الشوق فتضطرب الجوارح طربًا أو حزنًا عند ذلك الوارد... وقال بعضهم: الوجد بشارات الحق بالترقي إلي مقامات مشاهداته»[١].

وأما الغزالي فقد أطال الكلام فيه بعد ذكر الأقاويل الكثيرة عن المتصوفة والحكماء:

«أنه عبارة عن حالة يثمرها السماع وذلك جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة»[٢].

وأما القشيري فنقل عن محمد بن الحسيني أنه قال:

«سمعت عبد الواحد بن بكر يقول:

«سمعت عبد الله بن عبد المجيد الصوفي يقول: سئل رويم عن وجود الصوفية (أي عما يجدونه) عند السماع، فقال:

يشهدون المعاني التي تعزب عن غيرهم فتشير إليهم: إلي إلي، فيتنعمون بذلك من الفرح، ثم يقطع الحجاب فيعود ذلك الفرح بكاء، فمنهم من يخرق ثيابه، ومنهم من يصيح، ومنهم من يبكي، كل إنسان علي قدره»[٣].

وشرح عبد الله الأنصاري الهروي الوجد بقوله:

«الوجد لهب يتأجج من شهود عارض مقلق – ثم ذكر له درجات – فقال:

الدرجة الأولي: وجد عارض.

والدرجة الثانية: يستفيق له الروح بلمع نور أزلي أو سماع نداء أولي أو جذب حقيقي.

والدرجة الثالثة: وجد يخطف العبد من يد الكونين، ويمحص معناه من درن الحظ، ويسلبه من رقّ الماء والطين[٤].

وأما النداء الأولي الذي أشار إليه الهروي في هذا النص قد ذكره كثير من المتصوفة

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص ١٣٤.

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي ج٢ ص ٢٦٨.

(٣) الرسالة القشيرية ج٢ ص ٦٤٧.

(٤) منازل السائرين للخواجه عبد الله الأنصاري الهروي ص١٦٢.

في كتبهم، فيروي القشيري والسيد محمد ماضي أبو العزائم وغيرهما عن الجنيد أنه سئل:

«ما بال الإنسان يكون هادئًا، فإذا سمع السماع اضطرب؟

فقال: إن الله تعالي لما خاطب الذر في الميثاق الأول بقوله: ألست بربكم قالوا بلي، استفرغت عذوبة سماع الكلام الأرواح، فلما سمعوا السماع حركهم ذكر ذلك»[(١)].

فهكذا حاول الصوفية ربط سماعهم للأناشيد والأبيات الغزلية مع سماع نداء أولي.

وهناك أمثلة لتواجد المتصوفة وكيفيته، نذكر نبذة منها، فيذكر الطوسي:

«حكي عن الشبلي أنه تواجد يومًا في مجلسه فقال: آه ليس يدري ما بقلبي سواه، فقيل له: آه من أي شيء؟ فقال:

من كل شيء وذكر عنه أيضًا تواجد يومًا فضرب يده علي الحائط حتي عملت عليه يده قال: فعمدوا إلي بعض الأطباء، فلما آتاه قال للطبيب: ويلك! بأي شاهد جئني؟ قال: جئت حتي أعالج يدك، فلطمه الشبلي رحمه الله وطرده، قال: فعمدوا إلي طبيب آخر ألطف منه فلما أتاه قال له: ويلك، بأي شاهد جئتني؟ قال: بشاهده قال: فأعطاه يده فبسطها وهو ساكت، فلما أخرج الدواء يجعله عليها، صاح وتواجد وترك إصبعه علي موضع الداء وهو يقول:

أنبتـــــت صـــــبابتكم فرحـــــةً عـــــلي كبـــــدي
بـــــت مـــــن تفجعكـــــم كالأســـــير في الـــــصفد[(٢)]

ونقلوا عن أبي سعيد الخراز أنه قال: «رأيت علي بن الموقف في السماع يقول: أقيموني، فأقاموه، فقام وتواجد، ثم قال: أنا الشيخ الزفان»[(٣)].

---

(١) معارج المقربين لمحمد ماضي أبي العزائم ص ٣٢٣ ط. دار الثقافة العربية للطباعة مصر، أيضًا الرسالة القشيرية واللفظ له ص٦٤٤.

(٢) كتاب اللمع للطوسي ص ٣٧٩.

(٣) الرسالة القشيرية ج٢ ص٦٥٤.

وحكي السهروردي عن الشبلي أنه سمع قائلاً يقول:

أســـائل عـــن ســـلمي فهـــل مـــن مخـــبر
يكـــون لـــه علـــم بهـــا أيـــن تنـــزل

فزعق الشبلي وقال: «لا والله، ما في الدارين عنه مخبر»(١).

وذكروا عن عبد الله بن علي أنه قال:

«اجتمعت ليلة مع الشبلي رحمه الله، فقال القوال: شيئًا، فصاح الشبلي وتواجد قاعدًا، فقيل له: يا أبا بكر، ما لك من بين الجماعة قاعدًا؟

فقام وتواجد وقال:

لي ســــكرتان وللنـــدمان واحـــدة
شيء خصـــصت بـــه مـــن بيـــنهم وحـــدي(٢)

ويذكر الطوسي والغزالي:

«وكان الشبلي رحمه الله يتواجد كثيرًا إذا سمع هذا البيت»:

ودادكـــم هجـــر، وحـــبكم قـــلي ووصـــلكم صرم، وســـلمكم حـــرب

وقام الدقي ليلة إلي شطر الليل وهو يتخبط ويسقط علي رأسه ويقوم، والخلق يبكون، والقوالون يقولون هذا البيت:

بـــالله فـــاردد فـــؤاد مكتئـــب لـــيس لـــه مـــن حبيبـــه خلـــف(٣)

ونقلوا عن أبي علي الروذباري أنه قال:

«جزت بقصر يومًا، فرأيت شابًا حسن الوجه مطروحًا وحوله ناس مجتمعون، فسألت عنه فقالوا: أنه جاز بهذا القصر فسمع جارية تغني:

---

(١) عوارف المعارف للسهروردي ص١٨٤.

(٢) الرسالة القشيرية ج٢ ص ٦٥٩.

(٣) كتاب اللمع للطوسي ص٣٦٤، أيضًا إحياء علوم الدين للغزالي ج٢ ص٢٦٥، ومثله في الرسالة القشيرية ج٢ ص٦٥٤.

كـــــبرت همـــــة عبــــد طمعــــــــت في أن تراكـــــــا
أو مـــــا حـــــسب لعـــــين أن تـــــري مـــــن قـــــد رآك

فشهق شهقة ومات»[١].

ويقول اليافعي:

«وقد مات بالسماع من الفقراء خلق كثير من ذلك موت بعضهم بسماع هذا البيت:

تقـول نـساء الحـي تطمـع أن تـري محاسـن لـيلي مـت بـداء المطـامع

وموت آخر بسماع هذا البيت:

ما كنـت أعـرف مـا مقـدار وصـلكم حتي هجـرت وبعـض الهجـر تأديـب[٢]

وذكر ابن الملقن وصاحب «الكواكب الدرية» والغزالي عن أبي الحسين النوري أنه:

«اجتمع الجنيد والنوري ورويم وابن وهب وغيرهم في سماع، فمضي بعض الليل وأكثره، فلم يتحرك أحد منهم، ولا أثر فيه القول، فقال النوري للجنيد، يا أبا القاسم! هذا السماع يمر مرًا، ولا أري وجدًا يظهر!» فقال الجنيد: يا أبا الحسين! ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ فأنت يا أبا الحسين، ما أثر عليك؟!». فقال النوري: «ما بلغت مقامي في السماع». فقال الجنيد: «وما مقامك فيه؟» فقال: «الرمز بالإشارة دون الإفصاح، والكناية دون الإيضاح». ثم وثب وصفق بيديه، فقام جميع من حضر بقيامه ساعة.

١٥ – وكان سبب وفاته أنه سمع هذا البيت:

لا زلـت أنـزل مـن ودادك منـزلاً تتحـــير الألبـــاب دون نزولـــه

فتواجد وهام في الصحراء، فوقع في أجمة قصب قد قطع، وبقيت أصوله مثل السيوف، وكان يمشي عليها ويعبد البيت إلي الغداة، والدم يسيل من رجليه، ثم وقع

(١) نشر المحاسن الغالية لليافعي ج٢ ص٢٠٤ بهامش جامع كرامات الأولياء للنبهاني ط دار صادر بيروت، أيضًا الرسالة القشيرية ج٢ ص٦٥٩.
(٢) نشر المحاسن الغالية لليافعي ص٢٠٤.

مثل السكران، فورمت قدماه ومات»[١].

وذكر الهجويري وقائع عديدة في وجد المتصوفة وتواجدهم، وقوة سلطانه وهيجانه وغليانه، فقال: «ويقول واحد من كبار المشايخ: سمعت مع درويش في بغداد صوت مغن كان يغني.

(شعر عربي)

منسي أن تكون حقًا تكن أحسن المنـي   وإلا فقـد عـشنا بهـا زمنًـا رغـدا

فصرخ ذلك الدرويش وفارق الدنيا.

ومثل هذا، يقول أبو علي الروذباري رضي الله عنه: رأيت درويشًا كان قد شغل بغناء مغن، فأصغيت أنا أيضًا لأري ما يقول، فكان ذلك المغني يقول بصوت حزين:

«أمد كفي بالخضوع إلي الذي جاد بالصنيع».

فصرخ الدرويش ووقع، فلما اقتربت منه وجدته ميتًا.

ويقول قائل كنت أسير مع إبراهيم الخواص رحمه الله في طريق، فظهر طرب في قلبي، فغنيت هذا الشعر:

(شعر عربي)

صـح عنـد النـاس إني عاشـق   غـير أن لم يعلمـوا عـشقي لمـن

لـيس في الإنـسان شيء حـسن   إلا وأحـسن منـه صـوت حـسن

فقال لي: أعد هذا الشعر، فأعدته، فضرب الأرض عدة ضربات من الوجد، فلما نظرت كانت أقدامه تغوص في الحجر كما لو كانت تغوص في شمع، ثم وقع مغشيا عليه.

فلما أفاق قال لي: كنت في روضة الجنة وأنت لم تر.

ومن هذا الجنس حكايات أكثر من أن يحتملها هذا الكتاب.

وقد رأيت معاينة درويشًا كان يسير في جبال أذربيجان؛ ويقول هذه الأبيات

(١) طبقات الأولياء لابن الملقن ص٦٨، ٦٩، أيضًا الكواكب الدرية ج١ ص٩٦، أيضًا إحياء ج٢ ص٢٦٦.

متعجلاً:

(شعر عربي)

والله مـا طلعـت شـمس ولا غربـت إلا وأنـت منـي قلبـي ووسـواسي
ولا تنفـست محزونـا ولا فرحـا إلا وذكـرك مقـرون بأنفـاس
ولا جلـست إلي قـوم أحـدثهم إلا وأنـت حـديثي بـين جـلاسي
ولا هممـت بـشرب المـال مـن عطـش إلا رأيـت خيـالا منـك في الكـاس

وتغير من السماع وأسند ظهره إلي حجر وأسلم الروح»(١).

وقد ذكر الطوسي أيضًا فيه بعض وقائع، فيقول:

«إن سهل بن عبد الله كان يقول عليه الوجد حتي يبقي خمسة وعشرين يومًا أو أربعة وعشرين يومًا يأكل فيه طعامًا، وكان يعرق عند البرد الشديد وعليه قميص واحد، وكانوا إذا سألوه عن شيء من العلم يقول: لا تسألوني فإنكم لا تنتفعون في هذا الوقت بكلامي»(٢).

كما نقلوا عن السري السقطي أنه ذكر يومًا عنده المواجيد الحادة في الأذكار القوية وما جانس هذا مما يقوي علي العبد، فقال سري رحمه الله: وقد سألته فيه فقال:

نعم يضرب وجهه بالسيف وهو لا يحبسه(٣).

وعلي ذلك قالوا عن الوجد عند السماع حكاية عن رويم أنه قال في جواب سائل سأله عن وجد المشائخ عند السماع، فقال:

«مثل قطيع الغنم إذا وقع في وسطه الذئاب»(٤).

وذكر بعض كيفيات الوجد والتواجد السهروردي في عوارفه، فقال:

«وحكي بعض المشايخ قال: رأينا جماعة ممن يمشي علي الماء والهواء يسمعون

---

(١) كشف المحجوب للهجويري ص٦٥٨، ٦٥٩.

(٢) كتاب اللمع للطوسي ص٣٨١.

(٣) أيضًا.

(٤) الرسالة القشيرية ج٢ ص ٦٥٤، كتاب اللمع للطوسي ص٣٦١.

السماع ويجدون به ويتولهون عنده. وقال بعضهم: كنّا علي الساحل فسمع بعض إخواننا فجعل يتقلب علي الماء يمر ويجيء، حتي رجع إلي مكانه. ونقل أن بعض الصوفية ظهر منه وجد عند السماع فأخذ شمعة فجعلها في عينه، قال الناقل: قربت من عينه، أنظر، فرأيت نارًا أو نورًا يخرج من عينه يردّ نار الشمعة وحكي عن بعضهم أنه كان إذا وجد عند السماع ارتفع من الأرض في الهواء أذرعًا يمر ويجيء فيه»[1].

وذكر مثل هذه الشعبذات اليافعي أيضًا حيث يقول:

«ومن حكايات أرباب الأحوال في السماع وأصحاب المواجيد فيه (ما حكي) عن بعضهم أنه سمع علي ساحل البحر فجعل يتقلب علي الماء ويمر ويجيء حتي رجع إلي مكانه (وحكي) عن بعضهم أنه كان إذا وجد عند السماع ارتفع من الأرض في الهواء أذرعًا ويجيء فيه (قلت): ومثل هذا رويناه عن الشيخ الكبير العارف بالله تعالي الشهير أبي عبد الله القرشي رضي الله تعالي عنه (قلت): وقد تقدمت حكاية عن بعض المشايخ أنه قطعت رجله حال السماع من أجل أكلة فيها ولم يشعر ومن المشهور (ما حكي) عن بعضهم إنه كان مقعدا وكان إذا ظهر به السماع يقوم (وحكي) عن بعضهم أنه كان يتقلب علي النار عند السماع ولا يحس بها (قلت): وقد دخل كثير منهم في النار في حال السماع وقد تقدم في الفصل الثالث أن امتحن بعض الملوك بعض المشايخ بذلك بعد ما أمر بإيقاد نار عظيمة فأمر الشيخ أصحابها السماع فلما عمل فيهم الوجود دخل بهم فيها ثم اختطف إبنًا للملك ودار به فيها ثم غابا ففزع الملك علي ولده فزعًا شديدًا ثم ظهرا وإذا في إحدي يدي ابن الملك تفاحة وفي الأخري رمانة فقال أبوه: أين كنت قال: كنت في بستان فأخذت منه هاتين الحبتين فأحضر الملك كأسًا مملوء سما تقتل القطرة منه في الحال وقال للشيخ اشربه إن كنت صادقًا، وكان مذهبكم حقًا فشربه الشيخ في حال السماع فتمزقت ثيابه، فألقي عليه ثياب أخري، فتمزقت أيضًا، ثم أخري كذلك مرارًا ثم ثبتت عليه الثياب بعد ذلك صحيحة ولم يسمه سوء»[2].

(١) عوارف المعارف للسهروردي ص ١٨٤.

(٢) نشر المحاسن الغالية لعبد الله بن أسعد اليافعي ج ٢ ص٢٠٢، ٢٠٣ بهامش جامع كرامات الأولياء.

وأما النهباني فيكتب:

«كان عبد الله بن محمد المعروف بالعفيف من كبار الصالحين أهل الكرامات والأحوال، وكان إذا حضر السماع يأخذه وجد غالب وجد حتي أنه ألقي نفسه مرة من سطح عال عند غلبة الوجد عليه ولم يضره شيء.

ومنها أنه أخرج مرة عين بعض القوال في حال غلبة الوجد عليه، ثم ردها بعد أن سالت علي خدّه فرجعت كأن لم يكن بها شيء»[١].

هذا وقد كذبوا علي رسول الله صلى الله عليه وسلم إثباتًا للوجد فقالوا:

عن أنس كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نزل عليه جبريل فقال: يا رسول الله، فقراء أمتك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، وهو نصف يوم، ففرح، فقال:

أفيكم من ينشدنا؟

فقال بدري: نعم يا رسول الله، فقال:

هات، فأنشد البدري يقول:

قد لسعت حبّ الهوي كبدي   فلا طبيب لها ولا راق

إلا الحبيب الذي قد شغفت به   فعنده رقيتي وترياقي

فتواجد عليه السلام، وتواجد أصحابه معه، حتي سقط رداؤه عن منكبه، فلما فرغوا أوي كل أحد مكانه فقال معاوية: ما أحسن لعبكم يا رسول الله؟ (عياذًا بالله).

فقال: مه مه يا معاوية ليس بكريم من لم يهتزّ عند ذكر الحبيب، ثم اقتسم رداءه من حضرهم بأربعمائة قطعة»[٢].

---

(١) جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج٢ ص ١١٩.

(٢) الفتوحات الإلهية لابن عجيبة ص ١٨٥، أيضًا عوارف المعارف للسهرودي ص ٢٠٤، ٢٠٥، ولكن السهروردي قال بعد ذكر هذه الرواية: «وقد تكلم في صحته أصحاب الحديث، وما وجدنا شيئًا نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاكل وجد أهل الزمان وسماعهم واجتماعهم إلا هذا، وما أحسنه من حجة للصوفية وأهل الزمان في سماعهم وتمزيقهم الخرق وقسمتها إن لو صح والله أعلم.

ويخالج سري أنه غير صحيح ولم أجد فيه ذوق اجتماع النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه وما كانوا يعتمدون علي=

والغزالي كذلك استدل على السماع والوجد من رؤيا ممشاد الدينوري أنه قال:

«رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت: يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئًا؟ فقال: ما أنكر منه شيئًا ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقرآن ويختمون بعده بالقرآن. وحكي عن طاهر بن بلال الهمداني الوراق - وكان من أهل العلم - أنه قال: كنت معتكفًا في جامع جدّة في البحر فرأيت يومًا طائفة يقولون الشعر؟ قال: فرأيت النبي تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية وإلى جنبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وإذا أبو بكر يقول شيئًا من القول والنبي يستمع إليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك، فقلت في نفسي: ما أن ينبغي لي أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله يستمع وأبو بكر يقول؟ فالتفت إلى رسول الله وقال: هذا حق بحق - أو قال حق من حق - أنا أشك فيه» [(١)].

ويقولون: إن هذه الأبيات الغزلية والأشعار العشقية أكثر تأثيرًا ووقعًا في النفوس، وإثارة للوجد والتواجد من القرآن الكريم كما ذكروا عن يوسف بن الحسين الرازي الذي قال فيه الأصبهاني: «المتخلّي من رؤية الناس، المتحلي بالإخلاص خيفة رب الناس، تارك للتزين والتصنع، مفارق للتلوّن والتمتع، أبو يعقوب يوسف بن الحسين الرازي.

وكان وحيدًا فريدًا، وعلى المتنطعين شديدًا. صحب ذا النون المصري وأبا تراب النخشبي، وأبا سعيد الخراز»[(٢)].

يذكرون عنه نقلاً عن أبي الحسين الدراج أنه قال:

«قصدت زيادة يوسف بن الحسين الرازي، من بغداد. دخلت الري سألت الناس عن منزله، فكل من أسأله عنه يقول: «أيش تعمل بذلك الزنديق؟!»، فضيقوا صدري،

= ما بُلغنا في هذا الحديث، ويأبى القلب قبوله» (عوارف المعارف ص٢٠٥) فهو كما قال: لأن الحديث موضوع باطل لا أصل له إطلاقًا باتفاق أهل العلم كما ذكر السيوطي أيضًا (انظر هامش الفتوحات الإلهية لابن عجيبة ص٥٨١).

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ص ٢٤٧.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج ١٠ ص ٢٣٨، ٢٣٩.

حتي عزمت علي الانصراف. فبتُّ تلك الليلة في مسجد، ثم قلت في نفسي: جئت هذا البلد، فلا أقل من زيارته!. فلم أزل أسأل عنه، حتي دفعت إلي مسجد، فوجدته جالسًا في المحراب، وبين يديه، مصحف يقرأ فيه، إذا هو شيخ بهي، حسن الوجه واللحية. فدنوت منه، وسلمت عليه، فرد عليّ السلام، وقال: من أين أنت؟ قلت: من بغداد، قال: لأي شيء جئت؟ قلت: زائرًا لك! قال: أرأيت لو أن إنسانًا – في بعض البلدان التي جزت قال لك: أقم عندي، وسأشتري لك دارًا وجارية! أكان ذلك يمنعك من زيارتي! قلت: يا سيدي!، ما امتحنني الله بشيء، من ذلك! ولو كان، فلا أدري كيف كنت أكون، فقال: أتحسن تقول شيئًا؟، قلت: نعم! وأنشدت:

رأيتــك تبنــي دائبًــا في قطيعتــي ... ولـو كنـت ذا رحـم لهـدمت مـا تبنـي
كـأني بكـم، والليـثُ أفـضل قـولكم ... ألا ليتــا كنــا إذ اللَّيــثُ لا تغنــي

فأطبق المصحف، «ولم يزل يبكي، حتي بل لحيته وثوبه، ورحمته من كثرة بكائه. ثم التفت إلي، وقال: يا بني أتلوم أهل الري علي قولهم: يوسف بن الحسين الزنديق، وهو ذا من وقت صلاة الصبح أتلو القرآن، لم تقطر من عيني قطرة، وقد قامت علي القيامة بهذا البيت»(١).

ومثل هذه الحكاية روي ابن الجوزي في كتابه نقلاً عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال:

«أخرجت إلي مرو في حياة الأستاذ أبي سهل الصعلوكي وكان له قبل خروجي أيام الجمع بالغدوات مجلس درس القرآن والختمات، فوجدته عند خروجي قد رفع ذلك المجلس وعقد لابن الفرغاني في ذلك الوقت مجلس القوال يعني المغني، فتداخلني من ذلك شيء فكنت أقول:

قد استبدل مجلس الختمات بمجلس القوال، فقال لي يومًا: أي شيء تقول الناس؟

---

(١) طبقات الأولياء لابن الملقن ص ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، أيضًا حلية الأولياء ج١٠ ص٢٤٠، أيضًا اللمع للطوسي ص ٣٦٤، أيضًا إحياء علوم الدين للغزالي ج٢ ص ٢٧٥، ٢٧٦، أيضًا الأنوار القدسية للشعراني ج٢ ص ١٨٤، أيضًا الطبقات الكبري له أيضًا ج١ ص٨٩، ٩٠.

فقلت: يقولون: رفع مجلس القرآن ووضع مجلس القوال، فقال: من قال لأستاذه: لِمَ؟ لا يفلح؟(١).

وبذلك صرح القوم أن «السماع أدعي للوجد من التلاوة، وأظهر تأثيرًا، والحجة علي ذلك أن جلال القرآن لا تحتمله القوة البشرية المحدثة، ولا تحمله صفاتها المخلوقة، ولو كشف للقلوب ذرة من معناه لدهشت وتصدعت وتحيرت، والألحان مناسبة للطباع بنسبة الحظوظ، وإذا علقت الألحان بالشعر كانت خفيفة علي الطباع، لمشاكلة المخلوق بالمخلوق، ما دامت البشرية باقية» (٢).

ويصرح الصفوري:

«فإن قيل: يتواجد المتواجد عند سماع الشعر دون سماع القرآن حتي انفتح لبعض المتفقهة باب الإنكار بهذا؟

فالجواب: أن القرآن كلام ثقيل لا يليق مع وجوده إلا السكون والانصات، ولأنه يتكرر في الأسماع، ولأن الشعر كلام البشر فبينهما مناسبة، وأما كلام الله تعالي فلا مناسبة بينه وبين البشر»(٣).

وقال الكمشخانوي:

«سئل إبراهيم الخواص: ما بال الإنسان يتحرك عند سماع الألحان ولا يجد ذلك عند سماع القرآن؟

فقال: لأن سماع القرآن صدقة لا يمكن أحدًا أن يتحرك فيه لشدة غلبته عليه، وسماع الألحان ترويح فيتحرك فيه»(٤).

وقد صرح الغزالي ذلك بكل وضوح وجلاء، وبكل جرأة وبسالة بقوله:

«فإن كان سماع القرآن مفيدًا للوجد فما بالهم يجتمعون علي سماع الغناء من القوالين

---

(١) انظر تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٢٤٠ ط دار القلم بيروت.

(٢) روضة التعريف للسان الدين بن الخطيب ص ٢٧١ ، ٢٧٢ ط دار الفكر العربي.

(٣) نزهة المجالس ومنتخب النفائس لعبد الرحمن الصفوري ج١ ص ٦١ ط مطبعة منير بغداد.

(٤) جامع الأصول في الأولياء للكمشخانوي ص ٢٤٥.

دون القارئين؟ فكان ينبغي أن يكون اجتماعهم وتواجدهم في حلق القراء لا حلق المغنين؟ وكان ينبغي أن يطلب عند كل اجتماع في كل دعوة قاريء لا قوال؟ فإن كلام الله تعالي أفضل من الغناء لا محالة، فاعلم أن الغناء أشد تهييجًا للوجد من القرآن من سبعة أوجه:

الوجه الأول: أن جميع آيات القرآن لا تناسب حال المستمع ولا تصلح لفهمه وتنزيله علي ما هو ملابس له...

الوجه الثاني: إن القرآن محفوظ للأكثرين ومتكرر علي الأسماع والقلوب، وكلما سمع أولاً عظم أثره في القلوب، وفي الكرة الثانية يضعف أثره، وفي الثالثة يكاد يسقط أثره.

الوجه الثالث: أن لوزن الكلام بذوق الشعر تأثيرًا في النفس فليس الصوت الموزون الطيب كالصوت الطيب الذي ليس بموزون، وإنما يوجد الوزن في الشعر دون الآيات...

الوجه الرابع: أن الشعر الموزون يختلف تأثيره في النفس بالألحان التي تسمي الطرق والأستانات، وإنما اختلاف تلك الطرق بمد المقصور وقصر الممدود والوقف في أثناء الكلمات والقطع والوصل في بعضها. وهذا التصرف جائز في الشعر ولا يجوز في القرآن إلا التلاوة كما أنزل، ومد الوقف والوصل والقطع به علي خلاف ما تقتضيه التلاوة حرام أو مكروه، وإذا رتل القرآن كما أنزل سقط عنه الأثر الذي سببه وزن الألحان وهو سبب مستقل بالتأثير وإن لم يكن مفهومًا، كما في الأوتار والمزمار والشاهين وسائر الأصوات التي تفهم.

الوجه الخامس: أن الألحان الموزونة تعضد وتؤكد بإيقاعات وأصوات أخر موزونة خارج الحلق كالضرب بالقضيب والدف وغيره، لأن الوجد الضعيف لا يستثار إلا بسبب قوي، وإنما يقوي بمجموع هذه الأسباب، ولكل واحد منها حظ في التأثير...

الوجه السادس: أن المغني قد يغني ببيت لا يوافق حال السامع فيكرهه وينهاه عنه ويستدعي غيره فليس كل موافقًا لكل حال - والقرآن ليس كذلك - .

وههنا وجه سابع ذكره أبو نصر السراج الطوسي في الاعتذار عن ذلك - وسنذكر

ذلك عن الطوسي نفسه أيضًا - أن القرآن كلام الله وكلامه صفته، وهو حق لا يطيقه البشر إذا بدا، لأنه غير مخلوق لا تطيقه الصفات المخلوقة ولو كشف للقول ذرة من معناه وهيبته لتصدعت ودهشت وتحيرت...

نفس الرواية التي حكيناها من قبل عن يوسف الرازي، ثم قال:

فإذن القلوب وإن كانت محترقة في حب الله تعالي فإن البيت الغريب يهيج منها ما لا تهيج تلاوة القرآن»(١).

وأما ما قاله السراج فهو: «إن القرآن كلام الله وكلامه صفته لا تطيقه البشرية... والنغمات الطيبة موافقة للطبائع، ونسبته نسبة الحظوظ، لا نسبة الحقوق، والقرآن كلام الله، ونسبته نسبة الحقوق، لا نسبة الحظوظ، وهذه الأبيات والقصائد أيضًا نسبتها نسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق، وهذا السماع وإن كان أهله متفاوتين في درجاتهم وتخصيصهم فإن موافقة للطبع، وحظًا للنفس، وتنعمًا للروح، لتشاكله بتلك اللطيفة التي جُعلت في الأصوات الحسنة، والنغمات الطيبة وكذلك الأشعار فيها معان دقيقة، ورقة وفصاحة ولطافة وإشارات، فإذا عُلقت هذه الأصوات والنغمات علي هذه القصائد والأبيات يشاكل بعضها بعضًا بموافقتها ومجانستها، ويكون أقرب إلي الحظوظ، وأخف محملاً علي السرائر والقلوب، وأقل خطرًا لتشاكل المخلوق بالمخلوق.

فمن اختار استماع القصائد علي استماع القرآن اختار لحُرمة القرآن، وتعظيم ما فيه من الخطر: لأنه حقٌ، والنفوس تحسن عندها، وتموت عن حركاتها، وتغني عن حظوظها وتنعمها إذا أشرقت عيبها أنوار الحقوق بتشعشعها وأبدت بها عن معانيها، فقالوا: ما دامت البشرية باقية ونحن بصفاتنا وحظوظنا وأرواحنا متنعمة بالنغمات الشجية والأصوات الطيبة فانبساطنا بمشاهدة بقاء هذه الحظوظ إلي القصائد أولي من انبساطنا بذلك إلي كلام الله عز وجل الذي هو صفته وكلامه الذي منه بدا وإليه

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ج٢ ص ٢٧٣ إلي ٢٧٦ ملخصًا بألفاظه.

يعود»[١].

والبدعة تفضي إلي بدعة، بل إلي بدع ومستحدثات، وليس لها نهاية، كما أن السيئة تفضي وتؤدي إلي سيئة وسيئات أخري.

فمن ثمار الوجد ولاحقه: الرقص، فيقول السهروردي:

«ربما صار الرقص عبادة بحسن النية إذا نوي به استجمام النفس»[٢].

ويقول عماد الدين الأموي:

«لا بأس بالرقص في السماع إذا لم يكن فيه تكسّر»[٣].

ويكتب الفيتوري:

«يجوز الرقص في السماع إذا كان من تواجد وحالة»[٤].

ويصرح ابن عجيبة الحسني:

«الأصل في الرقص هو الإباحة... وقد صح القيام والرقص في مجالس الذكر والسماع عن جماعة من أكابر الأئمة.

وقد تواتر النقل عن الصوفية قديمًا وحديثًا، شرقًا وغربًا أنهم كانوا يجتمعون لذكر الله ويقولون ويرقصون، ولم يبلغنا عن أحد من العلماء المعتبرين أنه أنكر عليهم.

وقد رأيت بفاس بزاوية الصقليين جماعة يذكون ويرقصون من صلاة العصر يوم الجمعة إلي المغرب، مع توفر العلماء، فلم ينكر أحد عليهم»[٥].

وقد أحلّ الرقص أبو حامد الغزالي أيضًا في إحيائه[٦].

وأما أبو الحسن الخرقاني فيعرّف ويمدح الرقص بقوله:

«الرقص هو مشاهدة ما تحت الثري بوقوع القدم علي الأرض، ومشاهدة العرش

---

(١) كتاب اللمع للطوسي ص ٣٥٦، ٣٥٧.

(٢) عوارف المعارف للسهروردي ص ١٨٠.

(٣) حياة القلوب لعماد الدين الأموي ص ١٧٩ بهامش قوت القلوب.

(٤) الوصية الكبري للفيتوري ص١٩.

(٥) الفتوحات الإلهية لابن عجيبة الحسني ص ١٩٢، ١٩٣.

(٦) انظر إحياء علوم الدين للغزالي ج٢ ص٢٧٨.

بتحريك الأيدي في الهواء»[١].

وأخيرًا ننقل ما قاله ابن عجيبة ردًا علي الذين يعترضون علي السماع والرقص، فيقول:

اعلم أن اعتراض أهل الظاهرة علي الصوفية لا ينقطع أبدًا، هذه سنة ماضية، وخصوصًا في السماع والرقص، وهم معذورون لأنهم لا يشاهدون إلا ذواتًا ترقص وتشطح، ولا يدرون ما في باطنها من المواجيد والأفراح، فيحملون ذلك علي خفة العقل والطيش، فيقعون فيهم إلا من عصمه الله بالتسليم ولذلك كان التصديق بطريقة القوم ولاية، والاعتراض جناية... وقد رأيت للطرطوشي اعتراضًا كبيرًا علي الصوفية في الرقص حتي قال فيه: إنه ضلالة وجهالة، وذلك لما قلناه، قال تعالي: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ﴾.

وكان الشيخ ابن عباد رضي الله عنه يقول:

لا تجعلوا لأهل الظاهر حجة علي أهل الباطن، أي: لأنهم لم يدركوا ما أدركه أهل الباطن، فلا تقوم الحجة عليهم بمجرد سوء الظن، ولله درّ أبي مدين حيث يقول:

إذا لم تذق ما ذاقت الناس في الهوي ... فللّه يا خالي الحشا لا تعنفنا

اهتزت الأرواح شوقًا إلي اللّقا ... نعم،ترقص الأشباح يا جاهل المعني[٢]

وأما حكاياتهم في الرقص فيذكر نجم الدين الكبري عن بعض المتصوفين أنهم كانوا يومًا في سماع لبعض الإخوان وقد طاب لهم الوقت وقاموا للرقص»[٣].

وذكر النفزي الرندي عن بعضهم أنه قال:

«كنت مسافرًا إلي مكة، فبينما أنا أمشي إذا رأيت شيخًا بيده مصحف وهو ينظر فيه ويرقص، فتقدمت إليه فقلت: يا شيخ، ما هذا الرقص؟.

---

(١) المنتخب من كتاب نور العلوم من كلام الشيخ أبو الحسن الخرقاني (بالفارسية) للأستاذ مجتبي مينوي ص ١١٢ ط بخانه طهوري إيران.

(٢) الفتوحات الإلهية ص ٢٠١.

(٣) فوائح الجمال وفوائح الجلال لنجم الدين الكبري المتوفي ٦١٨هـ ص٤٥.

قال: دعني عنك، قلت في نفسي: عبد من أنا، وكلام من أتلو، وبيت من أنا قاصد، فاستفزّني الوجد فرقصت[(١)].

ونقل الجعلي الفضلي عن سليمان العوضي أن أصحابه كانوا يقرشون الجمر والواحد يملأ عمامته حجرًا وبعضها علي رأسه ويرقص[(٢)].

ويضيف بعض الصوفية إلي الرقص في السماع تمزيق الثياب وخرقها أيضًا كما ينقل الوزير ليسان الدين بن الخطيب عن بعض الشيوخ:

«مرّ علي خانقاه بالمشرق، فخرج إليه فقراء استدعوه إلي شيخها، فوجد جمعًا. فقال الشيخ: يا مغربي، حسن الظن بسمتك. وحكمناك في هذه الأحدوثة التي اجتمع لها الفقراء. وهي: أن هذا الفقير رقص وغلبه الوجد، وخطر له تمزيق ثيابه، فعدل عن جديد قريب علي ظاهره، إلي خلق كان باشر جسده فمزقه، فطالبه لمكان هذه البقية، قال: فقلت: يا مولانا. هذا الفقير لما طلب قلبه ولم يجده ليمزقه مزق أقرب الأشياء إليه وأشبهها به في الأخلاق والرقة، وفي مثل ذلك يقول الشاعر:

يفلُّ غـدًا جـيش النـوي عـسكر اللقـا ... فرأيــك في ســمح الــدموع موفقًــا
وخد جـري عـن كـون جـسمي سـالمًا ... وذرعــي، ومــن حقــيهما أن يــشقق
يدي لم تطـق تمزيـق جـسمي لـضعفها ... ولم يــك قلبـــي حـــاضرًا فيمزقـــا

فصاح الشيخ، وعاد الوجد، وقاموا إلي رقصهم[(٣)].

وحكي الشعراني عن أبي حفص الحداد النيسابوري أنه قيل له:

«إن فلانًا من أصحابك يدور حول السماع فإذا سمع بكي وصاح ومزّق ثيابه **فقال: أيش يعمل الغريق؟**

يتعلّق بكل شيء يظن فيه نجاته[(٤)].

---

(١) غيث المواهب العلية للنفزي الرندي ج٢ ص٢٢١.
(٢) كتاب الطبقات للجعلي الفضلي ص ٩٤ ط المكتبة الثقافية بيروت.
(٣) روضة التعريف للوزير لسان الدين بن الخطيب ص ٣٧١، ٣٧٢.
(٤) طبقات الشعراني ج١ ص٨١.

وذكر الشعراني أيضًا جمعًا من الصوفية مزّقوا ثيابهم وخرجوا عرايا إلي الصحراء، فينقل عن الجيلي أنه رفع له شخص ادعي أنه يري الله عز وجل بعيني رأسه، فقال: أحق ما يقولون عنك؟

فقال: نعم، فانتهره ونهاه عن هذا القول وأخذ عليه أن لا يعود إليه، فقيل للشيخ: أمحق هذا أم مبطل؟

فقال: هذا محق ملبس عليه، وذلك شهد ببصيرته نور الجمال ثم خرق من بصيرته إلي بصره لمعة فرأي بصره ببصيرته، وبصيرته يتصل شعاها بنور شهوده فظن أن بصره رأي ما شهده ببصيرته، وإنما رأي بصره ببصيرته فقط وهو لا يدري.

وكان جمع من المشايخ وأكابر العلماء حاضرين هذه الوقعة فأطربهم سماع هذا الكلام ودهشوا من حسن إفصاحه عن حال الرجل، ومزّق جماعة ثيابهم وخرجوا عرايا إلي الصحراء[١].

وعلي ذلك كتب الهجويري:

«اعلم أن تخريق الثياب بين هذه الطائفة أمر معتاد، وقد فعلوا هذا في المجامع الكبري التي كان المشايخ الكبار رضي الله عنهم حاضرين فيها»[٢].

وقد أباح الغزالي أيضًا تمزيق الثياب وتقطيعها حيث يقول:

«فإن قلت: فما تقول في تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ من السماع فإنهم يمزقونها قطعًا صغارًا ويفرقونها علي القوم ويسمونها الخرقة؟ فاعلم أن ذلك مباح»[٣].

وأخيرًا ننقل ما قاله الإمام ابن الجوزي في بيان الخرقة الصوفية فيقول:

«فإذا اشتد طربهم رموا ثيابهم علي المغني فمنهم من يرمي بها صحاحًا ومنهم من يخرقها ثم يرمي بها وقد احتج لهم بعض الجهال فقال: هؤلاء في غيبة فلا يلامون فإن

(١) طبقات الشعراني ج١ ص ١٢٦، ١٢٧.
(٢) كشف المحجوب للهجويري ص ٦٦٥.
(٣) إحياء علوم الدين للغزالي ج٢ ص ٢٧٩.

موسي عليه السلام لما غلب عليه الغم بعبادة قومه العجل رمي الألواح فكسرها ولم يدر ما صنع: والجواب أن نقول من يصحح عن موسي بأنه رماها رمي كاسر والذي ذكر في القرآن ألقاها فحسب فمن أين لنا أنها تكسرت، ثم لو قيل: تكسرت فمن أين لنا أنه قصد كسرها ثم لو صححنا ذلك عنه قلنا: كان في غيبة حتي لو كان بين يديه حينئذٍ بحر من نار لخاضه ومن يصحح لهؤلاء غيبتهم وهم يعرفون المغني من غيره ويحذرون من بئر إن كانت عندهم. ثم كيف يقاس أحوال الأنبياء علي أحوال هؤلاء السفهاء ولقد رأيت شابًا من الصوفية يمشي في الأسواق ويصيح والغلمان يمشون خلفه وهو يبربر ويخرج إلي الجمعة فيصيح صيحات وهو يصلي الجمعة فسئلت عن صلاته، فقلت: إن كان وقت صياحه غائبًا فقد بطل وضوءه وإن كان حاضرًا فهو متصنع وكان هذا الرجل جلدًا لا يعمل شيئًا. بل يدار له بزنبيل في كل يوم فيجمع له ما يأكل هو وأصحابه فهذه حالة المتأكلين لا المتوكلين. ثم لو قدرنا أن القوم يصيحون عن غيبة فإن تعرضهم لما يغطي علي العقول من سماع ما يطرب منهي عنه كالتعرض لكل ما غالبه الأذي وقد سئل ابن عقيل عن تواجدهم وتخريق ثيابهم فقال خطأ وحرام وقد نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إضاعة المال وعن شق الجيوب فقال له قائل، فإنهم لا يعقلون ما يفعلون. قال: إن حضروا هذه الأمكنة مع علمهم أن الطرب يغلب عليهم فيزيل عقولهم أثموا بما يدخل عليهم من التخريق وغيره مما يفسد ولا يسقط عنهم خطاب الشرع لأنهم مخاطبون قبل الحضور بتجنب هذه المواضع التي تفضي إلي ذلك كما هم منهيون عن شرب المساكر فإذا سكروا وجري منهم إفساد الأموال لم يسقط الخطاب لسكرهم كذلك هذا الطرب الذي يسميه أهل التصوف وجدًا إن صدقوا فيه فسكر طبع وإن كذبوا فتبيد ومع الصحو فلا سلامة فيه مع الحالين وتجنب مواضع الريب واجب. واحتج لهم ابن ظاهر في تخريقهم الثياب بحديث عائشة رضي الله عنها قالت: نصبت حجلة لي فيها رقم فمدها النبي صلى الله عليه وسلم فشقها.

فانظر إلي فقه هذا الرجل المسكين كيف يقيس حال من يمزق ثيابه فيفسدها وقد نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إضاعة المال علي مد ستر ليحط فانشق لا عن

قصد، أو كان عن قصد لأجل الصور التي كانت فيه: وهذا من الشديد في حق الشارع عن المنهيات كما أمر بكسر الدنان في الخمور فإن ادعي مخرق ثيابه أنه غائب قلنا الشيطان غيبك لأنك لو كنت مع الحق لحفظك فإن الحق لا يفسد»[١].

وليس تمزيق الثياب فقط، بل القرآن الكريم أيضًا – وعياذًا بالله – كما نقل الجعلي الفضلي عن الصوفي السوداني مكي الدقلاشي «كان وليًّا من أولياء الله تعالي وسافر إلي بلده وسلك الناس الطريق وأرشدهم، وظهرت علي يديه الكرامات وخوارق العادات، جاء لزيارة شيخه فلم يجد المركب فمشي هو وجيرانه علي الماء حتي خرجوا إلي الشاطيء الشرقي أبي حراز وظلم جيرانه رجل اسمه أزرق من جماعة شيخ أليس أدلي سنار ودخل في مسجد الملك قائمة عليه الحالة فمزّق مصحفًا وجده في طاقة فدخل الخطيب والقاضي علي الملك فسألهما عن ذلك، فقالا له: رجل مجذوب، وحين سأله الملك عن ذلك قال شعرًا:

أما من يوم قمت سموني الهائم ... مأذونًا لي أب جنا قائم
يا كاشر جيب الصلطية ... نطعن بها أهل الجبرية

وأومأ إلي الملك بإصبعه فزاغ، فقال لأصحابه: إن كان ما زغت فإن إصبعه يقدّ رأسي، قال الناس: هذا مكي الدقلاشي ظلمه زول لشيخ أليس، فأرسل الملك لشيخ أليس بردّ مظلمته وأهداه[٢].

فهذه هي بدعات المتصوفة الشنيعة، ومحدثاتهم القبيحة التي لزمتهم، وبها عرفوا وميزوا عن الآخرين، ولبئسما ميزوا وخصوا بها، وامتازوا عن المؤمنين الذين ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾[٣].

﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ﴾[٤].

---

(١) انظر تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٢٥٢، ٢٥٣ ط دار القلم بيروت.
(٢) كتاب الطبقات للجعلي الفضلي ص ١٥٧.
(٣) سورة الأنفال الآية ٢.
(٤) سورة مريم الآية ٥٨.

و﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾(١).

والذين ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾(٢).

وعلي هذا السماع كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتمعون، ولا علي ذلك كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«فأما السماع الذي شرعه الله تعالي لعباده، وكان سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم يجتمعون عليه لصلاح قلوبهم وزكاة نفوسهم فهو سماع آيات الله، وهو سماع النبيين والمؤمنين وأهل العلم وأهل المعرفة... وعلي هذا السماع كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتمعون، وكانوا إذا اجتمعوا أمروا واحدًا منهم أن يقرأ والباقون يستمعون، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسي:

يا أبا موسي: ذكرنا ربنا، فيقرأ وهم يستمعون، وهذا هو السماع الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يشهده مع أصحابه، ويستدعيه منهم، كما في الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**اقرأ علي القرآن**»، قلت: أقرأه عليك وعليك أنزل؟! فقال: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**»، فقرأت عليه سورة النساء حتي وصلت إلي هذه الآية. ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ قال: «**حسبك**»، فنظرت فإذا عيناه تذرفان.

وأما «سماع المكاء والتصدية» وهو التصفيق بالأيدي، والمكاء مثل الصفير ونحوه، فهذا هو سماع المشركين الذي ذكره الله تعالي في قوله: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ فأخبر عن المشركين أنهم كانوا يتخذون التصفيق باليد. والتصويت بالفم قربة ودينًا. ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم - وأصحابه يجتمعون علي مثل هذا السماع، ولا حضروه قط...

(١) سورة الإسراء الآية ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩.

(٢) سورة المائدة الآية ٨٣.

وبالجملة قد عرف بالاضطرار من دين الإسلام: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرع لصالحي أمته وعبادهم وزهادهم أن يجتمعوا علي استماع الأبيات الملحنة، مع ضرب بالكف أو ضرب بالقضيب، أو الدف. كما لم يبح لأحد أن يخرج عن متابعته، واتباع ما جاء به من الكتاب والحكمة، لا في باطن الأمر، ولا في ظاهره، ولا لعامي ولا لخاصي، ولكن رخص النبي صلى الله عليه وسلم في أنواع من اللهو في العرس ونحوه، كما رخص للنساء أن يضربن بالدف في الأعراس، والأفراح. وأما الرجال علي عهده فلم يكن أحد منهم يضرب بدف، ولا يصفق بكف، بل قد ثبت عنه في الصحيح أنه قال: «**التصفيق للنساء والتسبيح للرجال، ولعن المتشبهات من النساء بالرجال، والمتشبهين من الرجال بالنساء**».

ولما كان الغناء والضرب بالدف والكف من عمل النساء، وكان السلف يسمون من يفعل ذلك من الرجال مخنثًا، ويسمون الرجال المغنين مخانيثًا وهذا مشهور في كلامهم...

وتكلم كثير من المتأخرين في السماع: هو هو محظور؟ أو مكروه؟ أو مباح؟ وليس المقصود بذلك مجرد رفع الحرج، بل مقصودهم بذلك أن يتخذ طريقًا إلي الله يجتمع عليه أهل الديانات لصلاح القلوب، والتشويق إلى المحبوب، والتخويف من المرهوب، والتحزين علي فوات المطلوب، فتستنزل به الرحمة وتستجلب به النعمة، وتحرك به مواجيد أهل الإيمان، وتستجلي به مشاهد أهل العرفان، حتي يقول بعضهم: إنه أفضل لبعض الناس أو للخاصة من سماع القرآن من عدة وجوه: حتي يجعلونه قوتًا للقلوب. وغذاءً للأرواح، وحاديًا للنفوس، يحدوها إلي السير إلي الله، ويحثها علي الإقبال عليه.

ولهذا يوجد من اعتاده، واغتذي به لا يحن إلي القرآن ولا يفرح به، ولا يجد في سماع الآيات كما يجد في سماع الأبيات: بل إذا سمعوا القرآن سمعوه، بقلوب لاهية، وألسن لاغية، وإذا سمعوا سماع المكاء والتصدية خشعت الأصوات، وسكنت الحركات، وأصغت القلوب، وتعاطت المشروب»[1].

(١) فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ج١١ ص ٥٩٩ وما بعد.

هذا ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية، وأما الإمام ابن الجوزي فأيضًا قد فصل القول في تحريم الغناء والمنع منه مستدلاً من الكتاب والسنة، وذكر في آخر الكلام قول أبي عبد الله بن بطة العكبري قال:

«سألني سائل استماع الغناء، فنهيته عن ذلك وأعلمته أنه مما أنكرته العلماء واستحسنه السفهاء، وإنما تفعله طائفة سمّوا بالصوفية، وسماهم المحققون الجبرية، أهل همم دنيئة وشرائع بدعية يظهرون الزهد وكل أسبابهم ظلمة، ويدعون الشوق والمحبة بإسقاط الخوف والرجاء، يسمعونه من الأحداث والنساء ويطربون ويصعقون ويتغاشون ويتماوتون، ويزعمون أن ذلك من شدة حبهم لربهم وشوقهم إليه، تعالى الله عما يقوله الجاهلون علوًا كبيرًا»(١).

وقال هو نفسه: «إن الغناء يخرج الإنسان عن الاعتدال ويغير العقل، وبيان هذا أن الإنسان إذا طرب فعل ما يستقبحه في حال صحته من غيره من تحريك رأسه، وتصفيق يديه، ودقّ الأرض برجليه إلى غير ذلك مما يفعله أصحاب العقول السخيفة، والغناء يوجب ذلك بل يقارب فعله فعل الخمر في تغطية العقل، فينبغي أن يقع المنع منه»(٢).

هذا وقد ذمّ الغناء الصوفي المشهور ابن زروق في كتابه «قواعد التصوف» وبين مساويه وجعله موجبًا للزنا(٣).

والسهروردي أيضًا قد أحسن وأجاد في هذا حيث كتب:

«وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كان إبليس أول من ناح وأول من تغني» وروي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنما نهيت عن صوتين فاجرين: صوت عند منعمة، وصوت عند مصيبة. وقد روي عن عثمان رضي الله عنه: أنه قال: ما غنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال:

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٢٢٩.

(٢) أيضًا.

(٣) انظر قواعد التصوف لابن زروق ص ٧٠.

الغناء ينبت النفاق في القلب، وروي أن ابن عمر رضي الله عنه مر علي قوم وهم محرمون وفيهم رجل يتغني فقال: ألا لا سمع الله لكم، ألا لا سمع الله لكم، وروي أن إنسانًا سأل القاسم بن محمد عن الغناء فقال: أنهاك عنه وأكرهه لك، قال أحرام هو؟ قال: أنظر يا ابن أخي إذا ميز الله الحق والباطل في أيهما يجعل الغناء؟ وقال الفضيل بن عياض: الغناء رقية الزنا، وعن الضحاك: الغناء مفسدة للقلب مسخطة الرب، وقال بعضهم: إياكم والغناء فإنه يزيد الشهوة ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل السكر، وهذا الذي ذكره هذا القائل صحيح لأن الطبع الموزون يفيق بالغناء والأوزان، ويستحسن صاحب الطبع عند السماع ما لم يكن يستحسنه من الفرقعة بالأصابع والتصفيق والرقص وتصدر منه أفعال تدل علي سخافة العقل، وروي عن الحسن أنه قال: ليس الدف من سنة المسلمين، والذي نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه سمع الشعر، لا يدل علي إباحة الغناء فإن الشعر كلام منظوم وغيره منثور فحسنه حسن وقبيحه قبيح، وإنما يصير غناء بالألحان وإن أنصف المنصف وتفكر في اجتماع أهل الزمان وقعود المغني بدفه والمشبب استحضروا أقوالاً وقعدوا مجتمعين لاستماعه لا شك بأنه ينكر ذلك من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه؟ ولو كان في ذلك فضيلة تطلب ما أهملوها؟ فمن يشير بأنه فضيلة تطلب ويجتمع بعض المتأخرين ذلك. وكثيرًا ما يغلط الناس في هذا، وكلما احتج عليهم بالسلف الماضين يحتجون بالمتأخرين. وكان السلف أقرب إلي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهديهم أشبه بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكثير من الفقراء يتسمح عند قراء القرآن بأشياء من غير غلبة»[1].

أنشد ابن البنا السرقسطي:

ولـيس يحتـاج إلي السـماع ... إلاّ أخـو الـضعف القـصير البـاع
والزعقـات فيـه والتمزيـق ... ضـعف، وهـز الـرأس والتـصفيق[2]

---

(١) عوارف المعارف للسهروردي ص ١٨٨، ١٨٩ ط دار الكتاب العربي بيروت.

(٢) المباحث الأصلية للسرقسطي ص ١٩٥، ١٩٦ ضمن الفتوحات الإلهية لابن عجيبة الحسني.

وهناك بدع أخري اختص بها المتصوفة أو هم الذي اخترعوها وأحدثوها وأوجدوها وابتدعوها، فمنها أورادهم وأذكارهم التي لم ترد، لا في كتاب ربنا، ولا سنة نبينا صلوات الله وسلامه عليه، وكذلك حلق الذكر وآدابها والشرائط التي اشترطوها، وفضائلها المزيفة ومناقبها المزوّرة.

ومن المعلوم أن أفضل الذكر لا إله إلا الله كما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم[١].

وقال عليه الصلاة والسلام:

«أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبل: لا إلا إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علي كل شيء قدير»[٢].

وهناك أذكار أخري وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرت عنه ورويت في كتب السنة، وتلقتها الأمة، وعلي رأسها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكروا الله بتلك الأذكار المخصوصة في أوقات معلومة عملاً بقول الله عز وجل:

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾[٣].

وقوله تعالي: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾[٤].

وقوله تعالي: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾[٥].

وقوله تعالي: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾[٦].

وقال عليه الصلاة والسلام:

«أنا عند ظن عبدي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن اقترب إلي شبرًا اقتربت منه ذراعًا وإن اقترب إلي

---

(١) رواه.

(٢) رواه مالك في الموطأ.

(٣) سورة الرعد الآية ٢٨.

(٤) سورة البقرة الآية ١٥٢.

(٥) سورة آل عمران الآية ٤١.

(٦) سورة الجمعة الآية ١٠.

ذراعًا اقتربت إليه باعًا، وإن أتاني مشيا أتيته هرولة»[1].

وإن الأذكار والأوراد سبب قربة الله ورضائه، ورضوانه ولا يتقرب الإنسان إلي ربه بمثل ما يتقرب إليه بتلك الطريقة التي سلكها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبالألفاظ والكلمات والصيغ التي تلفظ بها عليه الصلاة والسلام، ولقن بها تلامذته الراشدين ورفاقه المهديين لأن علي تلك الألفاظ والكلمات والصيغ مسحة من مسحات الوحي، ونفحة من نفحات الرب لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينطق إلا بما يوحي إليه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝﴾[2].

فلا تكون الكلمات أرضي لله وأحب إليه من تلك الكلمات التي اختارها هو سبحانه وتعالي لإلقائها إلي نبيه وصفيه ليدعو بها، ويتقرب إليه، ويبتغي مرضاته، فعلي ذلك لم يقبل توبة آدم إلا بتلك الكلمات التي ألقاها إليه هو نفسه جل جلاله وعمّ نواله كما ذكر في محكم كتابه:

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[3].

وأما كلمات الآخرين وكلامهم فمن يدري أنها تصل إلي جنابه وتجد القبول عنده أم لا. وفي استعمالها وصياغتها نوع من الازدراء والاستهجان والاستسخار بتلك الكلمات التي دعا بها نبي الرب ربه أو ذكره بها، حيث ظنّ المخترع والمبتدع بأن أذكاره وأوراده التي ركبها من عند نفسه هي أحسن وأجمل وألطف وأسرع وصولاً إلى الله من تلك الكلمات الربانية التي أوحي بها إلي صفيه ونجيه أتقي الناس وأخشاهم لله وأعلمهم به وما يرضيه، وأفصح العرب ومن نطق بالضاد، وأبلغ الخلائق وأعرفهم بمدلولات الألفاظ ومنطوقات الحروف والكلمات، فترك ألفاظه وكلماته وصيغه في الذكر والدعاء علي تكذيبه فيما يقوله ويبينه من المزية والفضيلة لذكر دون ذكر، ومخالفته وشقاقه ومعصيته، وتشريع جديد مع إقرار ختم النبوة به، وكمال الدين وإتمام النعمة عليه.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) سورة النجم الآية ٣.

(٣) سورة البقرة الآية ٣٧.

وأنّى لأحد من الأمة هذا الخيار في حق من قال: «**لو كان موسي حيًّا لما وسعه إلا أتباعي**»(١).

فالمتأدب والمُتّبع لا يخطو إلا علي خطواته، ولا يقفو إلا أثره، ولا يمشي إلا خلفه، لا يتقدم بين يديه ولا يرفع صوته فوق صوته، ولا يجهر له بالقول خوفًا من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، فكلامه حق، وأمره مسلم، وقضاؤه محكم، وإرشاده ملزم، فلا ذكر أفضل من ذكره، ولا دعاء أحسن من دعائه، ولا التسبيح ألطف من تسبيحه، ولا التحميد أروع من تحميده، فلا طريقة، ولا سنة دون سننه، ولا ورد غير ورده، ولا صلاة ولا سلام أفضل من صلاته الذي نطق بها وعلمها أصحابه.

وإن توظيف الوظائف والأوراد من حقه واختصاصه كما صرح بذلك الصوفي المشهور وشيخ الطريقة المشهورة، أبو الحسن الشاذلي كما نقل عنه الكمشخانوي، فقال:

«دخل رجل علي أستاذي (عبد السلام بن مشيش) فقال له:

وظف لي وظائف وأورادًا، فغضب الشيخ منه وقال له: أرسول أنا أوجب الواجبات»(٢).

وبذلك قال ابن زروق في قواعده:

«تحديد ما لم يرد في الشرع تحديده ابتداع في الدين، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حدد كل شيء، ولا يجوز التجاوز عنه»(٣).

ولكن الصوفية يخالفون رسول الله في هذا كما يخالفونه وأوامر ربه في أشياء أخري عديدة، فاختلقوا أورادًا، واخترعوا وظائف، وبينوا لها ثوابًا من عند أنفسهم كأنهم مشرعون، والموحي إليه، وأنشئوا لها هيئات، وأحدثوا لها آدابًا، وأوجدوا لها حلقًا كأنهم علموا شيئًا لم يعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو علمه فكتمه ولم يخبر

---

(١) رواه.

(٢) جامع الأصول في الأولياء لأحمد الكمشخانوي ص ٤٢، أيضًا المدرسة الشاذلية وإمامها أبو الحسن الشاذلي للدكتور عبد الحليم محمود ص ٢٨ ط دار الكتب الحديثة القاهرة واللفظ له.

(٣) قواعد التصوف لأبي العباس أحمد بن زروق ص٥٦ ط مكتبة الكليات الأزهرية مصر.

أحدًا من أصحابه فجاء هؤلاء فأخبروا الناس به، وهذه أمثلة لذلك، فيقول با يزيد الأنصاري المتوفي ٩٨٠هـ وهو يقسم الذكر إلي أقسام، فيقول:

«أما ذكر» لا إله إلا الله محمد رسول الله فهو ذكر اللسان، وهو يجوز في الشريعة، وذكر «لا إلا إلا الله» هو ذكر القلب، وهو يجوز في الطريقة، وذكر «إلا الله» هو ذكر الروح وترك الظن، وهو يجوز في الحقيقة، وذكر «الله» هو ذكر السر، وهو يجوز في المعرفة، وذكر «هو» هو ذكر الغيب وهو يجوز في القربة، وذكر «لا إله إلا أنت» هو ذكر غيب الغيب وهو يجوز في الوصلة، والاسم الأعظم هو ذكر المذكور وهو يجوز في الوحدة»[١].

والشيخ نور الدين البرفكاني حدد ذكر لفظ الجلالة تحديدًا غير وارد في الشرع، فقال: «ليواظب المريد علي ورد «لا إله إلا الله» مائة مرة مع حضور القلب باستحضار معناها وتغميض العينين، وملاحظة أنه بمرأي من الله تعالي وأنه يراه ويقول: «الله الله» مائة مرة صباحًا ومساءً»[٢].

وحكوا عن الشبلي أنه قيل له:

«لم تقول «الله»؟ ولا تقول: «لا إله إلا الله»؟

فقال: استحي أن أوجّه إثباتًا بعد نفي... أخشي أن أؤخذ في كلمة الجحود ولا أصل كلمة الأقرار»[٣].

وفي ذلك قال شيخ الإسلام:

«إن الشرع لم يستحب من الذكر إلا ما كان تامًا مفيدًا مثل «لا إله إلا الله» ومثل «الله أكبر» ومثل «سبحان الله والحمد لله» ومثل: «لا حول ولا قوة إلا بالله».

فأما الاسم المفرد مظهرًا مثل: «الله، الله» أو مضمرًا مثل: «هو، هو» فهذا ليس بمشروع في كتاب ولا سنة، ولا هو مأثور أيضًا عن أحد من سلف الأمة، ولا عن أعيان الأمة المقتدي بهم، وإنما نهج به قوم من ضلال المتأخرين...

---

(١) مقصود المؤمنين لبا يزيد الأنصاري ص ٣٠٦ ط إسلام أباد باكستان.

(٢) اللطف الداني من مناقب الشيخ نور الدين البرفكاني لعبد الوهاب محمد أمين ط. مطبعة الجمهور الموصل.

(٣) انظر شطحات الصوفية للدكتور بدوي ص٤٤ ط الكويت.

وربما غلا بعضهم في ذلك حتي جعلوا ذكر الاسم المفرد للخاصة وذكر الكلمة للمحققين، وربما اقتصر أحدهم في خلوته أو في جماعة علي «الله، الله، الله» أو علي «هو» أو «يا هو» أو «لاهو إلا هو»(١).

ويقول في موضع آخر: «أما ذكر الاسم المفرد فبدعة لم يشرع، وليس هو بكلام يعقل ولا فيه إيمان... ومن العجب أن الصوفية يقولون: ذكر العامة «لا إله إلا الله» وذكر الخاصة «الله، الله» وذكر خاصة «هو، هو»، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«**أفضل الكلام بعد القرآن أربع، وهن من القرآن: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر**»، وفي حديث آخر «**أفضل الذكر لا إله إلا الله، والأحاديث في هذا المعني كثيرة**»(٢).

هذا ويقول الصوفي المشهور عبد الغني الرافعي:

«وأجمعوا علي أنه ينبغي للمريد إذا ذكر الله تعالي أن يهتز من فوق رأسه إلي أسفل قديمه، وهذه حالة يستدل بها علي أنه صاحب همة ويرجي له الفتح عن قريب، ويبتديء بلا إله من جهة اليمين وإلا الله من جهة الشمال، ويخيط بإلا علي القلب، وإذا ذكر بالأسماء الستة الباقية ضرب بذقنه علي صدره ويخيط بالاسم علي القلب ولا يميل يمينًا ولا شمالاً»(٣).

ويقول الصوفي الهندي إمداد الله الجشتي:

«علي المريد أن يتصور مثال محمد صلى الله عليه وسلم في قلبه، ويوجه رأسه إلي اليمين ثم يقول: يا أحمد، ثم يتوجّه لليسار ويقول: يا محمد، ثم يقول: يا رسول الله، ويضرب ذقنه علي صدره»(٤).

---

(١) فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ج١٠ ص ٥٥٦.

(٢) أيضًا ج١٠ ص ٣٩٦.

(٣) ترصيع الجواهر المكية لعبد الغني الرافعي ص ٤٣ مطبعة شرف موسي مصر ١٣٠١هـ.

(٤) ضياء القلوب لإمداد الله الجشتي ص٣٤ ط مطبع مجتبائي دهلي الهند.

وابن الحاج التلمساني المغربي المتوفي ٧٣٧هـ قد ذكر خواص بعض أسماء الله الحسني في كتابه «شموس الأنوار» وذكر شروطًا وطرقًا، آدابًا وسننًا، أنوارًا وأسرارًا، علومًا وتصوفات، نتائج وثمرات، وحكمًا وإشارات من عند نفسه، لا يقوم لها برهان من الكتاب والسنة، فيقول:

(اسمه تعالي الله الحي القيوم) من دوام ذكره كل يوم عدد الأعداد الواقعة عليه إلي أن يغلب عليه منه حال الأسماء بعد الطهارة الكاملة والشروط التي منها:

الأول: من الشروط أن يكون الإنسان في خلوة بعيدة عن العمارة. **الثاني**: أن يكون لباسه حلالاً. **الثالث**: أن يكون طعامه حلالاً. **الرابع**: أن يكون صائمًا. **الخامس**: أن لا يأكل إلا قليلاً من الطعام فإن حاد عن هذا النمط فسد. **السادس**: أن يغتسل كل يوم. **السابع**: أن لا يأكل ما فيه روح. **الثامن**: أن لا ينام إلا عن غلبة. **التاسع**: أن لا يشتغل إلا بذلك. **العاشر**: أن لا يجلس إلا علي حصي أو تراب وهو مستقبل القبلة. **الحادي عشر**: أن يكون خاضع الرأس. **الثاني عشر**: أن ينوي العبودية لله ولا ينوي بها كشف الحجاب. **الثالث عشر**: مهما انتقض وضوؤه أعاده. **الرابع عشر**: إن وجد أن يبخر كل ليلة جمعة أو ليلة الإثنين أو يوم الخميس بالبخور الطيب وكذلك يوم الإثنين ويوم الجمعة عند الزوال فإن الأرواح العلوية الذين يردون عليه يحبون الرائحة الطيبة. **الخامس عشر**: أن لا يتكلم مع أحد في تلك المدة. **السادس عشر**: أن يباشر كل ما يحتاجه بيده. **السابع عشر**: أن يكثر من البكاء والندامة. **الثامن عشر**: أن لا يلبس ثيابًا رفيعة في تلك المدة. **التاسع عشر**: أن يكون لباسه أبيض لا سواد فيه. **وفي عشرين**: أن يكون علي يقين أن الله تعالي يستجيب له فاعرف قدر هذه الشروط فإنك لا تجنيها من ديوان ولا من أحد من الأعيان – وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب – .

ولنرجع إلي ما نحن بسبيله من الأسماء أعني إسم الجلالة وهو اسمه تعالي الحي القيوم إذا وصل المسالك بهذه الأسماء المقامات العلية في الحال وامتزج الذكر مع عوالمه الحسية سمع الهواتف يخاطبونه من كل جهة بكل لغة عجيبة وأقوال قدسية لحينئذٍ يترك اسمين في هذا الذكر ويبقي ذاكرًا ليلاً ونهارًا اسمه تعالي القيوم فقط ثم يذهب عنه

النوم وهو في سلوكه قد امتد بالقوة الصمدانية فإنه يسمع الهاتف الرباني يخاطبه بقوله: فامنن أو أمسك بغير حساب ثم تتقدّم بين يديه الأكوان قائلة له نحن بأمر الله عند أمرك فافعل بنا ما شئت وخذ ما شئت فهذا المقام مقام القطب الفرد الذي به يرزق الله ويعطي ويمنح لأهل الدنيا وقد يمتد من أنواره وعلومه الوتد الذي هو قائم بإقليم من أقاليم الدنيا فاعرف قدر هذه الأسماء فلا شكّ أنها اسم الله العظيم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطي.

[فضل اسمه تعالي القدوس] من داوم عليه بالشروط المتقدّمة إلي أن يغلب عليه منه حال شاهد أنوارًا تخرج من فيه وسمع صرير القلم وفهم لغة العالم العلوي وهو مقام الأوتاد من أهل الدائرة الربانية فإذا شاهد هذه الحالة فليقطع ذلك الذكر وليشرع في اسم الجلالة وهو الله الله فإنه يثبت في تلك المرتبة.

[فضل اسمه تعالي السريع] من داوم عليه بالشروط المعلومة إلي أن يغلب عليه حال شاهد عالم الملكوت وكان مجاب الدعوة في كلّ أمر يحضر له وكشف له عن عالم الروحانية فيسألهم عن كلّ خير يريده.

[فضل اسمه تعالي الوهاب] من داوم عليه كما رسمناه في أوّل الكتاب إلي أن يغلب عليه حال خدمته الروحانية وملوك الجن وتبعته الدنيا بحذافيرها وهو مقام العطاء فليعامل خلقه بهذه الصفة ولا يحتقر وضيعهم ولا رفيعهم وهذه المرتبة مقام النجباء أهل الكمال.

[فضل اسمه تعالي الجواد] من داوم عليه إلي أن يغلب عليه منه حال انفعلت له المكونّات بأسرها ثم يتشكل بكل رهط أراد فإنه مقام البدلاء ولا يفتر عن ذلك الذكر إلي أن يأتيه اليقين.

[فضل اسمه تعالي الكافي المغني] من دوام عليهما بلا فتور إلي أن يغلب عليه منهما حال وامتزجت الأذكار مع عوالمه الحسية شاهد حسن الألوهية حتي أنه لو حبس السالك التراب بيده وذكر عليه تلك الأذكار صار ذهبًا في أسرع وقت وهو مقام الأخيار من أهل الدائرة.

[فصل اسمه تعالي ذو الجلال والإكرام] من داوم عليه بالشروط المتقدّمة إلي أن يصير مغلوبًا في الحال وامتزج الاسم الأعظم من عوالمه الحسية شاهد أسرارًا لا يمكن التعبير عن ماهيتها حتي إن صاحبه إذا أراد أمرًا من الأمور يكون في أسرع وقت ولولا مخافة أن يقع هذا الكتاب في يد من لا يستحقه من أهل الضلالة والمعصية لتكلمت علي هذا الاسم وجعلت خواصه وفوائده كلها مرسومة هنا لينتفع بها كل داخل وارد لهذا الكتاب فهو الاسم الأعظم الذي له السفينة تجري والطيور تجيبك فإن دعوتها حضرت بين يديك وكذلك كل مكوّن من المكونات.

[فضل اسمه تعالي الخبير] من داوم عليه بالشروط المذكورة إلي أن يمتزج الذكر مع عوالمه صار صاحب كشف إيماني وأخبر بما في الظاهر والباطن وكذا الذكر يليق بأهل المكاشفة من أهل الله.

[فضل اسمه تعالي العزيز] من داوم عليه بالشروط المذكورة إلي أن يغلب عليه حال منه تسخر له العالم العلوي والسفلي وجمع الله شمله بما يريد حتي إن ذاكره لو أراد أن يشير إلي جبل لانفتح أو حائط كذلك وهو ذكر النقباء من أهل الدائرة.

[فضل اسمه تعالي المقتدر القادر] إذا داوم عليهما السالك بعلو همة علي الشروط المعدودة إلي أن يغلب عليه منهما حال قلّده الله بثوب الغلبة والنقمة حتي إنه لو نظر إلي طير في جو السماء بأقلّ نظرة كأنه مرمي بسهم أو قرب إليه أحد من الخلق بضر أخذ لوقته وهذا الذكر هو لأرباب القبض من أهل الدائرة فافهم.

[فضل اسمه تعالي الكبير] من داوم عليه بالشروط المذكورة إلي أن يغلب عليه منه حال ارتقي في درجة الخلافة الربانية المعلومة لأهل الحضرة الصمدانية، وقد أتيت هنا في هذا الباب بفتح رباني فعليك أيها الراغب بالاجتهاد - والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا - وإن الله لمع المحسنين»(١).

ومثل ذلك ذكر الوزير لسان الدين بن الخطيب في روضته طرق التقرب إلي أسماء الله الحسني وشروط التقرب وآدابه وأسرار هذه الأسماء، فيقول:

(١) شموس الأنوار وكنوز الأسرار لابن الحاج التلمساني ص ١٢٨ وما بعد ط مصطفي البابي ١٣٥٧ هـ.

«اسمه «الحق» وهو الواجب بذاته، والتقرب إليه به أن يردّ إليه الأشياء من صوت ونطق وحركة... وشرطه أن لا يأكل من الأسباب، ومجاهدته الصمت... واسمه «الودود» والقرب إليه باستدامة الجوع والخلوة... واسمه «الشهيد» ومعناه راجع إلي العلم، والمتقرب إليه به يلزم التجوعات والرياضة، والخشوع والمراقبة، وملازمة اسمه الشهيد وتبدو له المحاضرة، ثم المكاشفة، ثم المشاهدة»[١].

ويقول أحمد بن علي البوني المتوفي ٦٢٢هـ:

«وأما اسمه تعالي «الفتاح العليم» فخواصهما تقرب من الاسمين المتقدمين، وهو من أراد الوصول إلي علم الحقيقة فليأخذ بشروطها، وليداوم علي هذين الاسمين الشريفين عقب أوراده التي اعتادها بعد الصلوات الخمس فلا يمضي عليه أربعون يومًا إلا فتح الله عليه بالفتح الغيبي الذي لا يطلع عليه أحد إلا الأولياء أرباب المقامات والأحوال»[٢].

هذا وقد وضع الصوفية صيغًا وكلمات لصلاة الحاجة مخالفين فيها الصيغ والألفاظ التي وردت في الحديث حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«من كانت له حاجة إلي الله أو إلي أحد من بني آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء ثم ليصلي ركعتين ثم ليثني علي الله وليصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليقل: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش الكريم، الحمد لله رب العالمين، أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم، لا تدع لي ذنب إلا غفرته، ولا همًا إلا فرجته، ولا حاجة هي لك رضا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين»[٣].

ولكن الصوفية يقولون:

«من كانت له إلي الله حاجة فليصل ركعات يقرأ في الأولي: الفاتحة وسورة الإخلاص عشر مرات، وفي الثانية: الفاتحة وسورة الإخلاص عشرين مرة، وفي الثالثة: الفاتحة وسورة الإخلاص ثلاثين، وفي الرابعة: الفاتحة وسورة الإخلاص أربعين. وبعد

---

(١) روضة التعريف للسان الدين بن الخطيب ص ٣٠٧ ط دار الفكر العربي.

(٢) الأصول والضوابط المحكمة للبوني ص ٤٥ ضمن منبع أصول الحكمة ط مصطفي البابي الطبعة الأخيرة.

(٣) رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم.

الفراغ يقول: اللهم بنورك وجلالك وبحق هذا الاسم الأعظم وبحق نبيك محمد صلى الله عليه وسلم أسألك أن تقضي حاجتي وتبلغني سؤلي وأملي، ويدعو بهذا الدعاء يستجاب له» وهو هذا: بسم الله الرحمن الرحيم الله الله لا إله إلا الله الأحد الصمد، الله الله لا إله إلا الله بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام، اللهم إني أسألك بحق أسماءك المطهرات المعروفات المكرومات الميمونات المقدسات التي هي: نور علي نور ونور فوق نور ونور في السموات والأرض، وأسألك بنورك العزيز العظيم، وبنور وجهك الكريم، وبقوة سلطانك المبين وجبروتك المتين، الحمد لله الذي لا إله إلا هو بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام، يا الله يا الله يا الله، يا رب يا رب يا رب، يا رباه يا رباه يا رباه، اغفر لي ذنوبي، وانصرني علي أعدائي، واقض حوائجي في الدنيا والآخرة ووالدي وجميع المسلمين، وصلي الله علي سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم»[1].

وكذلك ابتدعوا أحزابًا سبعة ووزعوها علي أيام الأسبوع، يكررها الصوفية معرضين عن الأوراد والأذكار المأثورة الواردة في كتب السنة النبوية اخترعوا لها فضائل ومناقب، منها ما ذكروا في فضائل الحزب الخامس في يوم الجمعة، فقالوا بعد ذكر ألفاظ الذكر:

«من قرأه مرة واحدة كتب الله له ثواب حجة مقبولة وثواب من أعتق رقبة من ولد إسماعيل عليه السلام فيقول الله تعالي: يا ملائكتي هذا عبد من عبادي أكثر الصلاة علي حبيبي محمد، فوعزتي وجلالي ووجودي ومجدي وارتفاعي لأعطينه بكل حرف صلي قصرًا في الجنة وليأتيني يوم القيامة تحت لواء الحمد نور وجهه كالقمر ليلة البدر وكفه في كف حبيبي محمد هذا لمن قالها كل يوم جمعة له هذا الفضل والله ذو الفضل العظيم»[2].

---

(١) الفوائد في الصلات والعوائد لشهاب الدين حمد بن عبد اللطيف الشرجي ص٥٥ ط مصطفي البابي الحلبي الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ.

(٢) انظر دلائل الخيرات ص ١١٢، ١١٣ ط مصطفي البابي الحلبي القاهرة ١٣٤٦هـ.

وهناك اسم الله الأعظم ذكره أبو العباس أحمد بن علي البوني المتوفي ٦٢٢هـ، وبين طريقة استعماله، وفيها ألفاظ وكلمات ليس لها معني ومفهوم، ولا ينطق بها أحد من الناس، فلا ندري هي لغة الجن أو لغة السحر والكهانة يستخدمها الصوفية للتقرب إلي الله عز وجل – وعياذًا به تعالي من هذا الهذيان – فيقول البوني:

«اسم الله الأعظم الذي لا يوفق لاستعماله إلا من سبق له العناية هو الله وله من الحروف ج ب أ و وللجيم جينج اسم هوائي والباء بكمد اسم ترابي وللألف أهلل اسم ناري وللواو وكيل اسم مائي: وكيفية الذكر بهذه الأسماء أن تتلو في الثلث الأخير من الليل هذه الأسماء الأربعة ستة آلاف وستمائة وستًا وستين مرة ثم ركعتين وبعد السلام تقرأ ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ الآية سبعين مرة وتقول: استغفر الله العظيم سبعين مرة وتذكر البسملة سبعمائة وستًا وثمانين مرة ثم تقول: اللهم صل علي سيدنا محمد وعلي آله وسلم مائة واثنين وثلاثين مرة وتقول الله الجليل القديم الأولي أربعمائة وثمانيًا وثمانين مرة ثم بعد صلاة الصبح تستغفر الله سبعين مرة وتذكر البسملة سبعين مرة وتصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة ثم تقول: اللهم أهلل بكمد جينج وكيل الله يامور شطيئًا يا طهوج يا مبططروش أجب يا زهزيائيل وأنت يا أهدكيل بحق الهاء الدائر، اللهم يا من هو أحون قاف آدم حم هاء آمين سبعين مرة ونكتب هذا الخاتم وقت شروق الشمس»، وهذه صفته:

ياجينج ياقيطروش

٣ ١٦٦٦8	٨ ٤٤٤م٦	١ 888
٧ ٣٨٩١		٠ 8٢٧٧
٢ ١١١٥	٤ ١/٢٢٥	٦ ٣٣٣٦

وتحمله معك، ثم إذا عرض لك أمر وأردت قضاءه فاكتب الخاتم، وأدخل مقصودك في الخانة الخالية منه، ثم قل عليه: يا جينج يا بكمد يا أهلل يا وكيل ٦٦٦٦

مرة فإنك تجاب في أسرع وقت»[١].

وأيضًا الوظيفة التي ذكرها لقضاء المهمات وتسيير الأمور، وهذه ألفاظها:

«اللهم إني أسألك بعظيم قديم كريم مكنون مخزون أسمائك وبأنواع أجناس رقوم نقوش أنوارك، وبعزيز إعزاز عز عزتك، وبحول طول جول شديد قوتك، وبقدرة مقدار أقدار قدرتك، وبتأييد تحميد وتمجيد عظمتك، وبسمو نمو علو رفعتك، وبقيوم ديوم دوام رحمتك، وبلوامع بوارق صواعق عجيج وهيج بهيج رهيج نور ذاتك وببهر جهر قهر ميمون ارتباط وحدانيتك، وبهدير تيار أمواج بحرك المحيط بملكوتك، وباتساع انفساح ميادين وبرازيخ كرسيك، وبهيكليات علويات روحانيات أملاك عرشك، وبالأملاك الروحانيين المدبرين لكواكب أفلاك، وبحنين أنين تسكين المريدين لقربك وبحرقات زفرات خضعات الخائفين من سطوتك، وآمال أقوال المجتهدين في مرضاتك وبتحمد تمجد تهجد تجلد العابدين علي طاعتك يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن يا قديم يا مغيث أطمس بطلسم»[٢].

وقد ذكر الشيخ علي بن محمد الطندتائي في رسالته وظيفة محتوية علي كلمات غريبة علي اللغة العربية، وصوّر شخصين، وكتب عليهما أحرفًا ورموزًا لا معني لها، نثبت هنا كل ذلك، فيقول:

«وإذا أردت جلب الهارب والسارق فقصّ شخصين من ورق واكتب علي شخص المطلوب هكذا:

أبارخ ٢ يورخ انوش ٢ صورخ بارخ ٣ باروخ ٢.

كسر

٥٥٢٥٢

ا ن و س ل ك ق د و ج ب

وعلي شخص الطلب هكذا:

(١) شرح الجلجوتية الكبري لأبي العباس أحمد بن علي البوني ص ١١٠ ط مصطفي البابي الحلبي مصر الطبعة الأخيرة.

(٢) منبع أصول الحكمة للبوني ص ١١١ ط مصطفي البابي مصر.

جالوش عبروش عراش جواش هيهوش
فهروش شلموش يعروش يعروش يعوش.
د ف ر
أ ٨٥ ٢٥٥
ثم اجعل وجه الطالب علي وجه المطلوب
وعلقهما في سيبة واقرأ عليهما هذه الأسماء.

أية بقطريال جليش دميال هططوش وهيم زنقطا حداية طغيال ٤٥ مرة ثم العهد القديم ٧ مرات، فإذا أحسست بثقل في عضو من أعضائك فهي علامة الإجابة وإلا فكرر سبعة ثانيًا أو ثالثة وهكذا إلي تمام ٤٩ مرة فإن المقصود يتم لا محالة بإذن الله تعالي والبخور لبان ذكر وكزبرة وجماجم تمر حنا»[١].

اخترع الصوفية هذه الألفاظ الغريبة وزعموا أن للحروف أسرارًا ورموزًا وإضمارات وطبائع وإشارات، متأثرين في ذلك بالعلوم السحرية الطلسمية فيها كفر وضلال، وقال تعالي: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[٢].

والصوفية اشتغلوا بترديد الكلمات السحرية الكفرية علي ألسنتهم وألفوا في ذلك كتبًا ورسائل ذكروا فيها أسرار الحروف ورموزها، فنثبت هنا الجدول الذي هو أساس للأوراد الصوفية ووظائفهم:

«أول الحروف حرف الألف وخادمه الرئيس الأكبر رئيس ملائكة الحروف:
هَطْمَهْطَلَقِيائيل وإضماره هَدْهَيون شَلْهَميدٍ طَمْخَلَلَشٍ بُهلَمْيلَخٍ.
حرف الباء وخادمه الملك جَرَمْهَيَائيل وإضماره كَشَمْشَخٍ هَيْلَخٍ مَهَلْشَطٍ.
حرف الجيم وخادمه الملك طلقطيائيل وإضماره هَدْمخٍ هلشلخخٍ.
حرف الدال وخادمه الملك سكمهيائيل وإضماره هَلْطَفٍ مهللخٍ شَوِييدٍ شئلطَطٍ.

---

(١) الدرة البهية في جوامع الأسرار الروحانية للشيخ علي بن محمد الطندتائي ص٣١ط مصطفي البابي الحلبي ١٣٧٠ هـ.
(٢) سورة البقرة الآية ١٠٢.

حرف الهاء وخادمه الملك عَفْرَيائيل وإضماره مَهْدَدُوةٍ شَلْتَمُوخٍ بَرَاخٍ.
حرف الزاي وخادمه الملك عَلمشيائيل وإضماره معدوشٍ هطاطمٍ مهطٍ.
حرف الحاء وخادمه الملك طفيائيل وإضماره دهليخٍ كمشلاطخٍ.
حرف الطاء وخادمه الملك عصطيائيل وإضماره شمهطٍ مبلشخٍ ملخشٍ طموٍ.
حرف الياء وخادمه الملك هردقيلٍ وإضماره دمغيغٍ هلهفٍ شوييدخٍ.
حرف الكاف وخادمه الملك شمهيائيل وإضماره شَفْرُ ودٍ هميطا خطشٍ.
حرف اللام وخادمه الملك طهْطيائيل وإضماره غغيطٍ طهمش خلشدمٍ.
حرف الميم وخادمه الملك شراخيل وإضماره حجمشطٍ كلتياطٍ مدمخٍ.
حرف النون وخادمه الملك صعريائيل وإضماره شغيغٍ دلحمٍ بهيطٍ.
حرف السين وخادمه الملك هطغيل وإضماره مسطعٍ عطلدٍ خييمٍ علطلٍ.
حرف العين وخادمه الملك شرهيلٍ وإضماره لخطمٍ عديفٍ أرزدٍ.
حرف الفاء وخادمه الملك شطاطيلٍ وإضماره كبطمٍ رزطش هخيطٍ.
حرف الصاد وخادمه الملك هردبالٍ وإضماره شرُوخٍ همشٍ.
حرف القاف وخادمه الملك عزقيل وإضماره غدغصٍ طلحياش.
حرف الراء وخادمه الملك دهرابيل وإضماره عللطفٍ علميخٍ دبعومٍ.
حرف الشين وخادمه الملك خردٍ يائيل وإضماره شظيفٍ كهييلٍ.
حرف الخاء وخادمه الملك خمليلٍ وإضماره عمطيار واكشٍ راكش دهويطٍ.
حرف الذال وخادمه الملكَ رفعيائيل وإضماره عللمهصٍ صهدعٍ شهلطٍ.
حرف الضاد وخادمه الملك رفعيائيل وإضماره يوخٍ روخٍ أموشٍ طملشيطٍ عبصوعٍ.
حرف الظاء وخادمه الملك طرخبائيل وإضماره هميطيواش معدٍ مشطٍ.
حرف الغين وخادمه الملك سلكفيل وإضماره أشعطلفٍ هيوطٍ شططفٍ كلكفف»[1].

(١) منبع أصول الحكمة ص ٢٢٢، ٢٢٣.

كما أنهم وضعوا وظائف مختلفة للتأليف والتفريق وقضاء حوائج الناس وما يحتاج إليه الإنسان في كل وقت، وللتسخير، وإلقاء البغضاء والفرقة، وخراب الأمكنة والدور، وتسليط العذاب علي الأعداء، وجلب الغائب، وتغييب الحاضر وغيرها من الأمور السحرية الطلسمية، فتعاهدوا الأربعينات وغيرها، واعتزلوا في الخلوات والجبال للحصول علي أسرار الحروف، ولتسخير الأرواح والملائكة، فيقول الشيخ محمد الشافعي الخلوتي:

«إذا أردت ألفة بين اثنين مثلاً أو فرقة أو غير ذلك فابدأ بعون الله باسم ملك أرضي ثم المطلوب ثم الطالب أحرفًا متفرقة... واعلم أن ذلك الملك يصير ملازمًا لذلك الشخص مستحوذًا عليه لا يفارقه أبدًا من محبة وعقد شهوة ومرض عضو مخصوص وإبطاله، ولو وكلته بنقل الجبال لنقلها، وبالبحار لنسفها فإنه عمل صحيح معمول به لا يتغير ولا يتبدل...

ثم يقول بعد ذكره: إني كشفت لك السر المكتوم عن كثير من الناس لا يصل إليه إلا آحاد العلماء الراسخون وأفراد الحكماء الحاذقون»[1].

وأما علي أبو حي الله المرزوقي صاحب «الجواهر اللماعة» فأيضًا أورد في كتابه أورادًا نادي فيها أسماء لم ينزل الله بها من سلطان، فطلب منها قضاء الحاجة والشفاء والنصر وغيرها، فيقول:

«تصوم لله سبعة أيام برياضة تامة... وتقول: اللهم إني أسألك يا لهيوش ويا طهيوش ويا يوش ويا فهليوش أسألك اللهم بحق هذه الأسماء والأسرار التي ألقيتها في قلب نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وكسيته من جلال لطفك وهديته بطهارة قدسك أن تسخر لي روحانية خدام اسمك اللطيف المبارك العلوية والسفلية يكونون عونًا لي علي ما أريد وهو كذا وكذا، أجب يا عبد اللطيف وأنت يا شعاع يا شعضوض بحق ما تعرفونه من سرّ هذا الاسم اللطيف وشريف علمه الأعظم وذكر جلاله: واذكرن ما يتلي في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفًا خبيرًا، اقضوا

(١) السر الظروف في علم بسط الحروف للشيخ محمد الشافعي الخلوتي ص٤٥ ط مصطفي البابي الحلبي القاهرة ١٣٧٠هـ.

حاجتي وامتثلوا مرضاتي وأسعفوني بالطاعة لخدمة الله والرسول وائتوني من مال الله الذي مع خلق الله، بحقك يا الله يا لطيف إني أسألك بلام لطفك وطاء طولك وياء يقظتك وفاء فردانيتك أسألك أن تسخر لي سرًّا من سرّك ونورًا من نورك ولطفًا من لطفك وهيبة من هيبتك تسخر لي بها جميع خلقك وتخضع لي قلوبهم بالألفة والمودة وتودع في قلوبهم محبتي سرًا ونورًا وبهجة، أجب يا عبد اللطيف ويا عبد الطالب ويا عبد البارئ ويا عبد الفتاح ويا شعاع ويا نور ويا صالح ويا شعضوض ويا حفيال»[١].

فهل هذه هي الأوراد والوظائف التي قالوا فيها:

وحكم أوراد السلف حكم الفرائض لأنها فرائض بالالتزام والعهود والنذور فيجب إعادتها كالفريضة»[٢].

هذه وذكر أحمد الرفاعي في مجالسه أورادًا وأدعية فيها كلمات فلسفية مغلقة مثل:

«يا كافي المهمات، يا رب الأرض والسموات أسألك بالحقيقة المحمدية وبما انطوي في مضمونها من عظائم الأسرار الربانية بالميم المتدالي ببحبوحة مرج البحرين يلتقيان مادة المظاهر الطالعة والمشارق اللامعة ميزاب الفيوضات الهاطلة منبع العوارف المتواصلة، ماهية المعرفة المطلوبة محراب البداية الإبداعية، منير بيت النهاية الإمكانية.

وأسألك اللهم بحاء الحسن الأعم والمحد الأتم حد النهايات الصاعدة في أدراج السمو الملكوتي حيطة الغايات المتقلبة علي بساط الإحسان الرحموتي.

وأسألك اللهم بميم المدد المعقود علي مجمل أسرار الوجود... أسألك اللهم بالنور اللامع والقمر الساطع والبدر الطالع والفيض الهامع والمدد الواسع نقطة مركز الباء الدائرة الأولية وسر أسرار الألف القطبانية - إلي آخر الهذيان»[٣].

وعبد السلام الأسمر الفيتوري أيضًا قد حشد كتابه بوظائف وأحزاب موضوعة، وسماها بالحزب الكبير وحزب الخوف وحزب الفلاح ووظيفة الحضرة، ثم قال بعد

---

(١) الجواهر اللماعة لعلي المرزوقي ص ٥٤ ط مصطفي البابي الطبعة الأخيرة ١٣٦٠ هـ.

(٢) الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التيجاني لمحمد بن عبد الله بن حسنين ص٦٥ ط مصطفي البابي الحلبي مصر.

(٣) المجالس الرفاعية لأحمد الرفاعي المجلس الثاني ص٤٦ وما بعد ط مطبعة الإرشاد بغداد.

ذكر هذه الأحزاب:

«إخواني، فعليكم بحفظ هذه الأحزاب وتلاوتها علي الدوام إن قدرتم. إخواني، والصواب أن تقرؤها جماعة في كل يوم بعد صلاة العصر استحبابًا، وقد جري الأمر والعمل بذلك علي أيدي المتصوفة وصالحي الأمة كالشاذلي وتلامذته وغيرهم»(١).

ولكل طائفة أذكار وأوراد مختصة بها، سنذكر نبذة منها عند بيان الطرق الصوفية إن شاء الله في كتاب مستقل، ونكتفي بهذا القدر من نماذج الذكر الصوفي ونعرض الجانب عن الكثير الكثير الذي هو منثور في كتبهم ومؤلفاتهم.

هذا وإن الصوفية يدّعون أحيانًا أن هذه الأذكار والأوراد والوظائف والأحزاب قد تعلّموها من علي رضي الله عنه كما ذكر ذلك الجعلي الفضلي عن حسن بن حسونة أنه قال:

«اختليت في باعوضة للذكر والعبادة فجاءني علي فلقنني الذكر»(٢).

وأحيانًا يدّعون تلقنها من الخضر كما يحكي شهاب الدين الشرجي اليمني عن بعضهم أنه «حصل له عطش شديد في بعض المفاوز. قال: حتي خفت التلف، فقعدت مستعدًا للموت فغلبتني عيني وأنا جالس، فقال قائل: قل يا لطيفًا بخلقه، يا عليمًا بخلقه! يا خبيرًا بخلقه! الطف بي يا لطيف يا عليم! يا خبير، ثلاث مرات، وهذه تحفة الأبد، فإذا حقتك ضائقة أو نزلت بك نازلة فقلها تكفي وتشفي، فقلت: من أنت؟ قال: أنا الخضر»(٣).

ونقل الهجويري عن إبراهم بن آدم أنه قال:

«كان الحق تعالي يبعث إلي بالرزق عند الحاجة دون عناء، واتفق لي في ذلك الوقت صحبة الخضر عليه السلام، وعلّمني اسم الله الأعظم»(٤).

ويحكي الشعراني عن أحمد بن أبي الحواري أنه كان يقول:

وعلمني الخضر عليه السلام رقية للوجع، فقال: إذا أصابك وجع فضع يدك علي

---

(١) انظر الوصية الكبري لعبد السلام الأسمر الفيتوري ص٩٧ ط مكتبة النجاح طرابلس ليبيا.

(٢) كتاب الطبقات للجعلي الفضلي ص٤٧ ط بيروت.

(٣) الفوائد في الصلات والعوائد ص٣٢، ٣٣ط مصطفي البابي الحلبي مصر.

(٤) كشف المحجوب للهجويري ص٣١٦، ومثله في الرسالة القشيرية ج١ ص٥٥.

الموضع وقل: «وبالحق أنزلنا وبالحق نزل»، فلم أزل أقولها على الوجع فيذهب بساعته»[١].

والدباغ أيضًا نقل حكاية عن بعض الصوفية أنه قال:

«بقيت عند قبر شيخي إلى الليل وأنا أبكي من حبّه ووحشة فراقه، ثم بتّ على قبره والحال يتزايد إلى أن طلع الفجر، فجاءني سيدنا الخضر عليه السلام فلقنني الذكر»[٢].

وأحيانًا يخرّفون بأنهم أخذوها من رسول الله صلى الله عليه وسلم كحزب أبي الحسن الشاذلي، الذي سماه بحزب البحر، وكلماته «رب سهل ويسر ولا تعسر علينا يا ميسر كل عسير بحق! ب ت ث .... و ه و لا ي ... بسم الله بابنا، تبارك حيطاننا، يس سقفنا، كهيعص كفايتنا، حمعسق حمايتنا، ستر العرش مسبول علينا الخ»[٣].

فيقولون في هذا الحزب: أنه «لما اعترض الفقهاء على حزب الشاذلي المسمى بحزب البحر، قال الشيخ: والله لقد أخذته من رسول الله صلى الله عليه وسلم حرفًا بحرف»[٤].

وأحيانًا يهذون أنهم تعلموها من بعض الطيور كما يحكي الصفوري عن بعضهم أنه قال: «كنت أسيرًا في قسطنطينية بلاد الروم فنذرت إذا خلصني الله أن أحج ماشيا فجاءني طائر إلى حائط السجن، وقال: اللهم إني أسألك يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا تصفه الواصفون ولا تغيره الحوادث والدهور يا من يعلم مثاقيل الأمطار وورق الأشجار ولا تواري عنه سماء سماء ولا أرض أرضًا ولا جبال ما في وعرها ولا بحار ما في قعرها أنت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار ونور القمر وشعاع الشمس ودوي الماء وحفيف الأشجار وأنت الذي نجيت نوحًا من الغرق وغفرت لداود ذنبه وكشفت الضر عن أيوب ورددت موسى إلى أمه وصرفت

---

(١) طبقات الشعراني ج١ ص٨١.

(٢) الإبريز للدباغ ص١٣ طبعة قديمة.

(٣) انظر النفحة العلية في أوراد الشاذلية ص١٢ ط مكتبة المتنبي القاهرة.

(٤) جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج٢ ص١٧٦.

عن يوسف السوء والفحشاء وأنت الذي فلقت البحر لموسي حين ضربه لبني إسرائيل بعصاه فكان كل فرق كالطود العظيم حتي مشي عليه موسي وشيعته وأنت الذي جعلت النار علي إبراهيم بردًا وسلامًا وأنت الذي صرفت قلوب سحرة فرعون إلي الإيمان بنبوة موسي يا شفيق يا رفيق يا جالي الضيق أنت منقذ الغرقي ومنجي الهلكي وجليس كل غريب وأنيس كل وحيد ومغيث كل مستغيث فرج عني الساعة الساعة فلا صبر لي علي حلمك لا إله إلا أنت ليس كمثلك شيء وأنت علي كل شيء قدير فلما دعا به في الليلة الثانية أرسل الله ملكًا فحمله إلي منزله فحج من سنته ماشيا فحدث به رجلاً، فقال له: من أين لك هذا الدعاء قال حفظته من طائر بقسطنطينية بلاد الروم، فقال: حدثني أبي عن جدي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها دعاء الفرج(١).

وأما كيفية تلقين الذكر فذكرها أيضًا كثير من الصوفية في كتبهم، ننقلها عن عبدالغني الرافعي، فيقول:

«وكيفية تلقين الذكر أن يضع الشيخ يده اليمني في يد المريد اليمني بعد طهارة كل منهما ويجعل راحة كفه علي راحته ويقبض إبهامه ويقول له: غمض عينيك واستغفر الله ثلاثًا ثم يقرأ الشيخ قوله تعالي: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ إلي ﴿قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ و﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ إلي ﴿عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ و﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ﴾ الآية ثم يطرق رأسه ويدعو سرًا للمريد بنحو اللهم أعنه واحفظه وتقبل منه وافتح عليه باب كل خير كما فتحته علي أنبيائك وأوليائك اللهم فرغنا لما خلقتنا له ولا تشغلنا بما تكفلت لنا به ولا تحرمنا ونحن نسألك ولا تعذبنا ونحن نستغفرك برحمتك يا أرحم الراحمين ثم يقول وكل منهما غاض بصره اسمع مني الذكر ثلاث مرات وقله بعدي ثلاث وأنا أسمع منك ثم يستأذن الشيخ بقوله دستور يا رسول الله دستور يا أهل الطريق دستور يا أستاذ الأذن لي بتلقين الذكر ويطلب بقلبه المدد من أهل السلسلة وذلك بعد أن يكون قدم قراءة الفاتحة له صلى الله عليه وسلم وفاتحة ثانية لأهل السلسلة وفاتحة ثالثة لقطب الكون والأولياء جميعًا عندما

(١) نزهة المجالس للصفوري ص٩ ط دار الكتب العلمية ببروت ومكتبة الشرق الجديد بغداد - العراق.

يجلس المريد بين يديه»[١].

وأما اللغة السحرية الطلسمية التي يستعملها الصوفية في وضع الأذكار والأوراد، فيدعي الصوفية عنها أنها لغة الملائكة والأرواح ولغة أهل الجنة، وبهذه اللغة فواتح سور القرآن الكريم [٢].

وأما الشعراني فادعي عن إبراهيم الدسوقي أنه كان له إلمام تام بهذه اللغة، فكان يتكلم بها ويكتب فيها، نقدم نموذجًا من هذه اللغة إلي القراء لمعرفة مدي تخريفات القوم وترهاتهم، فينقل الشعراني عنه أنه كتب إلي بعض مريديه:

وبعد السلام وإنني أحب الولد وباطني خلي من الحقد والحسد ولا بباطني شظا ولا حريق لظي ولا لوي لظي ولا جوي من مضي ولا مضض غضا ولا نكص نصّا ولا سقط نطًا ولا نطب غظًا ولا عطل حظًا ولا شنب سري ولا سلب سبا ولا عتب فجا ولا بدع رضا ولا شطف جوا ولا عنف سرا ولا خمش خبش ولا حفس عفس ولا خفض خنس ولا حولد كنس ولا عنس كنس ولا عسعس خدس ولا جيقل خندس ولا سطاريس ولا عيطافيس ولا هطامرش ولا سطامريش ولا شوش أريش ولا ركاش قوش ولا «هلا دنوس ولا كنبا» سمطلول الروي ولا بوس عكموس ولا فنفاد أفاد ولا قداد أنكاد ولا بهداد ولا شهداد ولا بد من العون وما لنا فعل إلا في الخير والنوال انتهي وكتب إلي بعض مريديه أيضًا سلام علي العرائس المحشورة في ظل وابل الرحمة وبعد فإن شجرة القلوب إذا هزت فاح منها شذا يغذي الروح فيتنشق من لا عنده زكم وله أنوار وعلوم مختلفة مانعة محجوبة معلومة لا معلومة معروفة لا معروفة غريبة عجيبة سهلة شظة وتفة طعم ورائحة وسم ميم محل جميل جهد راب ملوب نغط نبوط هوبط سهبط حره واغميط عمن عسب غلب عرماد علمود علي عروس علماص مسرود قدقد فرصم صباع صبع صبوع نبوب جهمل جمايد حربوعسس قنبود سماع بناغ مرنوع ختلوف كداف كروب كبنوف شعدا سعندبل ختلولف ختوف رصص ما

(١) ترصيع الجواهر المكية لعبد الغني الرافعي ص١٦ ط مصر ١٣٠١ هـ.

(٢) انظر لذلك الإبريز للدباغ ص ١٢٨ وما بعد.

من قمن قرقنبود سعي طبوطا طابرطا كما كهرحه جهدبيد نيلودات كهلودات كلوب فإنهم مبرم واقرم منهم وأخبر يهدم سوس سفيوس كلافيد لا تهترعن عتبلا سعد سبح تزبد ولا تتكوكع زند حدام هدام سكهدل وقد سطرنا لك يا ولدي تحفة سنية ودرة مضية ربانية صريانية»[(١)].

هذا ونعود إلي موضوعنا ونقول: إن الصوفية قد أوجدوا صيغًا وألفاظًا في أورادهم ووظائفهم لم يعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه، ولم يدع واحد من السلف الصالح بتلك الكلمات والألفاظ، وزعموا لها فضائل ومناقب، وفضلوها علي تلاوة القرآن الكريم وعلي التسبيح والتهليل والتحميد، وحملوا الناس علي الاشتغال بترديد كلمات السحر والكهانة والتنجم علي ألسنتهم، ثم اختلقوا لها آدابًا وتجليات وأحوالاً ودرجات لم يأت بها كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يقول القشيري:

«إذا قبل المريد طريق التصوف يقول له الأستاذ:

«قبلتك لأوصلك إلي طريق الله بقدر ما أعرف أني لا أبخل عليك بقدر ما عرفته ثم يعرفه ويوصيه أن لا يسمعه من الأستاذ ويري جميع أحواله من الله ويري التوفيق منه ويقول له: قل: الله الله الله ثم يوصيه أن يواظب علي قول هذا الذكر وأن لا يشهد غيره وأن لا يفكر في غيره وأن أشغله عن هذا الذكر أمر من الأمور فطرح تلك الأمور وإن كان موت والديه ولا يفعل من الطاعات إلا الفرائض والسنن وركعتي الضحي وبعد كل وضوء ركعتين فأما سواه من النوافل وقراءة القرآن فلا يشتغل إلا بهذا الذكر إلي أن يغيب بالذكر عن جميع الأشياء بتوفيق الله لقوة إراداته ثم يغيب بالذكر عن نفسه ثم يغيب بالذكر عن الذكر يردد مدة طويلة بين غيبة عن الذكر بالذكر وبين حضور الذكر ثم لا يزال يرتقي في كل غيبة وحضور إلي رتبة أخري ثم يرد ورود آخر عليه أعلي من هذا فيفني العبد عن الذكر وعن هذه الأحوالي فإذا رد إلي حال البقاء بعد هذه الغيبة يسلب عنه لسانه وسمعه وبصره إلا شهادة القلب ولا يمكنه أن يقول باللسان

(١) طبقات الشعراني ج١ ص١٦٧.

ويقول بالقلب نطقًا لا علمًا ومشاهدة بل كما كان ينطق بلسانه قبله يذكر بقلبه حتي يرد ورود آخر عليه بعد مدة ما شاء الله أعلي من ذلك من حيث الهيبة فيبدو علي العبد من الهيبة ورود يظن أنه قريب من الحق فيفني العبد فيه ثم يتردد بين البقاء والفناء وكل مرة يرد إلي البقاء تزداد عبارات قلبه حتي ينتهي إلي أذكار يجدها مرة قلبه بألسنة مختلفة وعبارات لم يسمعها قبله ولا خطرت بباله قبله يجد ذلك «الله» في قلبه حتي يتوهم أن جملة الكون يذكر الله بعبارات مختلفة أحيانًا ويصير بحيث لا يميز بين ذكره الذي يبدو من قلبه وذكر الكون من غلبات الذكر عليه فليسمع جميع هذه الأذكار ثم بعده يرد ورود آخر بحيث لو ذاق هذا الورود غير من سلك هذه الطريقة علي سبيل الوهلة لمات من هيبة الله سبحانه حتي يفني هذا العبد ولا يبقي منه شيء».

ثم يرد إلي حالة البقاء فيسلب عنه أحوال القلب من الشهادة وغيرها فيبدو له سر الغيب يبقي للعبد شيء وليس إلا الله»[1].

ويقول:

«إذا تحقق الذاكر في ذكر اللسان رجع ذكر لسانه إلي ذكر القلب فإذا ذكر القلب يرد عليه في الذكر أحوال يجد من نفسه بل يسمع من قلبه «الله» سبحانه اسمًا وأذكارًا لم يسمعها قط ولا قرأها في كتاب بعبارات مختلفة وألسنة متباينة لم يسمعها ملك ولا آدمي فإن لازم همته ولم يلتفت ولم يلاحظ هذه الواردات نال المريد الزيادة إلي أن ينتهي إلي ذكر السر وإن التفت إلي ما يجري عليه من هذه الأحوال ولاحظ هذه التسميات وهذه الأذكار ونظر إليها واشتغل بها فقد أساء الأدب فيعاقب في الوقت وعقوبته انقطاع المزيد عنه ثم يعاقب ثانيًا إن صبر عليه بأن يرد إلي حال العلم هذه الأحوال ويرد عليه علوم حتي يظن أنه فتح عليه علوم الأولين والآخرين.

في ابتداء الذكر في الجوارح أن يجد حركة في جوارحه حتي لا يبقي عليه جزء من لحمه وعظمه إلا يجد فيه حركة واختلاجًا ثم تقوي تلك الحركات وتلك الاختلاجات.

---

(١) رسالة ترتيب السلوك للقشيري ص٦٥، ٦٦، ٦٧ من الرسائل القشيرية ط إسلام أباد باكستان.

حتي تصير أصواتًا وكلامًا حتي يسمع من جميع جوارحه وأجزائه أصواتًا إلا من لسانه فإن اللسان لا ينطق في هذه الأحوال والعبد ملازم لهمته لأنه يتيقن أنه لولا حظ وطلب علم هذه الأذكار نفي عنها إلي غيرها وهذا بعد أن وقع الذكر علي القلب فأما في حال ذكر اللسان فيكون هذه الحركات والاختلاجات للجوارح لكن لا بهذه القوة»(١).

ثم يبين الخواطر والأحوال التي ترد علي قلب الذاكر، فيقول:

«الخواطر والأحوال التي ترد علي البعد يسمع العبد أصواتًا أحلي ما يكون، وأحسن ما يكون حتي كأنها ما يكون حتي كأنها ألذ وأطرب وأشهي من أصوات الأوتار والمزامير والبرابط، وكل صوت حلو حسن.

ثم هذا الخاطر من الشيطان يكون بهذه الحالة، وربما يكون أتمّ حلاوة من هذا الذي من الحق في الصورة(٢).

ومن تلك الآداب «أن يستمد عند شروعه في الذكر بهمة شيخه بأن يشخصه بين عينيه، ويستمد من همته ليكون رفيقه في السير.

ومنها أن يري استمداده من شيخه هو استمداده حقيقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه واسطة بينه وبينه...

ومنها اختيار الموضع المظلم من خلوة أو سرادب...

ومنها أن يخيل شخص شيخه بين عينيه ما دام ذاكرًا، وهذا عندهم من آكد الآداب... وأجمعوا علي أنه يجب علي المريد الجهر بالذكر بقوة تامة وأن ذكر السر والهوينا لا يفيده رقيا(٣).

هذا وإن الله تعالي يقول:

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾(٤).

---

(١) الرسائل القشيرية ص٦٨ وما بعد.
(٢) أيضًا ص٧٥.
(٣) ترصيع الجواهر المكية لعبد الغني الرافعي ص٤١، ٤٢، أيضًا الأنوار القدسية للشعراني ج١ ص٣٦، ٣٧.
(٤) سورة الأعراف الآية ٢٠٥.

ويروي با يزيد الأنصاري الصوفي المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«أفضل الذكر الذكر الخفي»(١).

والشعراني يذكر من جملة آداب الذكر «محلّه في الذاكر الواعي المختار، أما المسلوب الاختيار فهو ما يرد عليه من الأسرار، فقد يجري علي لسانه الله، الله الله، الله، أو هو هو هو، أو لا لا لا أو عا عا عا، أو آآآ أو ه ه ه أو ها ها ها أو صوت بغير حرف أو تخبيط، وأدبه عند ذلك التسليم للوارد، فإذا انقضي الوارد فأدبه السكون من غير تقوّل»(٢).

ومن جملتها ما ذكرها أحمد محمود زين الدين الحسيني حيث كتب:

«ويجب علي الذاكر أن يستعد للذكر استعداده للصلاة، فيجلس جلوس المتأدب المتواضع والمتذلل الخاشع، جامعًا حواسه، مسبلاً عينيه كأن علي رأسه الطير، ماحيًا من قلبه الغير، متابعًا شيخه في حركاته وسكناته، موافقًا له ولإخوانه في ذكر الجماعة، عاملاً علي مساواتهم في أصواتهم بطريقة موزونة تجمع القلوب حتي كأنهم صوت واحد، والجهر في حقهم أنفع، ولقلوبهم أجمع، وأشد في التأثير؛ وأعظم في التذكير، لاسيما في القلوب القاسية، وإن من القلوب ما هو كالحجارة أو أشد قسوة ولا ينكسر إلا بالذكر القوي، أما الكل والخواص فالأولي لهم الأسرار.

وعليه أن يعمل بكل ما يأمره به شيخه، وليعلم أن شيخه كالطبيب فلا يقال له لم وليفهم عبارته وإشارته، وليتمسك بعلمه وعمله وطريقته، وليراقبه عند كل إرادة وعمل لأن شيخه يطالبه بما أمر الله وينهاه عن كل ما نهاه، فيجب عليه أن يعرض كل أموره علي شيخه في القرب والبعد لئلا يكون للشيطان عليه سبيل، ولذلك قيل: من لا شيخ له فشيخه الشيطان.

وليرتبط بشيخه ارتباط الحلقة بسلسلتها حتي تبدل أوصافه بأوصافه، وأخلاقه بأخلاقه ويفوز بالوراثة التي جازها شيخه بسر المتابعة، وليتغلغل في مذهبه: قال الإمام

(١) مقصود المؤمنين لبا يزيد الأنصاري ص٣٣٠ ط باكستان.

(٢) الأنوار القدسية للشعراني ج١ ص٣٩.

أبو الحسن الشاذلي ا من لم يتغلغل في مذهبنا مات مصرًا علي الكبائر وهو لم يشعر»(١).

ومنها استيذان الشيخ كما يقول الرافعي:

«لا ينبغي للمريد الذي هو تحت تربية المرشد أن يشتغل بشيء من الأوراد والأدعية إلا إذا أمره به أستاذه»(٢).

وبمناسبة المقام ننقل هنا من الأفلاكي أنه قال: «أنه لا يجوز الاستماع إلي كلام الإمام غير أمامه وإن كان كلامًا واضحًا»(٣).

وأما الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر سابقًا فيقول: «ومن آداب الذكر ألا يتلو وردًا إلا بإذن من شيخه، أو يلقنه إياه، وأن يجلس في الذكر علي هيئة المتشهد، متوضئًا مستقبل القبلة ما أمكن مغمضًا عينيه، وألا يشغل قلبه حال الذكر إلا بالمذكور، وأن يراقب صورة شيخه في جميع عباداته، وأن يستمد بقلبه من شيخه وأن يلاحظ استمداده من شيخه هو الاستمداد من النبي صلى الله عليه وسلم، لأن الشيخ الصادق نائب عنه.

وألا يشرب عقب الذكر مباشرة، ولينتظر قليلاً في مكانه بعد الذكر صامتًا مستحضرًا لتلقي ما يرد عليه من وارد الذكر، وليؤد أوراده كاملة في أوقاتها وإلا حرم المدد وينبغي ألا يتقدم أحد للمريدين في بدء ذكر ولا حزب ولا ورد علي من قدمه شيخهم مادام حاضرًا»(٤).

ويذكر القشيري في بيان آداب الذكر: «المبتدئ في الأحوال يجب أن يسكن حواسه ولا يحرّك جزءًا منه ولا يردد طرفه ولا شيئًا ويكون مراعيًا لهمته ولا يحرك ألبتة جزءًا من نفسه ولا من بدنه ولا من باطنه – إلي أن قال – : كنت أحيانًا في بدو المجاهدة وأحوال الذكر لو استتر مني من في السماء لكان الستر علي أهون من أن أقوم للأكل وأتحرك للوضوء

---

(١) كتاب الاستبصار لأهل الأذكار لأحمد محمود زين الدين الحسيني ص٨٧، ٨٨ ط مطبعة الأنوار القاهرة ١٣٥٩ هـ.

(٢) ترصيع الجواهر المكية للرافعي ص٦٥.

(٣) مناقب العارفين للأفلاكي (فارسي) ج١ ص٢٧١ ط طهران إيران.

(٤) أبو الحسن الشاذلي للدكتور عبد الحليم محمود ص٣٨٧.

والفرض لأنه كان يغيب عن الذكر»[١].

فهذه هي آداب الذكر وطرقه التي تسرّبت من الهنود إلي التصوف، وبذلك صرح المستشرق ماسنيون حيث قال:

«ونجد من ناحية أخري أن بحث المراحل التي أدت إلي إدخال الذكر في طرق الصوفية المحدثين تدلنا علي تسرب بعض طرائق الهنود إلي التصوف الإسلامي»[٢].

ومن شعبذات الذكر الصوفي ما يدّعون أن السيف لا يؤثر في الذاكر الواجد كما يقول القشيري والسهروردي: «يبلغ العبد إلي حدّ لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر».

ومن بدعهم في الذكر ما نقله الشعراني عن محمد الحنفي أنه كان يأمر أصحابه برفع الصوت بالذكر في الأسواق والشوارع... وكان إذا ركب يذكر الله تعالي بين يديه جماعة كطريقة مشائخ العجم، وكان يجعل من خلفه جماعة كذلك يذكرون الله تعالي بالنوبة، فكان الناس إذا سمعوا حسهم من المساجد أو الدور يخرجون ينظرون إليه».

وأحيانًا يذهب الصوفية للذكر إلي مساكن الحيات والعقارب كما يحكي اليافعي عن حامد الأسود أنه قال: «كنت مع إبراهيم الخواص رضي الله تعالي عنه في سفر فجئنا إلي موضع به حيات كثيرة فوضع ركوته وجلس، وجلست، فلما برد الليل وبرد الهواء خرجت الحيات فصحت بالشيخ، فقال: اذكر الله، فذكرت فرجعت، ثم عادت فصحت به، فقال مثل ذلك، فلم أزل إلي الصباح في مثل تلك الحالة، فلما أصبحنا قام ومشي معه، فسقطت من وطائه حية عظيمة قد تطوقت، فقلت: ما أحسست بها؟

قال: لا، منذ زمان ما بتّ أطيب من البارحة.

فهذه هي طرق الذكر وكيفيات تلقينه وآدابه وشروطه وثمراته وبدعه الأخري التي لا نجد ذكر شيء منها في كتاب الله المنزل من السماء ولا في سنة أفضل الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه، إنها عادات وتقاليد وسنن تسرّبت من الحضارة الهندية الغريبة علي الشريعة الإسلامية إلي الملة الصوفية، وقد تلقاها زعماء الصوفية وكبراؤها

(١) رسالة ترتيب السلوك للقشيري ص٧٦، ٧٧.

(٢) التصوف لماسينيون ص٤٩ ط دار الكتاب اللبناني بيروت.

وتغلغلوا فيها واستنوا بها معرضين عما أنزل الله علي رسوله صلى الله عليه وسلم، نسأل الله الرشد والهدي ونعوذ به من أن نضل ونُضل والله الهادي إلي سواء السبيل.

* * *

الباب الخامس
طُرق التصوُف وأعيانها

الرفاعية

من السلاسل المنتشرة في العراق وبلاد الشام وغيرها الرفاعية، نسبة إلي أبي العباس أحمد بن أبي الحسين الرفاعي، منسوب إلي بني رفاعة قبيلة من العرب، كما صرح بذلك الشعراني في طبقاته[١].

ولو أن الرفاعية يدعون نسبته إلي بني فاطمة كعادة الصوفية الآخرين بأن كل جماعة وحزب منهم يريد نسبة شيخهم إلي الأشراف والسادات، فقالوا كما قاله الآخرون:

«أنه سيد حسيني»[٢].

وعدّ مقدم كتابه «المجالس الرفاعية» السيد خاشع الراوي الرفاعي أنه «الإمام الثالث عشر من أئمة أهل البيت سلام الله عليه وعليهم أجمعين[٣].

ولكن المحققين أنكروا عليهم نسبته هذه، ونسبه ذاك.

ولأهل الطريقة القادرية من الصوفية رسائل وكتب، كتبت لبيان أن نسبه إلي الأشراف ليس بصحيح، ولقد ذكر ظهير الدين القادري الحسني الحسيني فصلاً مستقلاً وبابًا خاصًا في كتابه «الفتح المبين فيما يتعلق بترياق المحبين» لبيان هذا[٤].

كما أن الرفاعيين ألّفوا عديدًا من الرسائل والكتب لإثبات نسبته إلي السادات ولكنهم اختلفوا فيما بينهم في أسماء آبائه، وعددهم إلي موسي بن جعفر بن محمد الباقر، وهذا أحد الأدلة لعدم ثبوت النسب، وقد صرح ابن عنبة نسابة الأشراف المشهور في

---

(١) انظر الطبقات الكبري للشعراني ج١ ص١٣٩.

(٢) انظر قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر لمحمد أبي الهدي الرفاعي الخالدي الصيادي ص١٢ وما بعد ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٠م.

(٣) انظر مقدمة المجالس الرفاعية ص٦ مطبعة الإرشاد بغداد.

(٤) الفتح المبين لظهير الدين القادري ص١٠٢ وما بعد ط المطبعة الخيرية القاهرة ١٣٠٦ هـ.

عمدته أن الذي ينسبون إليه الرفاعي ليس بثابت، وأن الرفاعي نفسه لم يدّع ذلك، وهذا نصّه:

«وقد نسب بعضهم الشيخ الجليل سيدي أحمد الرفاعي إلي حسين بن أحمد الأكبر فقال:

هو أحمد بن يحي بن ثابت بن حازم بن علي بن الحسين بن المهدي بن القاسم بن محمد بن الحسين المذكور، ولم يذكر أحد من علماء النسب للحسين ولدًا اسمه محمد، وحكي لي الشيخ النقيب تاج الدين أن سيدي أحمد بن الرفاعي لم يدّع هذا النسب، وإنما أدعاه أولاد أولاده»[1].

وقد ذكر ظهير الدين القادري نقلاً عن العلامة شمس الدين ناصر الدمشقي أنه قال: «إن الرفاعي لم يبلغنا أنه أعقب كما جزم غير واحد من الأئمة المرضية، ولم أعلم له نسبًا صحيحًا إلي علي بن طالب ولا إلي أحد من ذريته الأطايب، وإنما وصل إلينا وساقه الحفاظ وصح لدينا أنه أبو العباس أحمد بن الشيخ أبي الحسن علي بن يحيي بن حازم بن علي بن رفاعة المغربي الأصل البطائحي الرفاعي نسبة إلي جده الأعلي رفاعة، قدم والده أبو الحسن رحمة الله عليه من بلاد المغرب، فسكن البطائح»[2].

فلم يكن إذن عند الرفاعيين شيء لحلّ هذه المعضلة، ورفع هذه المشكلة إلا أن يلتجئوا إلي ما التجأ إليه الآخرون من بني جلدتهم وأهل مشربهم، فقالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي أخبره بصحة نسبه إليه كما يذكر ذلك صاحب القلادة «كيف لا، وقد شهد له نبينا سيد العرب والعجم بصحة الوصلة والنسب، وذلك عام حجه رضي الله عنه حين وقف تجاه الحجرة العطرة النبوية قال: السلام عليك يا جدي، فقال له عليه أفضل صلوات الله:

وعليك السلام يا ولدي[3].

---

(١) عمدة الطالب في أسباب أبي طالب لجمال الدين بن عتبة الحسيني المتوفي ٨٢٨ هـ. ص٢١٣، ٢١٤ ط قم والنجف ١٩٦١ م.

(٢) الفتح المبين لظهير الدين القادري ص١٠٥ ط.

(٣) انظر قلادة الجواهر ص٢٠.

وإنني لأري بأن هذا دليل آخر علي عدم ثبوت النسب وإلاّ لما احتيج لإثباته إلي مثل هذه الحكايات الباردة والروايات المختلقة المخترعة التي هي في احتياج إلي ثبوتها وإثباتها وإقامة البرهان علي تحققها ووقوعها، فالمشتبهات والمظنونات لا يحصل بها اليقين والله أعلم.

وأما عندنا فإن النسب لا يرفع الوضيع ولا يضع الرفيع، فقد قل جلّ وعلا:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾[1].

وقال عز من قائل:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾[2].

وقال عليه الصلاة والسلام:

«**الناس بنو آدم وآدم من تراب**»[3].

وقال في خطبته – أيام التشريق – : «**يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي علي أعجمي، ولا أعجمي علي عربي، ولا لأحمر علي أسود، ولا أسود علي أحمر إلا بالتقوي، أبلغت؟**» قالوا: بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث[4].

ومن المعلوم أن ولد نوح ووالد إبراهيم وزوجي نوح ولوط وعمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينفعهم حسبهم ونسبهم من عذاب الله وبطشه، وقد نفع بلال الحبشي وسلمان الفارسي وصهيب الرومي إيمانهم وعملهم ما لم ينفع أبا لهب وزوجته وهو عم رسول الله أخو والده، وهو الذي قال عليه الصلاة والسلام مخاطبًا عمته صفية وابنته الزهراء زوج علي بن أبي طالب وأمّ الحسين:

«**يا صفية، عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئًا**»، وفي رواية: «**يا فاطمة بنت**

---

(١) سور الحجرات الآية ١٣.

(٢) سورة النساء الآية ١.

(٣) رواه أبو داود والترمذي وغيرهما.

(٤) رواه أحمد.

محمد سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئًا»[١].

فإن الأحساب والأنساب المجردة، لا قيمة لها عند الله، فمدار النجاة ليس إلا علي الإيمان والعمل الصالح ولكننا ذكرنا هذا كله عند ذكر الرفاعي والآخرين لما له أهمية عند القوم، وعلي ذلك يحاولون أن يثبتوا لكلّ كبير لهم نسبه إلي السادة والأشراف، مع تصريح أبي العباس المرسي وهو من كبار المتصوفة، والحائز عندهم مقام القطبية، قال:

«لا يلزم أن يكون القطب شريفًا حسينيًّا، بل قد يكون من غير هذا القبيل»[٢].

وآخر ما نريد أن نثبته في مسألة نسب الرفاعي لطرافته ما ذكره محمد أبو الهدي الرفاعي، فيقول:

وقال رجل موصلي لشيخنا الشيخ عبد الرحمن جمال الدين الحدادي: يا سيدي إني رأيت بعضًا من كتب التاريخ ذكر نسبة الشيخ عبد القادر الجيلاني وسكت عن نسبة السيد أحمد الرفاعي مع أنه عربي الأصل وأشهر منه بالسيادة وقد قال بعض علماء فارس أن الشيخ عبد القادر بشتبري النسب وهكذا يقول بعض أهل بيته فقال شيخنا قدس الله سره اكفف يا ولدي عن الخوض واعلم أن من كتب التاريخ سكت عن نسبة الاثنين إلا أن بعض الصوفية ذكر نسبه الشيخ عبد القادر حرصًا عليه لكيلا يطعن في نسبة من لا علم له لما اشتهر أنه من العجم ولما قيل فيه أنه بشتبري النسب والأصل الصحيح إنما هو رجل فاطمي لا ريب في نسبته إلي الجد الأعظم صلى الله عليه وسلم سكن أجداده فارس إلي زمانه قدس سرّه ورضي الله عنه. وهذا ما يجب علينا اعتقاده فإن الأولياء أعلم منا بالأدب الديني والوجه الشرعي ولو لم تكن نسبته ثابتة الوصول إلي الرسول لما ادعاها قط. وأما ما ذكرته من شهرة السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه بالسيادة وكونه غربي الأصل والمنشأ فهو السبب الذي اعتمد عليه الصوفية وسكت عن ذكر سلسلة نسبه»[٣].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) لطائف المنن لابن عطاء الله الأسكندري ص١٧٩ ط.

(٣) جمهرة الأولياء لأبي الفيض المنوفي الحسيني ج٢ ص ٢٠٦ ط القاهرة، أيضًا قلادة الجواهر لأبي الهدي الرفاعي ص٢٠.

فولد أحمد الرفاعي هذا في «قرية من قري البطائح، يقال لها: أمّ عَبيدة بفتح العين»[١].

والبطائح قري مجتمعة في الماء بين واسطة والبصرة مشهورة بالعراق[٢].

وعليه الأكثر.

وقيل: كانت ولادته بقرية من أعمال البصرة[٣].

وولد سنة ٥٠٠ من الهجرة على قول الأكثر[٤].

وولد سنة ٥٠٠ في شهر رجب[٥].

وكان أبوه علي بن أحمد قد نزل البطائح من المغرب، وتزوّج بأخت الشيخ منصور الزاهد وعلي ذلك كان يقال له المغربي أيضًا[٦].

وقيل: إن الرفاعي هذا ولد بعد وفاة أبيه بأشهر[٧].

وقيل: بل ولد في حياته في بغداد سنة ٥١٩هـ وكان عمر أحمد الرفاعي آنذاك سبع سنين، وبعدئذ نقله خاله الشيخ المنصور البطائحي هو وإخوته وأمّه فاطمة إلي قريته[٨].

فنشأ هناك وتربّي في بيت خاله الذي كان يعدّ من كبار المتصوفة وصاحب المشيخة هناك، فبعد وفاته سنة ٥٤٠هـ أخذ مشيخته وقام مقامة.

---

(١) طبقات الأولياء لابن الملقن ص٩٤، ٩٥ ط.

(٢) قلادة الجواهر ص٣٢، أيضًا دائرة المعارف الإسلامية مقال مارجليوت ج١٠ ص٣١٦ ط جامعة بنجاب لاهور باكستان.

(٣) قلادة الجواهر ص ٣٢، أيضًا دائرة المعارف الإسلامية مقال مارجليوت ج١٠ ص٣١٦ ط جامعة بنجاب لاهور باكستان.

(٤) انظر طبقات الأولياء لابن الملقن ص٩٣، شذرات الذهب ج٤ ص٢٥٩، العبر في خبر من غبر للحافظ الذهبي ج٣ ص٧٥.

(٥) قلادة الجواهر ص٣٢ ، دائرة المعارف الإسلامية ج١٠ ص٣١٦.

(٦) العبر ج٣ ص ٦٩.

(٧) قلادة الجواهر ص ٣٢.

(٨) انظر ترجمة الرفاعي في المجالس الرفاعية مقدمة الكتاب ص٢٠، أيضًا قلادة الجواهر، كذلك دائرة المعارف ص١٦.

ولقد حكي الرفاعيون حكايات عديدة، وأحاطوه بأساطير طريفة منذ ولادته وطفولته، بل وما قبل الولادة وبعدها كعادتهم والآخرين منهم، حكايات تنبئ وتخبر بأصالة الاختلاق والاختراع والزور والكذب حيث أنها واحدة في معناها ومغذاها لكل واحد من كبارهم مع تعدد الأشخاص وتنوّع البيئات واختلاف الزمان والمكان.

فمثلاً يقول محمد أبو الهدي الرفاعي في قلادته:

«ولد (أحمد الرفاعي) في شهر رجب... وكان يشرب اللبن إلي أن قدم رمضان، فتقّيد عن شرب اللبن نهارًا إلي أن جاء العيد فشرب اللبن»(١).

وهذا عين ما يحكيه القادريون عن الشيخ عبد القادر الجيلاني، وغيرهم عن غيره(٢).

وأيضًا ما يروون عنه أنه كان يتكلّم وهو في المهد صبيًّا، وقد تكلّم يوم ولادته(٣).

وكذلك ما يروون عن البشائر التي سبقت ولادته، منها ما اختلقه منصور البطائحي حيث قال:

«رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول: يا منصور أبشّرك أن الله تعالي يعطي إلي أختك بعد أربعين يومًا ولدًا يكون اسمه أحمد الرفاعي، مثل ما أنا رأس الأنبياء كذلك هو رأس الأولياء»(٤).

وأيضًا: «هو ذا يظهر في أمّ عبيدة وتشدّ إليه الرحال، وتتحير فيه أهل الأحوال، وتذلّ له رقاب الرجال، يتعجب من طريقته، وإنه صاحب شأن عظيم ومحلّ جسيم، وهو آخر القوم مشربًا وأولهم قدمًا... وهو رجل عظيم المنزلة عند الله، فإذا هو ظهر غلّق أبواب جميع المشايخ والصالحين، يظهر عن قريب، وله سرّ عجيب، وسير غريب، ويصير الوقت له ولأهله وتهكمه وتصرفه، يصل إلي مرتبة عظيمة، يضرب دأبه إلي

---

(١) قلادة الجواهر ص ٣٢.

(٢) الفتح المبين ص٥.

(٣) قلادة الجواهر ص ٣٠.

(٤) أيضًا ص ٢٩.

الذراري في ظهور الرجال، يسلك طريقًا لم يسلكها أحد قبله ولا بعده»[١].

ولما ولد هذا واطلع علي مقامه وشأنه الشيخ منصور البطائحي أخذته الغيرة، فأنّب من قبل الله تبارك وتعالي - عياذًا بالله من نقل مثل هذه الخرافات ولا يؤاخذنا الله عليها - كما ذكر قاسم بن الحاج في كتابه «أم البراهين»:

إن الشيخ منصور البطايحي الرباني رضي الله عنه لما أخذته الغيرة حالة اطلاعه علي مقام سيدنا السيد أحمد الكبير رضي الله عنه نودي من العلا أي منصور تأدب هذا السيد أحمد حبيبنا نظهره علي غوامض غيوبنا أي منصور هذا السيد أحمد نائب الدولة المحمدية وعروس المملكة المصطفوية وهو شيخ جميع الأمة الأحمدية وشيخك، فقل: نعم، قلت: نعم، فقال: نحن نتصرف بملكنا كما نشاء، فقلت: نعم نعم، ثم أتي حملت الغاشبة يديه وأخذت العهد علي يديه فأنا شيخه بالخرقة وهو شيخي بالخلق والخلقة كان سيدي الشيخ منصور قدس الله روحه ذات يوم جالسًا والفقراء حوله وهو يحدثهم ويرغبهم بمواهب الله وإذا به قد نهض قائمًا علي قدميه وصاح بأعلي صوته وأشار بيده إلي جهة الأرض ووقع مغشيًا عليه فبقي ما شاء الله فلما أفاق لزمه الفقراء وأقسموا عليه بالعزيز سبحانه وسألوه أن يخبرهم ما سبب صُراخه وقيامه ونداه، فقال لهم: سألتموني عن أمر عظيم.

اعلموا أن الله تعالي قد ألحق بالشيخ الكبير السيد أحمد ابن ابن خالي مشارق الأرض ومغاربها من أربع جهاتها، وإن الأمر يصير إليه، وحكم الخلق كلهم بيديه، ويكون هو الشيخ المعول عليه[٢].

فهذه هي حكايات القوم في طفولته وصغره وقبل ولادته، تشبه حكايات الآخرين تمامًا ولو حذفت الأسماء فإنما هي بعينها بدون أدني فارق.

ولما كبر فكان ما كان:

«كان قطب الأقطاب في الأرض، ثم انتقل إلي قطبية السموات، ثم صارت

---

(١) انظر قلادة الجواهر ص ١٣١ وما بعد.

(٢) البراهين لابن الحاج نقلاً عن القلادة ص٣٣ ، ٣٤.

السموات السبع في رجله كالخلخال»(١).

و«ختم الله به الولاية كما ختم بمحمد النبوة»(٢).

ويروون عنه أنه كان يعظ «وكان يسمع صوته البعيد من مجلسه كالقريب، ويحضر مجلسه الأصمّ الذي لا يسمع فيفتح الله سمعه بكلامه»(٣).

وحتي أن أهل القري التي حول أمّ عبيدة كانوا يجلسون علي سطوحهم فيسمعون صوته، ويعرفون جميع ما يتحدّث به(٤).

«وكان أشياخ الطريقة يحضرونه ويسمعون كلامه، وكان أحدهم يبسط حجره، فإذا فرغ سيدي أحمد رضي الله عنه ضموا حجورهم إلي صدورهم، وقصّوا الحديث إذا رجعوا إلي أصحابهم علي جليته»(٥).

و«كان إذا طلب منه أحد أن يكتب له عوذة ولم يكن عنده مداد يأخذ الورقة ويكتب عليها بغير مداد»(٦).

ومن أكاذيب الرفاعية في الرفاعي ما نقلوه عن أحد أصحاب الرفاعي أنه قال:

«كنت في بيتي ليلة من الليالي إذ ناداني السيد أحمد الرفاعي. فقمت مبادرًا وجئت إليه وقبلت يده وسئلته عن حاجته فأخذ بيدي وخرجنا من الرواق حتي وصلنا إلي بستان يعرف بالقثوري وهو مكان خالي فوق أم عبيدة ما فيه شيء يستظل به قال أي سعيد قف هنا حتي أرجع فوقفت مكاني حتي مضي من الليل شطر وهو لم يرجع فمشيت علي أثره لأعرف خبره فإذا أنا بثيابه ملقاة علي الأرض وعلي جانبه ماء يبرق كالنجم فجعلت أطوف يمينًا وشمالاً فلم أجده فرجعت إلي موضعي وأنا مرعوب من ذلك إذ هو أقبل علي وأنواره تشرق، فقلت له: ما رأيت وأقسمت عليه بالعزيز سبحانه

(١) طبقات الشعراني ج١ ص ١٤١، قلادة الجواهر ص٤٢.

(٢) أيضًا ص٤٦.

(٣) طبقات الأولياء لابن الملقن ص٦٩.

(٤) جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج١ ص ٢٩٧.

(٥) الطبقات الكبري للشعراني ج١ ص ١٤١.

(٦) جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج١ ص٢٩٧ ط دار صادر بيروت.

وبالمصطفي صلى الله عليه وسلم فاستخبرته عن ذلك، فقال: أي ولدي أنا كنت ذلك الماء الذي رأيته نظرني سبحانه بعين القدر فذبت كما يذوب الرصاص فصرت كما رأيت ماء ثم نظرني بعين اللطف فصيرني كما تري بشرًا سويًا»(١).

وكان يقول:

«صحبت ثلاثمائة ألف أمة ممن يأكل ويشرب ويروث وينكح ولا يكمل الرجل عندنا حتي يصحب هذا العدد ويعرف كلامهم وصفاتهم وأسمائهم وأرزاقهم وآجالهم، قال يعقوب الخادم: فقلت له: يا سيدي إن المفسرين ذكروا إن عدد الأمم ثمانون ألف أمة فقط، فقال: ذلك مبلغهم من العلم، فقلت له: هذا عجب، فقال: وأزيدك أنه لا تستقر نطفة في فرج إنثي إلا ينظر ذلك الرجل إليها ويعلم بها، قال يعقوب الخادم: فقلت له: يا سيدي هذه صفات الرب جلا وعلا، فقال: يا يعقوب استغفر الله تعالي، فإن الله تعالي إذا أحب عبدًا صرّفه في جميع مملكته وأطلعه علي ما شاء من علوم الغيب»(٢).

وكان يعقوب الخادم علي حق حيث عدّ هذه الأوصاف من صفات الرب وهو الذي قال جلّ سبحانه تعالي في كتابه المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، قال فيه:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾(٣).

وكان يملك الموت والحياة كما ذكر ذلك عنه ابن الملقن:

«ورآه ابن أخته عبد الرحيم أبو الفرج، ورجل قد نزل عليه، فقال له: مرحبًا بوتد المشرق، فقال له: إن لي عشرين يومًا لم آكل ولم أشرب، وأريد أن آمر هذا الأوز الذي في السماء، فتنزل واحدة مشوية، ففعل، فنزلت كذلك، ثم أخذ حجرين من جانبه فصارا

---

(١) قلادة الجواهر ص ٨١.

(٢) أيضًا ص ٦٨.

(٣) سورة لقمان الآية ٣٤.

رغيفين، ثم مدّ يده إلي الهواء فأخذ كوز ماء، فأكل ذلك وشرب ثم طار، فقال الشيخ لتلك العظام: اذهبي باسم الله، فذهبت سوية وطارت»[١].

ورواية أخري رواها محمد أبو الهدي في قلادته نقلاً عن أمّ البراهين:

«وذكر الشيخ شمس الدين محمد بن عثمان أنه خرج مع الشيخ الكبير السيد أحمد ذات يوم إلي الصحراء فبينما هما سائران في الصحراء إذا رأوا أسدًا كاسرًا مفترسًا لشاب. وقد خلع كتفه من جسده ومكث يأكله فزجره الشيخ الكبير السيد أحمد زجرًا شديدًا وقال له: أي خلق الله ما نهيتكم عن أذية الخلق الذين يمرون ببلادنا فنطق السبع وأتي إلي حضرة الشيخ مسلمًا عليه بلسان عربي فصيح فقال له: أي سيد السادات وصاحب الجود والكرامات لي سبعة أيام ما أكلت شيئًا وأنا دائر علي ولدي فما وجدته. وهذا الشاب قد أرسله الله إلي رزقًا مقسومًا بسبب غضب والدته عليه. فأنتم تريدون قطع نصيبي من ذلك الأمر إلي الله ثم إليكم. فلما سمع كلامه لم يعبأ به بل التفت إليه بنظر الغضب والجلال فوقع السبع ميتًا لوقته في الحال فأخذ ذراع الرجل ووضعه في مكانه. وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، ومسح عليه بيده المباركة فعاد كما كان أولا بل أشدّ وأقوي. وقال الشيخ للشاب: ما اسمك قال اسمي داود بن إبراهيم فقال له الشيخ: أي داود أسلخ غريمك فسلخه وأخذ الجلد ومضي إلي والدته وخبرها بالقصة»[٢].

وابن الملقن كذلك ذكر عن أبي عبد الله محمد البطائحي: «انحدرت في أيام سيدي عبد القادر إلي أم عبيدة، فقال لي الشيخ أحمد: اذكر لي شيئًا من مناقب الشيخ عبد القادر وصفاته، فذكرت منها شيئًا، فجاء رجل في أثناء حديثي فقال: مه، لا يذكر عندنا مناقب غير هذا، فنظر الشيخ إليه مغضبًا، فرفع الرجل من بين يديه ميتًا»[٣].

هذا وكان يملك الجنة والنار أيضًا كما يذكرون عنه أن شخصًا من أصحابه تمنّي عتق من النار ينزل من السماء «فسقط منها ورقة بيضاء، فلم ير فيها كتابة فأتي إلي

---

(١) طبقات الأولياء لابن الملقن ص٩٩ مكتبة الخانجي القاهرة ١٣٩٣ هـ.
(٢) قلادة الجواهر ص ٩١.
(٣) طبقات الأولياء لابن الملقن ص١٠٠.

الرفاعي فلم يخبره بالقصة، فنظر إليها ثم خرّ ساجدًا وقال:

الحمد لله الذي آراني عتق أصحابي من النار في الدنيا قبل الآخرة، فقيل له: هذه بيضاء، فقال: أي أولادي، يد القدرة لا تكتب بسواد، وهذه مكتوبة بالنور»[١].

هذا ولقد باع علي واحد من مريديه، واسمه: إسماعيل بن عبد المنعم، قصرًا في الجنة تجمعه حدود أربعة: الأولي إلي جنة عدن، والثاني إلي جنة المأوي، والثالث إلي جنة الخلد، والرابع إلي جنة الفردوس بجميع صوره وولدانه وفرشه وستره وأنهاره وأحجاره عوض بستانه[٢].

ولقد ذكرنا هذه الحكاية مفصلاً في باب «أولياء أم آلهة» فليراجع إليه للتفصيل.

وكان يقول كما ينقلون عنه:

وأحمي مريدي علي كل حالة ... وأدخلهم دار النعيم أمامي

فمن كان منّا أو يلوذ ببابنا ... غدا يوم القرب تحت خيامي

وأحميهم مما يختشي يوم خوفه ... وفي معظم الحالات عنه أحامي[٣]

وقال أحد أصحابه:

«لا يكون الرجل ممكنًا في سائر أحواله حتي يعرض عليه عند غروب الشمس جميع آمال أصحابه وأتباعه وتلامذته بالقرب والبعد، فيمحو منها ما يشاء، ويثبت ما يشاء... لا يكون الشيخ شيخًا كاملاً في سائر أموره وأحواله وأقواله وأفعاله، ولا يصلح له الجلوس في المخدة حتي يحضر عند تلميذه في أربع مواضع:

عند خروج روحه من جسده، وعند مسألة منكر ونكير له، وعند جوازه علي الصراط، وعند الميزان[٤].

وكان يقول: «خذ من مجلسي حصة من الفضل الإلهي، والمنح النبوي، كلّ من

---

(١) جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج١ ص٢٩٨.

(٢) انظر قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر ص٧١.

(٣) أيضًا ص ٢٣٥.

(٤) قلادة الجواهر ص ١٩٣.

أظلته الخضراء وأقلته الغبراء، اليوم محتاج لأخذ هذه الحصة من هذا المجلس، سل أهل الذوق، سل أهل الشوق، سل الأقطاب، سل الأفراد، سل الأوتاد، ختمت بي هذه التوبة الجامعة المحمدية»[١].

ونقلوا عنه هذه الأبيات:

وطاولت أعلام الرجال ولم أزل | أطول إلي أن جزت من حضرة الرب
وفقت كبار القوم في كل مذهب | وسرت بلا ثان إلي مذهب الحبّ
وصرت فريدًا في بني الحب كلهم | وجاءوا الحاني يطلبوا السكر من شربي
وهاموا بكأسي قبل شرب الذي به | ونالوا الشفا من صرعه الهجر في طبي
أنا القطب والغوث الكبير الذي علي | قباب زوياتي بدا النور من ربي
أشاهد معني الكل في كلّ مشهد | وانظر من معني حقيقتها سلبي
فمن عينها عيني ومن سرّ رمزها | عرفت بأن الكلّ من سرها وهبي[٢]

وأيضًا:

رفعت رايتي علي الأعلام | وصفا الوقت بل وراق مدامي
وخيولي تدور في كل أرض | ثم في كل بلدة ومقام
وطبولي دقّت وموكب عزّي | في سرور علي مدي الأيام
أنا قطب في مركز الفصل قدري | وعلي هامة الهلال خيامي
فجميع الرجال في باب عزّي | يطلبون العطاء من إكرامي
شهرتي في السماء والأرض دارت | وافتخاري يزيد في كل عام[٣]

وكان يقول:

كل شيخ لم يحضر تلميذه عند الموت فليس هو عندنا برجل، وكل شيخ ينكشف تلميذه خلف القاف في ظلمة الليل ولايمدّ يده يغطيه فما هو عندنا برجل، وكلّ شيخ

---

(١) المجالس الرفاعية لأحمد الرفاعي ص ١٠١ الطبعة الأولي مطبعة الإرشاد بغداد ١٩٧١م.
(٢) قلادة الجواهر ص ٢٣٥.
(٣) أيضًا ص ٢٣٤، ٢٣٥.

لا يغير صفات تلميذه ويكتب الشقي سعيدًا فما هو عندنا برجل، وكل شيخ لا يراعي تلميذه في القرب والبعد في حال حياته وبعد مماته فليس هو عندنا برجل[١].

وكان يقول:

«وحق العزيز سبحانه وتعالي، قبض العزيز جل جلاله من نور وجهه قبضة، فخلق منها سيدنا المصطفي صلى الله عليه وسلم فرشحت، فخلقني منها... وإني لما دعيت إلي هذا الأمر حملت إلي قبلة هذا البلد، وشق صدري ملك من الملائكة المقربين فأخرج منه شيئًا مظلمًا وغسّله بماء الحيوان من الرياء وسؤ الخلق وكل ما كان للشيطان فيه نصيب، كل ذلك وأنا أنظر بعيني كما فعل برسول الله صلى الله عليه وسلم»[٢].

انظر الجرأة وسوء الأدب في حضرة النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه كيف يشبّهون متصوفهم مع الذي يصدق فيه قول الشاعر:

مضت الدهور وما أتين بمثله ... ولقد أتي فعجزن عن نظرائه

لكن هو الذي ينقلون عنه أنه قال:

«الشيخ في قومه كالنبي في أمته»[٣].

ولذلك كانوا يجتزون علي هذ المقولة:

«وكان حاله طبق حال رسول الله، وأوصافه موافقة في كل الشؤونات لأوصاف حبيب الله. وقد جرت عليه أحكام المطابقة الاضطرارية كموت أبيه قبل أمه وهو حمل. وبعضهم قال وهو في المهد. وكتسميته بلا سعي منه أحمد وكشأنه في البطاح العربية وكولادته في قرية حسن وإقامته بأم عبيدة بلدة جده وموته فيها وبينهما كما بين مكة والمدينة وكظهوره بين عرب جفاة وكبروزه في حالة مظهريته فقيرًا وكموت أولاده الذكور قبله وكحصول الذرية له من بنتيه الكريمتين ومن صلبي ولدي ابن عمه سيف الدين وعثمان كما سيأتي ذكره مفصلاً وغير ذلك وكإقبال العامة الفقراء عليه وكتحمله

(١) أيضًا ص ٩٤.
(٢) القلادة لأبي الهدي الرفاعي ص١٤١.
(٣) قلادة الجواهر لأبي الهدي الرفاعي ص١٦٥.

وحلمه وسعة صدره وسخاوته وكقوة عزمه في الله وكعلوية همته علي الملوك والخلفاء وعدم التردد إليهم وكتواضعه للفقراء واشتغاله بخدمة الأرامل والأيتام وضعاف الناس وفقراء النصاري واليهود ومحتاجيهم وبذاك أسلم علي يديه منهم خلق لا يحصي عددهم وككثرة وقوع الإرشاد علي يديه وكتمكنه في مرتبة عبادته وعبوديته من غير ملل ولا كسل ولا استفزه حال ظهوره قط وكعدم جلوسه علي سجادة وجلوسه مع إخوانه كأحدهم وكثرة صبره علي أذية قومه وعشيرته حتي أرشدهم الله علي يديه وكحسن معاشرته ولطف طبعه وصفاء سريرته وعذوبة لفظه»[١].

وعلي ذلك يقولون بأنه لما ذهب إلي الحج عام ٥٥٥هـ ووصل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم: «وقف تجاه حجرة النبي عليه الصلاة والسلام، وقال علي رءوس الأشهاد: السلام عليك يا جدي، فقال له عليه الصلاة والسلام: وعليك السلام يا ولدي، سمع ذلك كل من في المسجد النبوي، فتواجد سيدنا السيد أحمد وأرعد واصفر لونه، وجثا علي ركبتيه ثم قام وبكي وأنّ طويلاً وقال يا جداه:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها ... تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت ... فامدد يمينك كي تحظي بها شفتي

فمد له رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الشريفة العطرة من قبره الأزهر المكرم فقبلها في ملاء يقرب من تسعين ألف رجل. والناس ينظرون اليد الشريفة. وكان في المسجد مع الحجاج الشيخ حياة بن قيس الحرابي والشيخ عبد القادر الجيلي المقيم ببغداد والشيخ خميس والشيخ عدي بن مسافر الشامي وغيرهم»[٢].

ثم قالوا:

«وإنكار هذه الكرامة كفر»[٣].

---

(١) أيضًا ص ١٣٣.

(٢) جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج١ ص٢٩٨، القلادة ص١٠٨، ١٠٩ واللفظ له، المجالس الرفاعية مقدمة ص٢٦، ٢٧ وغيرها من الكتب.

(٣) قلادة الجواهر ص١٠٤، المجالس الرفاعية مقدمة ص٢٧.

فانظر جرأة هؤلاء القوم على الكذب، ثم الإصرار عليه ونسج هذه العبارة وذكر ذلك العدد الضخم أي تسعين ألفًا من الناس:

مع العلم بالبداهة بأن هذا العدد الضخم لا يمكن وقوفهم أمام الحجرة الشريفة، ولا يسعهم المكان في وقت واحد، ورؤيتهم وسماعهم لو وقع في تلك الجهة وفي ذلك المكان، ثم سردهم هذه الأسماء بكل وقاحة مع أنه لو وقع هذا كله أمامهم لملأوا الدنيا بذكره، وكتبهم بحكايته.

وأيضًا ذلك الجمع الحاشد لو رأوا هذا الأمر وسمعوه لساروا بذكره ومشوا بروايته، وكل هذا لم يحدث ولم يذكر في كتاب من كتب ذلك المكان في التاريخ والسير والطبقات اللهم إلا كتب المتصوفة، والمتصوفة الرفاعيين بالذات، حتي كتب الطبقات الصوفية أيضًا خالية بذكرها أيضًا، وكذلك الكتب التي تذكر الرفاعية بالخير والثناء والمدح فيهم، كما لا يوجد في كتب الشيخ الجيلاني إشارة إلي هذا ولا اسم ولا رسم، وقد قيل قديمًا:

«إذا لم تستحي فاصنع ما شئت»[1].

ولم يكتفوا بهذه الأكذوبة إلا وأضافوا إليها أخري حيث قالوا:

أنه حجّ مرة ثانية وذلك في العام الذي توفّي فيه وزار قبره صلى الله عليه وسلم الذي هو أفضل من الجنة، بل العرش والكرسي.

ولما وقف تجاه القبر الشريف يريد الوداع أنشد قائلاً:

إن قيـــل زرتـــم بـــما رجعـــتم يـــا أشرف الرســـل مـــا تقـــول

فخرج صوت من القبر الشريف، سمعه كل من حضر في الروض المعطر وهو يقول:

قولـــوا رجعنـــا بكـــل خـــير واجتمـــع الفـــرع والأصـــول[2]

هذا من ناحية.

(١) رواه البخاري ومالك في الموطأ.

(٢) قلادة الجواهر ص ١٠٤.

ومن ناحية أخري يذكرون عنه بأنه دخل المطبخ في ليلة من الليالي، فرأي كلابًا يأكلون من القوصرة وهم يتخارشون، فوقف ﷺ علي الباب يحفظهم لئلا يدخل عليهم أحد يؤذيهم وهو يقول لهم: أي مباركين، كلوا واسكتوا ولا تتخارشوا لئلا يعلم بكم أحد فتمنعون... وكان يدور وراء الكلاب المدودين ليداويهم، فربما هرب منه الكلب يمشي وراءه ويتعطف بخاطره ويقول:

«أي مبارك، إنما أريد مداواتك»(١).

هذا وقد ذكرنا فيما سبق أنه كان يسلّم علي الكلاب وغيرها من الحيوانات وإذا رأي خنزيرًا يقول له: «أنعم صباحًا»(٢).

وذكروا عنه أشياء أخري في تلك التفاهة، منها «كان إذا نامت علي كمّه هرة وجاء وقت الصلاة كمّه من تحتها ولا يوقظها، فإذا جاء من الصلاة أخذ كمّه وخاطه ببعضه»(٣).

ومنها أن زوجته أعدّت له يومًا هريسة وقدّمته إليه، فقام يصلي ركعتين شكرًا لله تعالي، فبينما هو قائم يصلي إذا جاءت فأرة تدور حول الهريسة وتشتهي، فنهضت عليها هرة وقطعت رأسها، فلما فرغ من صلاته بكي، ثم نحّي الهريسة عنه، فقالت له زوجته: أي سيدي لم نحيته عنك؟

فقال: أي بنت الصالح، ما تقطع فيه الرءوس لا تشتهيه النفوس(٤).

إلي مثل ذلك من القصص التافهة الكثيرة، نعرض عن ذكرها تجنّبًا عن الإطالة.

وينقلون عنه أن بعض أصحابه رآه في المنام في مقعد صدق مرارًا ولم يخبره، وكان للشيخ امرأة بذية اللسان تسفّه عليه وتؤذيه، فدخل عليه الذي رآه في مقعد صدق يومًا، فوجد بيد امرأته محراك التنور وهي تضربه علي أكتافه، فاسود ثوبه وهو ساكت،

---

(١) أيضًا ص ٦٣.

(٢) انظر طبقات الشعراني ج١ ص١٤٢.

(٣) طبقات الشعراني ج١ ص١٤٢، قلادة الجواهر ص٦٢.

(٤) قلادة الجواهر ص ٦٢.

فانزعج الرجل وخرج من عنده، فاجتمع مع أصحاب الشيخ وقال لهم: يا قوم، يجري علي الشيخ من هذه المرأة هذا وأنتم سكوت؟

فقال بعضهم: مهرها خمسمائة دينار وهو فقير، فمضي الرجل وجمع الخمسمائة دينار وجاء بها إلي الشيخ في صينية فوضعها بين يديه، فقال له: ما هذا؟

فقال: مهر الشقيقة التي فعلت بك كذا وكذا، فتبسم وقال:

لولا صبري علي ضربها ولسانها ما رأيتني في مقعد صدق(١).

ومات بمرض بالبطن فكان يخرج منه كل يوم ما شاء الله، فمات سنة ٥٧٠هـ علي قول الشعراني في طبقاته(٢).

وسنة ٥٧٨هـ على قول الأكثر (٣).

وكان يردد قبل وفاته هذه الأبيات:

إذا جنّ ليلي هام قلبي بذكركم ... أنوح كما ناح الحمام المطوّق
وفوقي سحاب يمطر الهم والأسي ... وتحتي بحار بالأسي تتدفق
سلوا أمّ عمر وكيف بات أسيرها ... تفُكُّ الأساري دونه وهو موثق
فلا هو مقتول ففي القتل راحة ... ولا هو ممنون عليه فيطلق(٤)

تزوج الرفاعي بعديد من النساء ولم يعقب.

فخلفه علي مشيخة الرفاعية علي بن عثمان الذي كان يقول:

«من كان له منكم حاجة فليلزمني بها، ومن شكي من سلطانه أو من شيطانه أو زوجته أو دابته أو زرضه إن كانت لا تنبت أو نخلة له لا تثمر فليلزمني بها فإني مجيب له، ودركه علي»(٥).

---

(١) جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج١ ص٢٩٨.
(٢) انظر الطبقات الكبري ج١ ص ١٤٤.
(٣) انظر جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج١ ص٢٩٨ مقدمة المجالس الرفاعية ص٢٣٥، شذرات الذهب ج٤ ص ٢٥٩ العبر ج٣ ص٧٥.
(٤) وفيات الأعيان لابن خلكان ج١ ص١٧٢.
(٥) قلادة الجواهر ص ٣٢٣.

ونقل منه تفسير باطني مثل تفسيره قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ فقال: الملك هو الله عز وجل، والقرية قلبك، فسد المنزل علي المتوطنين وأزعجهم، والمراد بالمتوطنين الرياء والنفاق وسوء الخلق والتزوير والبهتان والفساد والطغيان وكل ما هو خلاف رضاء الرحمن، والمراد بأعزّة تلك الشياطين فيذلّهم ويهينهم»[١].

ومات سنة ٥٨٤هـ.

فخلف بعده عبد الرحيم بن عثمان ومات سنة ٦٠٤هـ.

ثم خلفهم إبراهيم الأعظم والذي يقولون فيه:

«هو أحد من أظهره الله تعالي إلي الوجود، وصرفه في الكون، وخرق له العادات، وأظهر علي يديه الخارقات، وأنطقه بالمغيبات، وأجري علي لسانه الحكم، ومكنه من أحوال النهاية وملكه أسرار الولاية، ونصبه قدوة وحجة، وهو أحد أركان هذه الشأن، وإمام أئمة ساداته، وأعلم العلماء بأحكامه وأولي الأيدي والأبصار بمناهجه علمًا وعملاً وزهدًا وتحقيقًا ورياسة وجلالة»[٢].

ثم الآخرون، وقد ذكر معظمهم محمد أبو الهدي الرفاعي[٣].

وبعدئذ تعلموا السحر كما قال الإمام الذهبي:

«ولكن أصحابه فيهم الجيد والرديء، وقد كثر الزغل فيهم وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أخذت التتار العراق من دخول النيران وركوب السباع واللعب بالحيات»[٤].

وقال ابن خلكان:

«ولأتباعه أحوال عجيبة من أكل الحيات وهي حية، والنزول إلي التنانير وهي

---

(١) أيضًا من ٣٢٥، ٣٢٦.

(٢) أيضًا ص ٣٣١.

(٣) من أراد التفصيل فليراجع إلي ذلك.

(٤) انظر العبر للذهبي ج٣ ص٧٥.

تضطرم من النار فيطفؤونها ويقال: إن في بلادهم يركبون الأسود»[١].

ولقد أقرّ بذلك محمد أبو الهدي من الرفاعية، والنبهاني من الصوفية وغيرهم.

كما ذكر كل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في فتاواه، واستنكر عليهم أعمالهم هذه، ونسبها إلي الشيطان، لا إلي الرحمان، كما ذكر مناظرته معهم، وتحدّيه بدخوله النار معهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حيي عن بينة[٢].

وقد حدث لنا شخصيًّا سنة ١٩٦٥م في مدينة سامراء المليئة بالرفاعيين في بيت أحد السادة الأشراف مثل ما حدث لشيخ الإسلام بعد ما كان سؤالي علي أحد زعمائهم في تلك المدينة «إن كان السلاح والرماح والسكاكين لا تؤثر فيكم فلماذا لا تذهبون إلي جهة القتال، والعراق في أشدّ الحاجة وأمسها إلي أمثال هؤلاء الذين لا يؤثر فيهم الرصاص وغيرها من الأشياء»، كما نازلته وتحدّيته بأنه لو أعطي المسّدس في يدي وأطلق الرصاص بنفسي فآنذاك أري بأنه يؤثر أو لا يؤثر، فلم يسعه إلا الفرار والإنكار، وذلك القول الذي قالوه أمام شيخ الإسلام بأن هذه الكرامات لا تظهر أمام المنكرين، وعبارة صحيحة وصريحة منقولة بالأمانة العلمية التي قالها آنذاك «أمام الوهابيين».

ونريد أن نذكر أخيرًا أن الإتيان بمثل هذه الأمور ليست بخاصة بالرفاعية بل رأينا مثلها وشاهدناها بأنفسنا في بلادنا من الآخرين، سواء من الذين ينتمون إلي الإسلام انتماء محضًا، ومن الهنادكة والمشركين أيضًا.

وأما ما ذكره محمد فريد وجدي في دائرته تحت ذكر الرفاعي فهو عدل وصدق، فنريد أن نثبته هنا، فيقول:

«أما ما يروي عن أتباعه من أكل النار والجلوس عليها وغير ذلك فيظهر أنه صحيح وهو أثر من آثار سلطة الروح علي الجسم وإشراقها عليه بسلطانها حين يدخل الإنسان في حالة غير اعتيادية سواء أكانت بالذكر أم بالتنويم المغناطيسي. وقد روت

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ج١ ص١٧٢.

(٢) انظر لذلك فتاوي شيخ الإسلام ج١١ ص ٤٥٥ أيضًا الرسائل والمسائل لشيخ الإسلام ج١ ص١٤١ ط دار الكتب العلمية بيروت.

مجلة المجلات الفرنسية عن الأستاذ الإنجليزي الكيماوي كروكس رئيس الجمعية الملكية العلمية الإنجليزية سابقًا أنه وضع جذوة نار في يد فتاة نومها نومًا مغناطيسيًّا فلم تتأثر بها مطلقًا فأعلن الأستاذ الموما إليه عن هذه الحادثة وأعقب إعلانه بقوله أنه بأعتباره كيماويًّا ولا يعرف أي مادة كيماوية تحمي الجلد من الاحتراق مطلقًا.

وقد كتبت مجلة المجلات الفرنسية سنة (١٩٨٦)م فصلاً تحت عنوان (الكهان الذين لا يحترقون) أثبتت فيه أن لدي الوثنيين من سكان جزائر فيجي وغيرها حوادث من هذا القبيل فيدخل كهانهم إلي النيران المستعرة بدون أن يمسهم ضرر وقد حصل ذلك بمرأي من بعض علماء أوروبا. وقد جاء في المجلة الروحية في عدد يونيو من سنة (١٩٠٠)م أن الكاتب المشهور أندرولنج قام في جميعة العلوم النفسية بلوندرة وتلا فصلاً أثبت فيه هذه المسئلة بلك وضوح وأبان أنها حصلت في كل زمان ومكان. وقد كتبت مجلة (جورنال الجمعية البولينزية) تحت إمضاء أحد الضباط الإنجليز حادثة رآها بنفسه قال ما ملخصه: أشعلوا التنور في الصباح وفي الساعة الثانية بعد الظهر سرنا إليه وانتظمنا حوله فجاء الكاهن وتلامذته فتلا ألفاظًا طلسمية ثم مشوا بأرجلهم حفاة علي أحجار قد سخنوها لدرجة البياض ثم جاء الكاهن إلي المستر (جودوين) وقال له: قد وهبتك المقدرة علي اقتحام النار فاقتحمنا جميعًا وكنا أربعة أوربيين. أنا والدكتور (وجريج) والدكتور (جورج جريج) والمستر (جودين) فلم تؤثر النار علي أقدامنا أصلاً ولكن عصي أحدنا أمر الكاهن فنظر خلفه فاحترقت قدماه احتراقًا مرًّا.

ونقل المستر أندرولنج المتقدم ذكره في الجلسة ذاتها أن الدكتور (هوكن) العضو في جمعية النباتات قد رأي مثل ذلك في جزيرة فيجي، قال ما ملخصه: «أنه رأي أنهم أوقدوا تنورًا لدرجة (٢٨٢) من مقياس فرانهيت فجاء سبعة كهان بين لغط شديد وهموا بدخول النار فاستأذن الدكتور من رئيسهم أن يفحصوا فحصًا علميًّا فأذن له فعلاً في تدقيق حتي أنه لحس أجسامهم ليتحقق من عدم وجود شيء، قال: ثم دخلوا النار فلم تصبهم بأدني أذي. ثم خرجوا ففحصتهم ثانيا فلم أجد أثرًا للحرق»[1].

(١) انظر دائرة معارف القرن العشرين ج٤ ص ٢٦٦ ، ٢٦٧.

وبقيت هناك قضية علاقة الرفاعي مع معاصره الشيخ عبد القادر الجيلاني سنذكرها عند ذكر القادرية.

وللرفاعية أوراد مخصوصة كثيرة نذكر نبذة منها، فيقولون:

«ومن أحزابه الشريفة هذا الحزب واسمه الحزب الصغير، وهو:

«هو بسم الله الرحمن الرحيم اللهمّ إني أسألك بعظيم قديم كريم مكنون مخزون أسمائك وبأنواع أجناس أنفاس رقوم نقوش أنوارك وبعزيز إعزاز أعزّ عزتك وبحول طول حول شديد قوتك وبقدر مقدار اقتدار قدرتك وبتأييد تحميد تمجيد عظمتك وبسمو نموّ علوّ رفعتك وبحيوم قيوم بنوم دوام أبديتك رضوان غفران أمان رفعتك وبرفيع بديع منيع سلطانك وبصلاة سعاة بساط رحمتك وبلوامع بوارق صواعق صحيح وهيج بهيج وهيج نور ذاتك وببهر قهر جهر ميمون ارتباط وحدانيتك وبهدير تيار أمواج بحرك المحيط بملكوتك وباتساع انفساح ميادن بواذخ كرسيك وبهيكليات علويات روحانيات أملاك عرشك وبالأملاك الروحانيين المديرين الكواكب أفلاكك وبحنين أنين تسكين المريدين لقربك وبحرقات زفرات جمعات الخائفين من سطوتك وبأمال نوال أقوال المجتهدين في مرضاتك وبتحمد تمسجد تجلد العابدين علي طاعتك وتخضع تخشع تقطع مرائر الصابرين علي بلوائك يا أوّل يا آخر يا ظاهر يا باطن يا قديم يا مقيم اطمس بطلسم.

ومن أحزابه الغريبة العجيبة «المص الر الر الر المر المر المر كهيعص ط طسم طس طسم الم الم الم يس ص حم حم حمعسق حم حم حمعسق حم حم ق ن... محمد رسول الله حصني مكملاً وأبو بكر يميني حرزًا ووكيلاً وعمر بن الخطاب عن يساري عزًا وتجملاً وعثمان بن عفان من خلفي قوة وحولا وعلي بن أبي طالب أمامي مهابة... لا إله إلا أنت أحون قاف آدم حم هاه آمين...

شتوش هموش أطوش شرح خمدت النار من مخافته[1].

(١) قلادة الجواهر في ذكر الموت الرفاعي وأتباعه الأكابر ص٣٦٢، ٣٦٣.

فهذه هي الأوراد وأمثالها التي قال فيها بعض الرفاعية:

عليـــك بـــأوراد الرفـــاعي إنهـــا إلي شـــيخ أشـــياخ الطرائـــق تنـــسب
وداوم عليهـــا فهـــي حـــصن وجنـــة ودرع لـــدفع النائبـــات مجـــرّب
وبـــاب بوصـــل العبـــد بـــالله عـــامر ونهـــج بـــه للمـــصطفي يتقّـــرب[1]

وأحيانًا كانوا يرددون مثل هذه الأوراد لنيل المآرب وحصول المطالب، فيذكر أحد الرفاعيين «كنت أمشي تحت جبل قاف، فجاء وقت الصلاة فتوضأت وصليت وقرأت الورد الشريف ثم ذكرت اسم سيدي أحمد (الرفاعي) فلما أتممت جاءت حية عظيمة وفي فمها درة فألقتها أمامي، ثم أنطقها الله فقالت: خذ هذه الهدية مني لحضرة سيدي أحمد، فتعجبت وقلت: أتعرفين سيدي أحمد؟

فقالت: عجيب هذا، هل علي بساط الأرض من رطب ويابس من يجهل سيدي أحمد الرفاعي، بلغّه سلامي، فأنا من مردائه»[2].

وعلي كل فهذا هو الرفاعي الذي يعرفه كل رطب ويابس علي بساط الأرض، وكانت الحيوانات أيضًا من مريديه.

وهؤلاء هم الرفاعيون.

* * *

(١) أيضًا ص ٢٦٩.
(٢) أيضًا ص ٤٢٩.

الشاذلية

سلسلة صوفية مشهورة وطريقة صوفية منتشرة في مصر وتونس والجزائر وغيرها من البلدان، والشاذلية نسبة إلي أبي الحسن علي بن عبد الله المولود بغمارة من قري سبتة سنة ٥٩٣هـ(١).

وقال الكمشخانوي:

«بل ولد بقرية عمان من قري أفريقية قرب مرسية، وهي من المغرب الأقصي أيضًا»(٢).

ولكن عطاء الله الأسكندري وهو تلميذ أبي العباس المرسي يذكر أن مبدأ ظهوره بشاذلة ولكن منشأه بالمغرب الأقصي فلم يعرف بالمنشأ والمولد، بل نسب إلي مبدأ ظهوره»(٣).

واختلفوا في نسبه أيضًا، فمريدوه والمتعلّقون به ينسبونه إلي الأشراف ويصلون بنسبه إلي الحسن بن علي بن أبي طالب، كعادة أهل كل طريقة صوفية ولو أنهم يختلفون فيما بينهم في أسماء آبائه، فالبعض ينسبونه إلي إدريس بن عبد الله المبايع له ببلاد المغرب(٤).

وبعضهم إلي غيره(٥).

وأما الجامي فينسبه في نفحاته إلي الحسين، لا إلي الحسن(٦).

وكان ضريرًا كما سماه ابن الملقن والشعراني بالضرير الزاهد(٧).

---

(١) النفحة العلية في الأوراد الشاذلية ص ٢٢٦ ط مكتبة المتنبي القاهرة، أيضًا أبو الحسن الشاذلي للدكتور عبد الحليم محمود ص٢٠.

(٢) جامع الأصول في الأولياء للكمشخانوي ص١١٥ طبعة قديمة.

(٣) لطائف المنن لابن عطاء الله الأسكندري ص١٣٥ بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ط مطبعة حسان القاهرة ١٩٧٤.

(٤) جامع الأصول في الأولياء للكمشخانوي ص١١٥.

(٥) انظر لطائف المنن للأسكندري ص١٣٥، طبقات الأولياء لابن الملقن ص٤٥٩.

(٦) انظر نفحات الأنس للجامي ص٥٦٧ (فارسي) ط إيران.

(٧) طبقات الأولياء لابن الملقن ص٤٥٨، الطبقات الكبري للشعراني ج٢ ص٤.

ولكن لم يتضرر عيناه إلا بعد مدة من تحصيل العلم كما يظهر من ترجمته في مختلف الكتب[١].

وانتقل في صغره إلي مدينة تونس، فبدأ يتنقل من مدينة إلي مدينة وبلدة إلي بلدة حتي حجّ ثم دخل العراق وبدأ يفتش هناك عن القطب الصوفي - حسب زعمه - وقال له أحد الأولياء هناك:

«إنك تبحث عن القطب بالعراق، مع أن القطب ببلادك، ارجع إلي بلادك تجده»[٢].

فرجع إلي بلاده باحثًا ومفتشًا عن القطب، يسأل عن المقبل والمدبر والراحل والمقيم إلي أن اجتمع به، وهو أبو محمد عبد السلام بن مشيش، فيقول الشاذلي: أتيت إليه «وهو ساكن مغارة برباط رأس جبل، فاغتسلت في عين أسفل الجبل وخرجت عن علمي وعملي، وطلعت إليه فقيرًا، وإذا به هابط إلي، فقال:

مرحبًا يا علي، وذكر نسبي إلي رسول الله»[٣].

«ثم قال لي: يا علي، طلعت إلينا فقيرًا من علمك وعملك، وأخذت منا غني الدنيا والآخرة، فأخذني منه الدهش فأقمت عنده أيامًا إلي أن فتح الله علي بصيرتي»[٤].

وعبد السلام هذا ينقل فيه الشيخ الأكبر للأزهر سابقًا عبد الحليم محمود عن صاحب «الدرة البهية»:

«هو القطب الأكبر، والعلم الأشهر، والطود الأطهر العالي السنام.

هو البدر الطالع الواضح البرهان، الغني عن التعريف والبيان، المشتهر في الدنيا قدره، والذي لا يختلف في غوثيته اثنان.

وطريقه ترياق شاف لأدواء العباد، وذكره رحمة نازلة في كل ناد.

---

(١) انظر دائرة المعارف الإسلامية ص٥٦٢ وغيرها من الكتب.

(٢) درة الأسرار ص ٢٣ نقلاً عن «أبو الحسن الشاذلي» للدكتور عبد الحليم محمود ص٢٣.

(٣) جامع الأصول في الأولياء للكمشخانوي ص١١٦.

(٤) «المدرسة الشاذلية وإمامها أبو الحسن الشاذلي» للدكتور عبد الحليم محمود ص٢٣ ط دار الكتاب الحديث القاهرة.

سري سرّه في الآفاق، وسارت بمناقبه الركبان والرفاق.

قضي عمره في العبادة، وقصده للانتفاع أهل السعادة.

وكان رضي الله عنه في العلم في الغاية، وفي الزهد في النهاية، جمع الله له الشرفين: «الطيني والديني، وأحرز الفضل المحقق اليقيني»[1].

ويذكره الشاذلي بنفسه هو ومكانته السامية ودرجته الرفيعة، ومعرفته وعلمه بما يختلج في صدور الناس، وفيضه وفيضانه بقوله:

«كنت في سياحتي في مبدأ أمري حصل لي تردد: هل ألزم البراري والقفار للتفرغ للطاعة والأذكار أو أرجع إلي المدائن والديار لصحبة العلماء والأخيار؟ فوصف لي ولي هنالك، وكان برأس جبل فصعدت إليه، فما وصلت إليه إلا ليلاً، فقلت في نفسي لا أدخل عليه في هذا الوقت، فسمعته يقول من داخل المغارة: اللهم إن قومًا سألوك أن تسخر لهم خلقك، فسخرت لهم خلقك، فرضوا منك بذلك، اللهم وإني أسألك اعوجاج الخلق علي حتي لا يكون ملجئي إلا إليك، قال فالتفت إلي نفسي وقلت: يا نفس انظري من أي بحر يغترف هذا الشيخ، فلما أصبحت دخلت إليه فأرعبت من هيبته.

فقلت له:

يا سيدي كيف حالك؟

فقال: أشكو إلي الله من برد الرضا والتسليم كما تشكو أنت من حر التدبير والاختيار.

فقلت: يا سيدي أما شكواي من حر التدبير والاختيار فقد ذقته وأنا الآن فيه، وأما شكواك من برد الرضا والتسليم فلماذا.

فقال: أخاف أن تشغلني حلاوتها عن الله.

قلت: يا سيدي سمعتك البارحة تقول: اللهم إن قومًا سألوك أن تسخر لهم خلقك، فسخرت لهم خلقك، فرضوا منك بذلك، اللهم وإني أسألك اعوجاج الخلق علي حتي لا يكون ملجئي إلا إليك، فتبسم ثم قال:

(١) أيضًا ص٢٤.

يا بني، ما تقول: سخر لي خلقك قل: يا رب كن لي، أترى إذا كان لك أيفوتك شيء؟ فما هذه الجناية»[(١)].

وحتى ابنه الصغير يعلم ما في قلوب الناس كما يذكر الشاذلي أيضًا:

«كنت يومًا بين يدي الأستاذ فقلت في نفسي: ليت شعري هل يعلم الشيخ اسم الله الأعظم؟ فقال ولد الشيخ وهو في آخر المكان الذي أنا فيه: يا أبا الحسن ليس الشأن من يعلم الاسم الأعظم، إنما الشأن من يكون هو عين الاسم، فقال الشيخ من صدر المكان: أصاب وتفرس فيك ولدي»[(٢)].

ويقول ابن عطاء الله الأسكندري: إن طريقة الشاذلي تنتسب إلي الشيخ عبد السلام ابن مشيش، والشيخ عبد السلام ينتسب إلي الشيخ عبد الرحمن المدني، ثم واحد عن واحد إلي الحسن بن علي بن أبي طالب[(٣)].

وبعد مدة الزمن وبقائه عند ابن مشيش قال له شيخه ابن مشيش: يا علي، ارتحل إلي أفريقية واسكن بلدًا بها تسمي شاذلة، فإن الله يسميك شاذليًا، وبعد ذلك تنتقل إلي مدينة تونس وبعد ذلك تنتقل إلي بلاد المشرق، وترث فيها القطبانية[(٤)].

ولما ورث القطبانية «وظهر بالخلافة الكبري والولاية الكثري والقطبية العظمي والغوثية الفردي، وخصّه الله بعلوم الأسماء ومن عليه بأعلي مقامات الأولياء، وخصوصيات الأصفياء، وانفرد في زمانه بالمقام الأكبر والمدد الأكثر والعطاء الأنفع والنوال الأوسع»[(٥)].

بدأ يقول كما ذكروا عنه أنه قيل للشيخ أبي الحسن: من هو شيخك؟

فقال: كنت أنتسب إلي الشيخ عبد السلام بن مشيش، وأنا الآن لا أنتسب لأحد،

---

(١) لطائف السنن لابن عطاء الله الأسكندري ص١٥٩ ، ١٦٠ ط مطبعة حسان القاهرة ١٩٧٤م.

(٢) أيضًا ص١٦٠.

(٣) الوصية الكبري لعبد السلام الأسمر الفيتوري، أيضًا لطائف المنن للأسكندري ص٦٥.

(٤) جامع الأصول في الأولياء للكمشخانوي ص١١٧، كذلك أبو الحسن الشاذلي للدكتور عبد الحليم محمود ص٢٩، أيضًا النفحة العلية في أوراد الشاذلية ص٢٢٨.

(٥) جامع الأصول في الأولياء لأحمد الكمشخانوي ص١١٧ ط المطبعة الوهبية طرابلس ١٢٩٨هـ.

بل أعوم في عشرة أبحر: خمسة من الآدميين، النبي صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وخمسة من الروحانيين، جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والروح الأكبر[(١)].

و«تصرّف في أحكام الأولياء ومددها بالإذن والتمكين، وانفرد بسؤددها حق اليقين، وأمده الأولياء أجمعين، وكذا الصديقين، ونال مقام الفردانية الذي لا يجوز المشاركة فيه بين اثنين، وأجمع علي ذلك من عاصره من العلماء العارفين والأولياء المقربين وخواص الصديقين، وشهد بقطبانيته وفردانيته الجمّ الكثير»[(٢)].

وبدأ يقول:

«والله لقد جئت في هذا الطريق ما لم يأت به أحد»[(٣)].

حتي تعالي وتفاخر قائلاً؟

«قدمي علي جبة كل ولي لله»[(٤)].

ومن الجدير بالذكر أن الدكتور عبد الحليم محمود الذي تولّي مشيخة الأزهر، وتخرّج من جامعة فرنساوية كتب كتابًا في تمجيد الشاذلي ومدح الشاذلية، ففي ذلك الكتاب يذكر أن الله كلّمه علي جبل زغوان، الجبل الذي اعتكف الشاذلي فيه في قمته، وتعبّد وتحنّث، والذي يذكره نقلاً عن صاحب كتاب «درة الأسرار».

«قرأ الشيخ علي جبل زغوان سورة الأنعام إلي أن بلغ إلي قوله تعالي: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ أصابه حال عظيم، وجعل يكررها ويتحرك، فكلما مال إلي جهة مال الجبل نحوها... وما كانت حياته علي الجبل إلا علي نباتات الأرض وأعشابها»[(٥)].

---

(١) لطائف المنن للأسكندري ص١٤٦، الطبقات الكبري للشعراني ج٢ ص٧، جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج٢ ص١٧٦، النفحة العلية ص٢٢٩.

(٢) جامع الأصول ص١١٧.

(٣) لطائف المنن ص ١٤٦.

(٤) جامع الأصول في الأولياء ص١١٧.

(٥) انظر المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي للدكتور عبد الحليم محمود ص٣٢.

وعلي هذا الجبل ارتقي منازل، وتخطّي مراتب حيث «نبع له عين تجري بماء عذب.

ثم بدأت الملائكة تحف بأبي الحسن، بعضها يسأله فيجيبه.

وبعضها يسير معه.

ثم تأتيه أرواح الأولياء زرافات ووحدانًا تحفّ بأبي الحسن وتتبرك به[١].

وبعد تجاوز هذه المراتب كلها التي أهّلته لأن يخاطب الرب بدون واسطة ولا ملك، كلّمه الرب تبارك وتعالي حسب قول ذلك الدكتور، فقال له:

«يا علي، اهبط إلي الناس ينتفعوا بك.

فقلت:

يا رب أقلني من الناس فلا طاقة لي بمخالطتهم.

فقيل لي:

إنزل فقد أصحبناك السلامة، ودفعنا عنك الملامة.

فقلت:

تكلني إلي الناس آكل من دريهماتهم.

فقيل لي: أنفق يا علي، وأنا الملي، إن شئت من الجيب وإن شئت من الغيب.

ونزل الشاذلي رضي الله عنه من علي الجبل ليغادر شاذلة، ويستقبل مرحلة جديدة، فقد انتهت المرحلة الأولي التي رسمها له شيخه.

وقبل أن نغادر معه شاذلة إلي رحلته الجديدة نذكر ما حكاه رضي الله عنه فيما يتعلق بنسبته إلي شاذلة، قال:

قلت: يا رب لم سميتني بالشاذلي، ولست بشاذلي.

فقيل لي: يا علي، ما سميتك بالشاذلي وإنما أنت الشَّاذُّلِي بتشديد الذال المعجمة، يعني: المفرد لخدمتي ومحبتي»[٢].

وقبله قد تكلّم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من داخل حجرته الشريفة كما

---

(١) بألفاظ عبد الحليم محمود وبحروفه انظر ص ٣٣ من كتابه « أبو الحسن الشاذلي» ط دار الكتب الحديثة القاهرة.

(٢) أيضًا ص ٣٥.

ذكر ذلك الدكتور عبد الحليم محمود نقلاً عن «درة الأسرار» عن أبي الحسن:

«لما قدم المدينة زادها الله تشريفًا وتعظيمًا، وقف علي باب الحرم من أول النهار إلي نصفه عريان الرأس حافي القدمين، يستأذن علي رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليمًا.

فسئل عن ذلك فقال: حتي يؤذن لي، فإن الله عز وجل يقول:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾.

فسمع النداء من داخل الروضة الشريفة علي ساكنها أفضل الصلاة والسلام: «يا علي ادخل»[1].

فمن يكن هذا شأنه ومقامه ومكانته لا يستبعد عنه أن يقول:

«لولا لجام الشريعة علي لساني لأخبرتكم بما يكن في غد وبعد غد إلي يوم القيامة»[2].

وأيضًا: «أعطيت سجلاً مدّ البصر، فيه أصحابي وأصحاب أصحابي إلي يوم القيامة عتقاء من النار»[3].

وعلي ذلك ينقل عنه الأسكندري عن شيخه أبي العباس المرسي خليفة أبي الحسن الشاذلي وتلميذه الخاص به أنه قال:

«قال لي عبد القادر النقاد، وكان من أولياء الله: اطلعت البارحة علي مقام الشيخ أبي الحسن.

فقلت له: وأين مقام الشيخ؟

فقال: عند العرش.

فقلت له: ذاك مقام تنزل لك الشيخ فيه حتي رأيته.

وإلاّ مقامه فهو فوق ذلك، وقد صرّح بذلك حيث يواصل كلامه فيقول:

«ثم دخلت أنا وهو علي الشيخ، فلما استقربنا المجلس قال الشيخ رضي الله عنه رأيت

---

(١) أبو الحسن الشاذلي ص ٨٣.

(٢) الكمشخانوي ص١١٦، النفحة العلية ص٢٢٨ ط مكتبة المتنبي القاهرة.

(٣) جامع الأصول في الأولياء ص١١٦، النفحة العلية في أوراد الشاذلية ص٢٢٨ ط مكتبة المتنبي القاهرة.

البارحة عبد القادر النقاد في المنام فقال لي:

أعرش أنت أم كرسي؟

فقلت له:

دع عنك ذا.

الطينة أرضية.

والنفس سماوية.

والقلب عرشي.

والروح كرسي.

والسر مع الله بلا أين.

والأمر يتنزل فيما بين ذلك ويتلوه الشاهد منه(١).

وذكروا من جملة كراماته أنه أثناء سفره إلي الأسكندرية مكث بتونس مدة، واشتهر أمره وذاع صيته، والتف حوله خلق كثير فحسده فقيه تونس وقاضي قضاتها ابن البراء فوشاه إلي السلطان، ودسّ له عنده، وتكلّم في نسبه ولكن السلطان لم يمسه بسوء، ووقره في قلبه واحترمه ولكن منعه من الخروج، وما أن منعه إلاّ وماتت جاريته وفي ذاك الحين، التي أحبها فملكت عليه جميع أقطاره، ثم التهبت النار في البيت فلم يشعروا حتي احترق كل ما في البيت من الفرش والثياب وغير ذلك من الذخائر، فعلم السلطان أنه أصيب من قبل هذا الولي(٢).

ولكن من الغرائب أنه لم يصب ابن البراء شيئًا مع تصريح عبد الحليم محمود وغيره أنه بقي علي عدائه للشاذلي ومخالفته له إلي أن الشاذلي كان يسلّم عليه فلم يكن ابن البراء يردّ عليه السلام، وكان يطعن في نسبه(٣).

ولكن أنّي للمختلقين العقل، ومن أين للقصاصين العقل، والمسامرين الوضاعين الفكر.

---

(١) لطائف المنن للأسكندري ص١٤٣ ، ١٤٤ ط مطبعة حسان القاهرة.

(٢) درة الأسرار ص ٣٠.

(٣) انظر أبو الحسن الشاذلي ص٤٢.

فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا.

وهل يستعبد هذا من أولئك الناس الذين يفضلون هؤلاء المتصوفة علي أنبياء الله ورسله ويزعمون فيهم من القدرة والاختيارات، ومعرفة علم الغيب، والتصرف في أمور الكون، وتدبير أمور الدنيا والآخرة، ومددهم الأحياء منهم والأموات، وإعطائهم الثواب والعقاب، وتقسيمهم الجنة والنار لمن يريدون ويزعمون إعطاءه، ويصفونهم بأوصاف لا تليق إلا بالواحد القهار الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل، وأمر سيد الخلائق وأفضل المخلوقات وأشرف المرسلين بأن يقول:

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾[1].

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾[2].

و﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[3].

وغيرها من الآيات الكثيرة والأحاديث المستفيضة التي ذكرناها فيما سبق في مختلف المباحث والمواضيع ولكن المتصوفة يعتقدون في أوليائهم أوصافًا إلهية ونعوتًا ربانية فيقول الأسكندري:

«لو كشف عن حقيقة الولي لعبد، لأن أوصافه، ونعوته من نعوته»[4].

ولقد مرّ بيان عقيدة القوم في متصوفتهم سابقًا ولكن نريد أن نثبت ههنا بمناسبة ذكر الشاذلة والشاذلي ما ذكره قطبهم بعد الشاذلي - وهو المرسي - في شيخه نقلاً عن

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٨٨.

(٢) سورة الأنعام الآية ٥٠.

(٣) سورة الكهف الآية ١١٠.

(٤) لطائف المنن للأسكندري ص٩٥ مقولة أبي العباس تلميذ أبي الحسن الشاذلي وخليفته في شيخه.

بعض مريديه أنه قال:

«صليت خلف شيخي صلاة فشهدت ما أبهر العقل وذلك أني شهدت بدن الشيخ والأنوار قد ملأته، وانبثت الأنوار من وجوده حتي أنني لم أستطع النظر إليه، وقد كشف الحق عن مشرقات أنوار قلوب أوليائه لانطوي نور الشمس والقمر في مشرقات أنوار قلوبهم، وأين نور الشمس والقمر من أنوارهم»[(١)].

هذا ولقد استقر الشاذلي بعدئذ في الأسكندرية بمصر، وتزوج هنالك وولد له أولاد، وحبس عليه السلطان برجًا من أبراج السور في أسفله ماجل كبير ومرابط للبهائم، وفي الوسط مساكن الفقراء وجامع كبير، وفي أعلاه أعلية لسكناه ولعياله[(٢)].

وكان من عادته «إذا ركب تمشي أكابر الفقراء وأكابر الأغنياء حوله، وتنشر الأعلام علي رأسه، وتضرب الكاسات بين يديه، ويأمر النقيب أن ينادي أمامه «من أراد القطب فعليه بالشاذلي»[(٣)].

وسنة ٦٥٦هـ سافر للحج، وفي صحراء عيذاب وافته المنية فدفن هناك[(٤)].

ويقول الجامي: «وكان ماء هذه الصحراء ملحًا لا يشرب ولكنهم بعد ما غسلوه بمائه صار ببركته حلوًا عذبًا»[(٥)].

وفي هذه الصحراء ادّعي بأنه التقي بالخضر وكلّمه، كما نقلوا عنه أنه كان يقول:

«لقيت الخضر في صحراء عيذاب، فقال لي:

«يا أبا الحسن أصحبك الله اللطف الجميل، وكان لك صاحبًا في المقام والرحيل»[(٦)].

---

(١) لطائف المنن للأسكندري ص٩٥.

(٢) درة الأسرار نقلاً عن «أبو الحسن الشاذلي» ص٤٥.

(٣) الكمشخانوي ص ١١٧، النفخة العلية ص٢٢٨، الكواكب الدرية للمناوي نقلاً عن «أبو الحسن الشاذلي» ص٥٤.

(٤) طبقات الأولياء لابن الملقن ص٤٥٩، أيضًا الطبقات الكبري للشعراني ج٢ ص٤.

(٥) نفحات الأنس للجامي (فارسي) ص٥٧٠ ط طهران.

(٦) لطائف المنن ص ١٥١، طبقات الشعراني ج٢ ص٥، جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج٢ ص١٨٣، أبو الحسن الشاذلي ص٣٩.

وقد نقل عن الشاذلي تفسير بعض الآيات القرآنية تفسيرًا باطنيًا ينهج فيه منهج الباطنية وأهل التأويل البعيد، وقد ذكرنا نماذج منها في كتابنا «التصوف: المنشأ والمصادر».

ثم خلف بعده علي الشاذلية أبو العباس المرسي، والذي صار قطبًا بعد موته حسب زعمهم كما ينقلون عن زكي الدين الأسواني أنه قال:

«قال لي الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: يا زكي، عليك بأبي العباس، فوالله إنه ليأتيه البدوي يبول علي ساقيه فلا يمسي عليه المساء إلا وقد أوصله إلي الله، يا زكي، عليك بأبي العباس، فوالله ما من ولي لله كان أو هو كائن إلا وقد أطلعه الله عليه، يا زكي، أبو العباس هو الرجل الكامل»[١].

ويقول أبو العباس هذا عن نفسه:

«والله ما سار الأولياء والأبدال من قاف حتي يلقوا واحدًا مثلنا، فإذا لقوه كان بغيتهم، ثم قال: وبالله لا إله إلا هو، ما من ولي لله كان أو كائن إلا وقد أطلعني الله عليه وعلي اسمه ونسبه وكم حظه من الله»[٢].

وهو الذي قال:

«والله لو حجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين»[٣].

وكان يقول:

«لا أعلم أحدًا اليوم يتكلّم في هذا العلم غيري علي وجه الأرض» وقدم إليه بعضهم طعامًا فيه شبهة يمتحنه فامتنع الشيخ من أكله،وقال: «إنه كان للشيخ المحاسبي عرق في أصبعه يضرب إذا مدّ يده إلي شبهة فأنا في يدي ستون عرقً تضرب،

---

(١) انظر لطائف المنن ص ١٦٨.

(٢) لطائف المنن ص١٦٨.

(٣) الطبقات الكبري للشعراني ج٢ ص١٤، جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج١ ص٣١٤، أيضًا لطائف المنن للأسكندري ص١٦٩.

فاستغرب الرجل وتاب علي يديه[١].

وتكلم يومًا في القطب وأوصافه ثم قال:

«وما القطبانية بعيدة من بعض الأولياء وأشار إلي نفسه»[٢].

قال: «لو علمت العراق والشام ما تحت هذه الشعرات لأتوها ولو سعيا علي وجوههم»[٣].

وكان المرسي هذا أيضًا يدّعي صحبة الخضر واللقاء معه[٤].

وكان له تأويل باطني مثلما كان لأستاذه وشيخه، ومثال ذلك ما ذكره تلميذه عطاء الله الأسكندري:

«سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول في قوله عز وجل:

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ أي: ما نذهب من ولي لله إلا ونأت بخير منه أو مثله»[٥].

وكان كأستاذه يعتني بكتاب الإحياء لأبي حامد الغزالي، وكتاب «قوت القلوب» لأبي طالب المكي، وكتاب «ختم الأولياء» للحكيم الترمذي، وكتاب «المواقف والمخاطبات» لمحمد عبد الجبار النفري[٦].

مات سنة ٦٨٦هـ[٧].

ثم خلفه علي مشيخة الشاذلية ياقوت العرش وكان حبشيًا.

«وهو الذي شفع في الشيخ شمس الدين بن اللبان لما أنكر علي سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه وسلب عمله وحاله بعد أن توسل بجميع الأولياء،ولم يقبل سيدي

(١) نفحات الأنس للجامي ص ٥٧٢، أيضًا الطبقات الكبري للشعراني ج٢ ص١٤، أيضًا جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج١ ص ٣١٤.

(٢) لطائف المنن ص ١٧٩.

(٣) أيضًا.

(٤) انظر جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج١ ص ٣١٤.

(٥) لطائف المنن ص ٦٣.

(٦) انظر لطائف المنن ص ١٧٩، ١٨٠ ، كذلك أبو الحسن الشاذلي ص٥٥ وما بعد.

(٧) طبقات الشعراني ج٢ ص ١٣.

أحمد شفاعتهم فيه، فسار من الأسكندرية إلي سيدي أحمد، وسأله أن يطيب خاطره عليه وأن يردّ عليه حاله فأجابه.

ثم إن سيدي ياقوت زوّج ابن اللبان ابنته، ولما مات أوصي أن يدفن تحت رجليها إعظامًا لوالدها الشيخ ياقوت.

وإنما سمّي العرش لأن قلبه لم يزل تحت العرش، وما في الأرض إلاّ جسده.

وقيل: لأنه كان يسمع أذان حملة العرش.

وكان رضي الله عنه يشفع في الحيوانات.

وجاءته مرة يمامة فجلست علي كتفه وهو جالس في حلقة الفقراء وأسرّت إليه شيئًا في أذنه، فقال: بسم الله ونرسل معك أحد من الفقراء، فقالت: ما يكفيني إلا أنت، فركب بغلته من الأسكندرية وسافر إلي مصر العتيقة حتي دخل إلي جامع عمرو فقال: أجمعوني علي فلان المؤذن، فأرسلوا وراءه، فجاءه، فقال له:

هذه اليمامة أخبرتني بالأسكندرية أنك تذبح فراخها كلما تفرخ في المنارة، فقال صدقت، قد ذبحتهم مرارًا فقال: لا تعد، فقال: تبت إلي الله تعالي ورجع الشيخ إلي الأسكندرية رضي الله عنه .

ومناقبه رضي الله عنه كثيرة مشهورة بين الطائفة الشاذلية بمصر وغيرها[1].

ثم خلفه ناس آخرون، فاشتهر من بينهم محمد المغربي الذي يقولون عنه بأنه تنبأ بظهوره الشاذلي، فقال:

«يظهر بمصر رجل يعرف بمحمد يكون فاتحًا لهذا البيت، ويشتهر في زمانه ويكون له شأن»[2].

وهو الذي قال:

«أعطيت الشاذلية ثلاثًا لم تحصل لمن قبلهم ولا لمن بعدهم:

الأول: أنهم مختارون في اللوح المحفوظ.

(١) أيضًا ص ٢٨ ، ٢٩.

(٢) انظر الكمشخانوي ص١١٧.

الثاني: أن المجذوب منهم يرجع إلي الصحو.

الثالث: أن القطب منهم إلي يوم القيامة[١].

وآخر هذه الثلاث يجب أن يركز عليه، فإن كل طائفة من الطوائف الصوفية تدعي أن القطب منهم، ولا يرضي بهذه المقولة أحد من غير الشاذلية.

وآخرون مثل علي بن عمر القرشي وناصر الدين بن محمد عبد الدائم وابن عبد الرحمن بن إبراهيم ومعصوم بن أحمد وغيرهم العديدون[٢].

فهذا هو الشاذلي وأولئك الشاذلية ومشائخهم وقد اشتهر عن الشاذلية أوراد عديدة منها حزب البر وحزب البحر والحزب الكبير وغيرها من الأحزاب والأوراد، اختلقوا لها فضائل ومناقب لم ينزل الله بها من برهان، ذكرها كل من عطاء الله الأسكندري في كتابه «لطائف المنن» والدكتور عبد الحليم محمود في كتابه «المدرسة الشاذلية وإمامها أبو الحسن الشاذلي» والآخر في «النفحة العلية في الأوراد الشاذلية».

وبهذا نختم هذا الفصل.

* * *

---

(١) الكمشخانوي ص ١١٦.

(٢) انظر دائرة المعارف الإسلامية أردو مقال دي ايس مار جليوس ج١١ ص ٥٦٤ وما بعد.

القادرية

ومن الطرق المشهورة في بلاد أفريقيا والبلدان العربية وشبه القارة الهندية الباكستانية، نسبة إلي عبد القادر الجيلي أو الجيلاني «نسبة إلي جيل، وهي بلاد متفرقة وراء طبرستان، ويقال لها جيلان وكيلان»(١).

والنسبة إليها جيلي وجيلاني وكيلاني(٢).

ولد سنة ٤٧١هـ(٣).

وقيل: سنة ٤٧٠هـ(٤).

في بيت أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست، وأمّه أم الخير فاطمة بنت الشيخ عبد الله الصومعي الزاهد حملت به وهي بنت ستين سنة(٥).

ويحكون عنها أنها قالت:

«لما وضعت ابني عبد القادر كان لا يرضع ثديي في نهار رمضان، وغمّ علي الناس هلال رمضان، فأتوني وسألوني عنه فقلت: لم يلتقم اليوم ثديًا، ثم اتضح أن ذلك اليوم كان من رمضان، واشتهر في بلدنا ذلك الوقت أنه ولد للأشراف ولد لا يرضع في نهار رمضان(٦).

ويحكون عن عمته بأنها أيضًا كانت ولية من كبار الأولياء حيث أن جيلان أجدبت مرة واستسقي أهلها فلم يسقوا، «فأتي المشايخ إلي دار الشيخة أم محمد عائشة عمة الشيخ عبد القادر رضي الله عنه، وسألوها الاستسقاء، فقامت إلي رحبة بيتها وكنست الأرض وقالت: يا ربّ، أنا كنست فرشّ أنت. قال. فلم يلبثوا أن أمطرت السماء

---

(١) شذرات الذهب ج٤ ص ١٩٨.

(٢) الأنساب ج٣ ص٤١٤.

(٣) بهجة الأسرار ومعدن الأنوار لنور الدين الشنطوفي المتوفي ٧١٣هـ ط مصطفي البابي الحلبي القاهرة، أيضًا سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ج٢٠ ص٤٣٩.

(٤) الفتح المبين للسيد ظهير القادري ص٤ ط.

(٥) قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر لمحمد بن يحيي التادفي ص٣ ط دار الكتب العربية الكبري البابي الحلبي.

(٦) بهجة الأسرار للشنطوفي ص ٨٩، قلائد الجواهر لابن التادفي ص٣، الفتح المبين لظهير الدين القادري ص٥، الطبقات الكبري للشعراني ص١٢٦، نفحات الأنس للجامي ص٥٠٧، جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج٢ ص٩٠.

كأفواه القرب، ورجعوا إلي بيوتهم يخوضون في الماء»[١].

ويقولون: إن الشيخ من أولاد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وصاحب «فوات الوفيات» ينهي نسبه إلي الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، كما هنالك اختلاف في أسماء آبائه إلي علي رضي الله عنه وعددهم.

وقد أنكر قوم انتسابه إلي الأشراف والعرب أيضًا، ونسبوه إلي قبيلة من قبائل العجم، وقد حرر في هذه القضية مباحث وكلام كثير، وألفت فيها كتب ورسائل منها «ترياق المحبين» لتقي الدين الواسطي وغيره من الكتب، كما رفعت حول نسب الشيخ نزاعات إلي قضاء بغداد، والله أعلم بحقيقة الحال.

ويذكر الصوفية أنه قدم بغداد في الثامنة عشرة من عمره «فلما دخل إلي بغداد وقف له الخضر عليه السلام ومنعه الدخول وقال له: ما معي أمر بأن تدخل إلي سبع سنين، فأقام علي الشط سبع سنين يلتقط من البقالة من المباح حتي صارت الخضرة تبين من عنقه، ثم قام ذات ليلة فسمع الخطاب: يا عبد القادر، ادخل بغداد، فدخل وكانت ليلة مطيرة باردة فجاء إلي زاوية الشيخ حماد بن مسلم الدباس فقال الشيخ: أغلقوا باب الزاوية وأطفؤا الضوء، فجلس الشيخ عبد القادر علي الباب فألقي الله تعالي عليه النوم فنام فأجنب، ثم قام فاغتسل فألقى الله تعالي عليه النوم فأجنب، ولم يزل كذلك سبع عشرة مرة وهو يغتسل عقب كل مرة، فلما كان عند الصبح فتح الباب فدخل الشيخ عبد القادر، فقام إليه الشيخ حماد فاعتنقه وضمه إليه وبكي، وقال له: يا ولدي عبد القادر، الدولة اليوم لنا، وغدًا لك، فإذا وليت فاعدل بهذه الشيبة»[٢].

وأما النبهاني فقال: «إنه احتلم في ليلته تلك أربعين مرة»[٣].

وقال صاحب «الفتح المبين»: سبعين مرة[٤].

---

(١) بهجة الأسرار ص ٨٩.

(٢) قلائد الجواهد لابن التادفي ص٣.

(٣) جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج١ ص ٩٠، أيضًا طبقات الشعراني ج١ ص١٢٨.

(٤) الفتح المبين لظهير الدين القادري ص٨.

ويعلم الأذكياء ما الذي يدل عليه هذا الاختلاف.

وبدأ يدرس في بغداد «وقصد الأشياخ الأئمة أعلام الهدي علماء الأمة، فاشتغل بالقرآن العظيم حتي أتقنه وعم بدرايته سره وعلنه، وتفقه علي أبي الواء بن عقيل... وسمع الحديث من جماعة، منهم: أبو غالب محمد بن الحسن الباقلاني... وقرأ الأدب علي أبي زكريا التبريزي، وصحب الشيخ العارف قدوة المحققين أبا الخير حماد بن مسلم الدباغ، وأخذ عنه علم الطريقة وتأدب به، وأخذ الخرقة الشريفة من يد القاضي أبي سعد المبارك المخزومي»[1].

«وكان شافعي المذهب، فرأي الإمام أحمد بن حنبل يقول له:

أدرك المذهب يا عبد القادر، وكان المذهب الحنبلي قد ضعف في العراق، وكاد يمحي، فانبري إلي الاشتغال به تعليمًا وتأليفًا حتي صار إمام الحنابلة»[2].

«ثم تصدر للتدريس والفتوي في مدرسة أستاذه أبي سعد المخزومي»[3].

ثم جلس للوعظ سنة ١٢٥هـ[4].

ويذكر ظهير الدين القادري عن عبد الرزاق وعبد الوهاب وغيرهما أنهم قالوا:

«سمعنا الشيخ عبد القادر يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الظهر من يوم الثلاثاء السادس عشر من شوال سنة إحدي وعشرين وخمسمائة، فقال: يا بني لم لا تتكلم؟

فقلت: يا أبتاه أنا رجل أعجمي كيف أتكلّم علي فصحاء بغداد، فقال: افتح فاك، ففتحه فتفل فيه سبعًا ثم قال لي: تكلم علي الناس وادع إلي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، فصليت الظهر وجلست وحضرني خلق كثير، فارتجّ علي فرأيت علي ابن أبي طالب كرّم الله وجهه قائمًا بإزائي في المجلس فقال له: يا بني لم لا تتكلّم.

---

(١) بهجة الأسرار للشطنوفي ص١٠٦.

(٢) دائرة المعارف للبستاني مقال الشيخ محمد رشيد رضا ج١١ ص٦٢٢.

(٣) بهجة الأسرار ص١٠٦.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية مقال براؤن ج١٢ ص٩٢٥ ط باكستان.

قلت: يا أبتاه قد ارتجّ علي فقال: افتح فاك ففتحته فتفل فيه ستًا، فقلت له: لم لا تكملها سبعًا؟

فقال: أدبًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم تواري عني، فقلت: غواص الفكر يغوص في بحر القلب علي درر المعارف فيستخرجها إلي ساحل الصدر فينادي عليها سمسار ترجمان اللسان فتشتري بنفائس أثمان الطاعة في بيوت أذن الله أن ترفع، قالوا: فهذا أول كلام تكلّم به علي الناس علي الكرسي رضي الله عنه »[١].

ويقول الشعراني وغيره:

«وكان يلبس لباس العلماء ويتطيلس، ويركب البغل، وترفع الغاشية علي يديه، ويتكلم علي كرسي عال، وربما خطي في الهواء خطوات علي رءوس الناس ثم يرجع إلي الكرسي»[٢].

ويقولون: كان يحضر مجالسه خلق كثير، وربما حضر المجلس نحو من سبعين ألفًا[٣].

حتي الأولياء والملائكة كما نقلوا أنه إذا صعد الكرسي فقال: الحمد لله أنصت له كل ولي في الأرض سواء كان حاضرًا بمجلسه أو غائبًا عنه، وكذلك يكررها ويسكت بعدها.

وإن الأولياء والملائكة ليزدحمون في مجلسه، وإن الرحمة لتصبّ علي حاضريه صبًّا»[٤].

والخضر أيضًا كما رووا:

«وكان الشيخ يتكلّم يومًا علي الناس، فخطا في الهواء خطوات، وقال: يا إسرائيلي قف، فاسمع كلام المحمدي، ثم رجع إلي مكانه فقيل له في ذلك، فقال: مرّ أبو العباس

---

(١) انظر الفتح المبين ص ١٠١، أيضًا قلائد الجواهر ص١٣، أيضًا بهجة الأسرار ص ٢٦.

(٢) الطبقات الكبري للشعراني ج١ ص١٢٦: قلائد الجواهر ص١٣.

(٣) قلائد الجواهر لابن التادفي ص١٣.

(٤) أخبار الأخيار لعبد الحق الدهلوي ص٣٨ ترجمة أردية من الفارسية ط كراتش باكستان.

الخضر عليه السلام فخطوت إليه وقلت له: ما سمعتم، فوقف»[(١)].

وليس الخضر والملائكة فحسب، بل ورسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك - عياذًا بالله - كما ذكر ذلك الشطنوفي عن أبي سعد القيلوي أنه قال:

«رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء صلوات الله عليهم في مجلس الشيخ عبد القادر غير مرة... وأن أرواح الأنبياء لتجول في السموات والأرض جولان الرياح في الآفاق، ورأيت الملائكة عليهم السلام يحضرونه طوائف بعد طوائف، ورأيت رجال الغيب والجان يتسابقون إلي مجلسه، ورأيت أبا العباس الخضر يكثر من حضوره فسألته، فقال: من أراد الفلاح فعليه بملازمة هذا المجلس»[(٢)].

وفي مثل هذه المجالس قال مرة:

«قدمي هذه علي رقبة كل ولي لله، فقام الجميع وأخذوا قدم الشيخ وجعلوها علي أعناقهم، ومدّ عنقه من كان غائبًا»[(٣)].

ويقول اليافعي:

«لم يبقي أحد من الأولياء في ذلك الوقت من الحاضرين والغائبين في جميع أقطار الأرض إلا حنا له رقبته إلا رجل بأصبهان فإنه لم يفعل، فسلب حاله.

وروي أن الشيخ أبا النجيب السهروردي رضي الله عنه طأطأ رأسه حتي كاد يبلغ الأرض، وقال: علي رأسي، علي رأسي، علي رأسي، قالها ثلاثًا.

ومن جملة من حنا له رقبته من الغائبين الكبار المشهورين الشيخ أبو مدين والشيخ عبد الرحيم القناوي، والشيخ أحمد بن أبي الحسين الرفاعي رضي الله عنهم .

فأما سيدي أحمد فرووا عنه أنه كان جالسًا يومًا برواقة بأم عبيدة، فمدّ عنقه وقال: علي رقبتي، فسئل عن ذلك، فقال: قد قال الشيخ عبد القادر الآن ببغداد: قدمي هذه علي رقبة كل ولي لله.

---

(١) قلائد الجواهر ص١٣.

(٢) بهجة الأسرار ص ٩٥.

(٣) بهجة الأسرار ص ٣ وما بعد، الفتح المبين ص١٠٦ وما بعد، قلائد الجواهر ص٢٢ نشر المحاسن ص١٣٢ وغيرها.

وأما الشيخ أبو مدين فرووا أنه حنا رأسه يومًا وهو بين أصحابه وقال: أنا منهم، اللهم أني أشهدك وأشهد ملائكتك بأني سمعت وأطعت، فسأله أصحابه عن ذلك، فقال: قد قال الشيخ عبد القادر الآن ببغداد: قدمي هذه علي رقبة كل ولي لله، فأرّخوا ذلك وهم في المغرب، ثم جاء المسافرون من العراق فأخبروا أن الشيخ عبد القادر قال ذلك في ذلك الوقت الذي أرخوه.

وأما الشيخ عبد الرحيم فرووا عنه أنه مدّ عنقه يومًا بقناء وقال: صدق الصادق المصدوق، فقيل له: من هو؟

فقال: الشيخ عبد القادر قال: قدمي هذه علي رقبة كل ولي لله، وتواضع له رجال المشرق والمغرب، فأرّخوا ذلك الوقت، ثم جاء الخبر بذلك في ذلك الوقت»[(١)].

وروي عن شيخه أبي محمد القاسم أنه قال:

«لما أمر الشيخ أن يقول: قدمي هذه رقبة كل ولي لله رأيت الأولياء بالمشرق والمغرب واضعين رؤوسهم تواضعًا إلا رجلاً بأرض العجم فإنه لم يفعل، فتواري عنه حاله»[(٢)].

ويقول ظهير الدين القادري:

اسمه الشيخ صنعان، وكان بسبب كبره وعدم تواضعه أمام قول الشيخ الجيلاني ابتلي بعشق بنت نصرانية، ورعي الخنازير لها، حتي أنه رأي يومًا في المنام أن الخنزير وضع قدمه علي عنقه فاستيقظ فرأي الخنزير يدوس رقبته بقدمه، فسمع صوتًا، ما رضيت بقدم محي الدين علي رقبتك، فصارت موطأ لما هو نجس العين، فتاب واستغفر[(٣)].

هذا وإن السهروردي قال: «إن قوله هذا من شطحات الشيوخ التي لا يقتدي بهم فيها[(٤)].

---

(١) نشر المحاسن الغالية في فضل مشائخ الصوفية لأبي عبد الله اليافعي ج ٢ ص١٣٣، ١٣٤ بهامش جامع كرامات الأولياء للنبهاني ط دار صادر بيروت.

(٢) نشر المحاسن الغالية لليافعي ص ١٣٤.

(٣) الفتح المبين للقادري ص١٠٧.

(٤) انظر الفتح المبين ص١٠٧.

وكان يقول:

«كانت ترد علي الأثقال الكثيرة لو وضعت علي الجبال تفسخت، فإذا كثرت علي وضعت جنبي علي الأرض وقلت: فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسر، ثم أرفع رأسي وقد انفرجت عني تلك الأثقال، قال: وقال لي: كنت أشتغل بالفقه علي المشايخ وأخرج إلي الصحراء ولا آوي بغداد وأجلس في الخراب بالليل والنهار، وكنت ألبس جبة صوف وعلي رأسي خريقة، وكنت أمشي حافيًا في الشوك وغيره وأقتات بخرنوب الشوك وقمامة البقل وورق الخمس من جانب النهر والشط، وما هالني شيء إلا سلكته، وكنت آخذ نفسي بالمجاهدة حتي طرقني من الله عز وجل طارق وكان يطرقني بالليل والنهار.

وآتي الصحراء فأصرخ وأهج علي وجهي، وما كنت أعرف إلا بالتخارس والجنون وحملت إلي البيمارستان، وطرقتني الأحوال حتي متّ، وجاءوا بالكفن والغاسل وجعلوني علي المغتسل ليغسلوني ثم سري عني»(١).

وكذلك «أقمت في صحراء العراق وخرائبه خمسًا وعشرين سنة مجردًا سائحًا لا أعرف الخلق ولا يعرفونني، يأتيني طوائف من رجال الغيب والجان، أعلّمهم الطريق إلي الله عز وجل»(٢).

ويقولون: أنه بلغ درجة الولاية وهو ابن عشر سنين كما نقلوا عنه ذلك أنه سئل: متي علمت أنك ولي لله تعالي؟

قال: كنت وأنا ابن عشر سنين في بلدنا أخرج من داري وأذهب إلي المكتب فأري الملائكة عليهم السلام تمشي حولي، فإذا وصلت إلي المكتب سمعت الملائكة يقولون: افسحوا لولي الله حتي يجلس»(٣).

---

(١) قلائد الجواهر ص ١٠ واللفظ له، أخبار الأخيار لعبد الحق الدهلوي ص طبقات الشعراني ج١ ص١٢٦ ، بهجة الأسرار ص٨٥.

(٢) الطبقات الكبري للشعراني ج١ ص ١٢٨ ، قلائد الجواهر ص١٠، أخبار الأخيار للدهلوي ص٣٦.

(٣) قلائد الجواهر ص ٩ ، أخبار الأخيار لعبد الحق الدهلوي ص٤٣.

ولما كبر قال:

رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ببغداد وأنا علي الكرسي وهو صلى الله عليه وسلم راكب وموسي عليه السلام إلي جانبه، فقال: يا موسي، أفي أمتك رجل هكذا؟

قال: لا، فقال لي: يا عبد القادر وهو في الهواء فعانقني وألبسني خلعة كانت عليه، وقال: هذه خلعة القطبية علي الرجال والأبدال، ثم تفل في فمي ثلاثًا وردّني إلي المنبر، فترنمت هذه الأبيات:

سـأشربها في كـل ديـر وبيعـة ... وأظهـر للعـشاق ديني ومـذهبي
وأضرب فوق السطح بالدف جلوة ... لكاسـاتها لا في الزوايـات مختبـي[1]

وأما معرفته بعلم الغيب وما يختلج في الصدور فروايات وروايات،وحكايات وحكايات، وكتب القوم مليئة منها، وواحدة من ذلك البحر الخضم هي:

«لما اشتهر أمره في الآفاق اجتمع مائة فقيه من أذكياء بغداد يمتحنونه في العلم، فجمع كل واحد له مسائل وجاء إليه، فلما استقر به المجلس أطرق الشيخ فظهرت من صدره بارقة من نور فمرت علي صدور المائة فمحت ما في قلوبهم فبهتوا واضطربوا وصاحوا صيحة واحدة ومزّقوا ثيابهم وكشفوا رؤوسهم، ثم صعد الكرسي وأجاب الجميع عما كان عندهم، فاعترفوا بفضله»[2].

وأخري ما ذكره الشنطوفي عن محمد بن سهل أنه قال:

«حضرت مجلس الشيخ عبد القادر رضي الله عنه في سنة تسع وعشرين وخمسمائة وكنت في أخريات الناس، وكان يتكلم في الزهد، قلت في نفسي: أريد أن يتكلم في المعرفه فقطع كلامه من الزهد وتكلم في المعرفة كلامًا ما سمعت مثله، فقلت في نفسي: أريد أن يتكلم في علم الغيبة والحضور فقطع كلامه من المعرفة وتكلم في الغيبة والحضور كلامًا ما سمعت مثله، فقلت في نفسي: أريد أن يتكلم في الشوق فقطع كلامه من الغيبة والحضور وتكلم كلامًا في الشوق ما سمعت مثله، فقلت في نفسي: أريد أن يتكلم في

(١) قلائد ص٢٢.

(٢) الطبقات الكبري للشعراني ج١ ص١٢٧ ، بهجة الأسرار ص٩٦: جامع كرامات الأولياء للنبهاني ٢/ ٩٠.

الفناء والبقاء فتكلم في الفناء والبقاء كلامًا ما سمعت مثله، ثم قال: حسبك يا أبا الحسن، فلم أتمالك أن مزقت ثيابي»[١].

وأما تصرفه حيًّا وميتًا، وملكه المغفرة لمريديه فذكر كل من الشطنوفي وابن التادفي وعبد الحق الدهلوي وغيرهم من المتصوفة أنه: ضمن لمريديه إلي يوم القيامة أن لا يموت أحد منهم إلاّ علي توبة، وأعطي أن مريديه ومريدي مريديه إلي سبعة يدخلون الجنة.

وقال: أنا كافل لمريد المريد إلي سبعة كل أموره، ولو انكشفت عورة مريدي بالمشرق وأنا بالمغرب لسترتها، وأمرنا من حيث الحال والقدر أن نحفظ بهممنا (أي بقدراتنا) أصحابنا.

وطوبي لمن رآني ورأي من رآني، ورأي من رأي من رآني، وأنا حسرة علي من لم يرني»[٢].

وقال: أعطيت سجلاً مدّ البصر فيه أسماء أصحابي ومريدي إلي يوم القيامة، وقيل لي: قد وهبوا لك، وسألت مالكًا خازن النار: هل عندك من أصحابي أحد؟

فقال: لا وعزة ربي وجلاله، إن يدي علي مريدي كالسماء علي الأرض إن لم يكن مريدي جيدًا فأنا جيد.

وعزة ربي وجلاله، لا برحت قدماي من بين يدي ربي حتي ينطلق بي وبكم إلي الجنة»[٣].

وذكر الشعراني وغيره أنه كان يقول:

«أيما امرىء مسلم عبر علي باب مدرستي خفف الله عنه العذاب إلي يوم القيامة.

وكان رجل يصرخ في قبره ويصيح حتي آذي الناس فأخبروه به، فقال: إنه رآني مرة ولا بدّ أن الله تعالي يرحمه لأجل ذلك.

فمن ذلك الوقت ما سمع له أحد صراخًا»[٤].

---

(١) بهجة الأسرار ص٩٤.

(٢) بهجة الأسرار ص ٩٩، قلائد الجواهر ص١٥، أخبار الأخيار.

(٣) بهجة ص ١٠٠.

(٤) طبقات الشعراني ج١ ص١٢٦ ، بهجة الأسرار ص١٠١، قلائد الجواهر ص١٥.

وكان يقول: «عثر الحلاج فلم يكن في زمانه من يأخذ بيده، ولو كنت في زمنه لأخذته بيده، وأنا لكل من عثر مركوبه من أصحابي ومريدي ومحبي إلي يوم القيامة، آخذ بيده... هذا فرسي مسرج، وسيفي شاهر، ورمحي منصوب وقوسي موتد، أحفظك وأنت غافل»(١).

وكان يقول:

من استغاث بي في كربة كشفت عنه.

ومن ناداني باسمي في شدة فرجت عنه.

ومن توسل بي في حاجة قضيت له.

ومن صلي ركعتين يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة الإخلاص إحدي عشرة مرة ثم يصلي علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد السلام ويسلم عليه ويذكرني، ثم يخطو إلي جهة العراق إحدي عشرة خطوة ويذكر اسمي ويذكر حاجته فإنها تقضي بإذن الله»(٢).

هذا وإن الصوفية رووا عنه أنه: قيل له: إننا نصوم مثل ما تصوم، ونصلي مثل ما تصلي، ونجتهد مثل ما تجتهد، وما نري من أحوالك شيئًا؟

فقال رضي الله عنه: زاحمتمونا في الأعمال، أتزاحمونا في المواهب؟

والله ما أكلت حتي قيل لي: بحقي عليك كل، ولا شربت حتي قيل لي: بحقي عليك اشرب، وما فعلت شيئًا حتي أمرت بفعله.

إلي أن قال فيها أيضًا: وقال رضي الله عنه: رأيت في المنام كأني في حجر عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأنا أرضع ثديها الأيمن، ثم أخرجت لي ثديها الأيسر فرضعته – عياذًا بالله علي نقل هذه الإهانة – فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا عائشة، هذا ولدنا حقًا»(٣).

فهؤلاء القادرية أحيانًا أتصفوه بصفات الرب جلّ وعلا، وأحيانًا جعلوه نبيا لا

(١) قلائد الجواهر ص١٧، بهجة الأسرار ص١٠٢.

(٢) بهجة الأسرار ص (١٠٢).

(٣) الفتح المبين لظهير الدين القادري ص٤٠.

يفعل شيئًا إلا إذا أمر، وأحيانًا ذكروا عنه وقائع، ونسبوا إليه مناقب وفضائل فيها إهانة للنبي الطاهر المطهر وأهله صلوات الله وسلامه عليه.

ثم وإنهم قالوا: قال الشيخ أبو سليمان داود المنبجي: «كنت يومًا عند الشيخ عقيل المنبجي ﷺ، فقيل له: قد اشتهر ببغداد شاب أعجمي شريف اسمه عبد القادر فقال الشيخ عقيل: وإن أمره في السماء أشهر منه في الأرض»[١].

وأما كراماته التي يروي عنه المتصوفة فإنها لا تعدّ ولا تحصي، فإنها تبنئ وتخبر بأن جميع اختيارات الرب وقدراته بيده، إن لم يزدد عليها فلم ينقص عنها.

وهذه بعض المختطفات منها «أنه توضأ يومًا فبال عليه عصفور فرفع رأسه إليه فإذا هو ميت»[٢].

وأكثر منها أنه مرّ علي مجلسه حدأة فصاحت، فشوّشت علي الحاضرين، فقال يا ريح، خذي رأس هذه الحدأة فوقعت لوقتها في ناحية ورأسها في ناحية، فنزل الشيخ عن الكرسي وأخذها بيده وأمرّ يده الأخري وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، فحييت وطارت»[٣].

ومثل هذه كثيرة جدًا نقلنا بعضًا منها في باب «أولياء أم آلهة».

وقد نسبت إليه كذلك منظومات تدلّ علي أن الجيلاني كان يقدّم نفسه كإله مالك الاختيارات والقدرات.

وعن تلك المنظومات قال المستشرق براؤن: إن الأشعار التي نسبت إلي الشيخ عبدالقادر تدّل إليه، يبدو أنها ليست من كلامه»[٤].

وقال العلامة رشيد رضا: بنقل عن الشيخ الجيلاني من الكرامات وخوارق العادات ما لم ينقل من غيره أو النقاد من أهل الرواية لا يحفلون بهذه النقول إذ لا أسانيد لها يحتج بها (دائرة المعارف ج١١ ص ٦٢٣)[٥].

(١) الطبقات الكبري للشعراني ج١ ص١٢٧، أيضًا الفتح المبين ص٢١ – جامع كرامات.
(٢) الأولياء للنبهاني ٢/ ١١.
(٣) جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج٢ ص٩١.
(٤) دار المعارف الإسلامية ملخصًا مقال المستشرق براؤن عن الشيخ عبد القادر الجيلاني.
(٥) دائرة المعارف ج١١ ص٦٢٣.

وما أحسن ما قاله الإمام الذهبي في الشيخ عبد القادر الجيلاني: «ليس في كبار المشايخ من له أحوال وكرامات أكثر كما الشيخ عبد القادر لكن كثيرًا منها لا يصح، وفي بعض ذلك أشياء مستحيلة... وفي الجملة الشيخ عبد القادر كبير الشأن وعليه مآخذ في بعض أقواله ودعاويه والله الموعد، وبعض ذلك مكذوب عليه»[(١)].

وما قاله الذهبي نقل مثله عن شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا، وهو صحيح، لا يظن أن مثل الشيخ عبد القادر الجيلي يتكلم بمثل ما نقلوا عنه ورووه ولا يقول بمثل ما حكوا عنه والله أعلم.

وعلي كل فإن الشيخ توفي بعد عمر طويل ناهزت تسعين سنة ٥٦١هـ، ودفن ببغداد في مدرسته.

وهناك أوراد ووظائف ينقلونها عن الشيخ وعن خلفائه تسمي بأذكار القادرية وأورادها. وسنده في التصوف والخرقة إلي الحسن البصري حسب ما يزعمون، وأنه لبس الخرقة من الحسن رضي الله عنه مع أن لقاء الحسن البصري لم يثبت في القول الصحيح فهؤلاء هم القادرية وعقائدهم.

وبقيت هناك قضية كنا وعدنا بذكرها في ترجمة الجيلي، وهو علاقة الجيلي مع متصوفة عصره وزمانه، وعلي رأسهم معاصره المشهور أبو العباس أحمد الرفاعي الذي ينازعه في الولاية والقطبية والغوثية وعلي رئاسة متصوفة ذلك الزمان.

فإن الرفاعية يقولون: إن الشيخ عبد القادر الجيلاني كان تحت رعاية وسيادة الرفاعي.

والقادرية يدّعون أن الأمر معكوس، وإن الرفاعي هو الذي كان تابعًا للجيلاني، والجيلاني كان متبوعًا، ثم يختلق كل واحد من هذه الطوائف روايات وحكايات مزوّرة مكذوبة لترجيح مرشدهم وتفضيل سيدهم علي الآخر.

فالرفاعية يحكون عن حسن النقيب أنه قال: «حضرنا في مجلس الشيخ الكبير السيد أحمد مع جماعة من المشايخ الكبار ذوي القدر والافتخار أصحاب الكرامات والأسرار

(١) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ج٢٠ ص٤٥٠، ٤٥١.

منهم سيدي بنائن بطو ومنهم سيدي حماد الدباس ومنهم سيدي أبو سعيد الخراز علي المخزومي ومنهم سيدي أحمد بن تاج الدين أبو الوفا. ومنهم سيدي عبد الرزاق الواسطي. ومنهم منصور بن الحسين الواسطي، ومنهم عقيل المنيجي، ومنهم سيدي حباب بن قيس الحراني. ومنهم سيدي عبد القادر الكيلاني. ومنهم سيدي أحمد الأزرق، ومنهم سيدي محمد بن عبدو. ومنهم سيدي عدي بن مسافر الشامي. وغيرهم من بقية الأولياء العظام. وهم ببلاد الشط علي شاطئ الفرات يتحادثون في علوم وأسرار عجيبة وأحوال غريبة أطلعهم الله عليها. فبينما هم كذلك إذ قام من القوم رجل والتفت بالكلام إلي الشيخ الكبير السيد أحمد والحاضرين وقال أي سادة أيدكم الله بصدق الكلام والسعادة. ما منا إلا ومن هو تحدثه نفسه بأنه شيخ الشيوخ وسلطان العارفين وهذه دعوة لا دليل لها إلا ببرهان قوي مبين. فأطرق الحاضرون رءوسهم ولم يرد أحد جوابه فعاد القول ثانيا وثالثًا فالتفت إليه الشيخ السيد أحمد بن أبي الحسن الرفاعي، وقال: حشرت مع فرعون وهامان وقارون إن خطر ببالي إنني شيخ علي أحد من خلق الله تعالي مطلقًا إلا أن يتغمدني الله برحمته فأكون كأحد المؤمنين لكن أي سادة انظروا إلي أمامكم من ذلك الشاطئ ماذا ترون. فقالوا أي سيدنا نري شجرة كبيرة ممتدة الأغصان طويلة الأفنان فقال لهم أي سادة من كان منكم يريد مشيخة الشيوخ إليه فيدعوها بأن تأتي إليه إلي هذا الجانب فنقوم كلنا نبايعه ونكون في خدمته ونرعي حقّ حرمته فلما سمعوا كلامه قاموا كلهم ودعوها واحد بعد واحد فلم تتحرك بحركة. فلما قام قطب الوجود سيدي تاج العارفين أبو الوفا ودعاها تمايلت واضطربت اضطرابًا شديدًا حتي كادت أن تنكسر ولم تنم من مقامها. فقام قطب السادات السيد عبد القادر الكيلاني ودعاها فقامت من مكانها وسعت إلي عند كنار البحر ووقفت هناك فلما جاءت نوبة الشيخ الكبير السيد أحمد جاءوا إليه وقالوا له نريد نوبتك أي سيدي. فقال لهم ومن هو حميد اللاش حتي يكون له نوبة. فقالوا له نقسم عليك بالعزيز سبحانه أن نقوم في نوبتك وندعوها حتي نري مقام عزتك فقال. لهم أي سادة أقسمتم علي بعزيز لا يمكنني المخالفة. وقام قائمًا علي قدميه وقال أي خلق الله

أقسم عليك بالعزيز سبحانه إلاما أجبت دعوتي. وأتيتني طائعة مقرة بما ألهمك الله تعالي به. فشقت الأرض والبحر وأتت طائعة مقرة شاهدة بلسان عربي فصيح قائلة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله وإنك شيخ الشيوخ علي الإطلاق وشيخ أهل الأرض والسماء بالوفاق فلما شاهدوا من كراماته ما شاهدوه عيانًا. قاموا علي أقدامهم وكشفوا رءوسهم. وبايعوه أن يكون شيخًا عليهم وعلي كل من يلوز بهم. هو وذريته إلي يوم القيامة»(١).

والقادرية يروون أنه لما قال الجيلاني في بغداد: «رقبتي علي كل ولي لله طأطأت رءوسها له، ونقل أن السيد أحمد الرفاعي كان آنذاك في بلدته أم عبيدة: وعلي رقبتي أيضًا»(٢).

وقد مرّ بعض تفصيله فيما سبق.

وأيضًا: «قال نقيب الأولياء أبو العباس الخضر: مثله ممن أطلعه الله علي مقامات الأولياء كلهم ما هو نص في عموم فضله وشرفه علي المتقدمين والمتأخرين»(٣).

وروي ابن الملقن ما يؤيد القادرية، عند ذكر الرفاعي حيث نقل عن أبي العباس الخضر بن عبد الله الحسني الموصلي أنه قال:

«كنت يومًا جالسًا بين يدي الشيخ عبد القادر الجيلاني، فخطر في نفسي زيارة الشيخ أحمد، فقال الشيخ: أتحب رؤيته؟

فقلت: نعم، فأطرق وقال: حضر، فقمت إليه وسلمت عليه، فقال: يا خضر! ومن يري مثل الشيخ عبد القادر سيد الأولياء يتمنّي رؤية مثلي؟ وهل أنا إلا من رعيته! ثم غاب. فبعد وفاة الشيخ زرته، فقال لي: يا خضر! ألم تكفك الأولي؟»(٤).

* * *

---

(١) قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتابعه الأكابر محمد أبي الهدي الرفاعي ص٩١، ٩٢.

(٢) انظر الفتح المبين، قلائد الجواهر، بهجة الأسرار ونشر المحاسن الغالية. وغيرها من الكتب، وقد مرّ ذكر أرقام الصفحات فيما سبق.

(٣) الفتح المبين لظهير الدين القادري ص١١١.

(٤) طبقات الأولياء لابن الملقن ص١٠٠.

التيجانية

ومن طرق التصوف المشهورة في بلاد أفريقيا والمغرب العربي «التيجانية» نسبة إلي أبي العباس أحمد بن محمد بن المختار التيجاني المولود بقرية عين ماضي سنة ١٥٠ هـ(١).

والمدعي انتسابه إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا بطريقة علمية بإثبات نسبه وأسرته إلي الأشراف السادة، بل بدعوي الكشف والإلهام حيث قال: أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن نسبه يقظة فردّ عليه أن نسبه إلي الحسن بن علي صحيح(٢).

والمنتقل من طريقة إلي طريقة، ومن صوفي إلي صوفي إلي أن ادّعي بأنه «رأي بعيني رأسه ووجهه سيد الأكوان يقظة لا في المنام، وتشرف بمشاهدة الطلعة البدرية البهية النورانية المصطفوية، فصرح له عليه الصلاة والسلام بأنه شيخه ومربيه وكافله، وأنه لا منة لمخلوق عليه سوي سيد الأنام، وأمره بترك جميع ما أخذ من مشايخ الطوق وسادة الصوفية، لأنه إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل علي التحقيق وأنه لا مزية للانفصال إذا وجد الاتصال بصاحب الشفاعة العظمي يوم الزحام»(٣).

إلي أن بلغ درجة لم يبلغها الأولون ولا الآخرون، فقال:

«إن الفيوض التي تفيض من ذات سيد الوجود صلى الله عليه وسلم تتلقاها ذوات الأنبياء، وكل ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقاها ذاتي، ومني تتفرّق علي جميع الخلائق من نشأة العالم إلي النفخ في الصور، وخصصت بعلوم بيني وبينه منه إليّ مشافهة لا يعلمها إلا الله عز وجل بلا واسطة وتحاور بعض أصحابه رضي الله عنه مع بعض الناس في قوله رضي الله عنه «كل الشيوخ أخذوا عني في الغيب»، فحكي له ذلك فقال رضي الله عنه مشيرٌ بأصبعيه السبابة والوسطي: روحي وروحه صلى الله عليه وسلم، هكذا روحه صلى الله عليه وسلم تمدّ

(١) كشف الحجاب لأحمد بن العياش سكيرج ص١٠ ط مصطفي البابي الحلبي القاهرة ١٩٦١م، جواهر المعاني لعلي حرازم الفاسي ج١ ص٢٦، ٢٧ الدار السنية في شروط وأحكام أوراد الطريقة التيجانية لمحمد سعد بن الرباطاني التيجاني ص٢٦ ط مكتبة القاهرة، الأعلام للزركلي ج١ ص.

(٢) كتاب جواهر المعاني لعلي بن حرازم الفاسي ج١ ص٣٠ط مصطفي البابي الحلبي.

(٣) انظر النفحة القدسية في سيرة الأحمدية التيجانية للجوسكي ص١٦٠ المندرج في الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التيجاني لمحمد بن عبد الله التيجاني ط مصطفي البابي الحلبي القاهرة ١٩٨٥م.

الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وروحي تمدّ الأقطاب والعارفين والأولياء من الأزل إلي الأبد[١].

وإنه هو خاتم الأولياء كما نقل عنه محمد العربي السائح التيجاني أنه أخبر تصريحًا علي الوجه الذي لا يحتمل التأويل «أن سيد الوجود أخبره يقظة بأنه هو الخاتم المحمدي المعروف عند جميع الأقطاب والصديقين وبأن مقامه لا مقام فوقه في بساط المعرفة بالله[٢].

ويقولون فيه:

«إذا جمع الله خلقه في الموقف ينادي بأعلي صوته حتي يسمعه كل من في الموقف يا أهل المحشر، هذا إمامك الذي كان مددكم منه. قال في منية المريد:

يـصعد منـبرًا مـن النـور غـدًا ... يـسمو بـه الكـل سـني وسـؤددًا
ثـم ينـادي عنـد ذا منـادي ... يـا أهـل ذا المحـشر وهـذا النـادي
هـذا إمـامكم وذا مـدّكم ... في دار دنيـاكم بغـير علمكـم

قلت: وفي هذا اليوم يظهر تفاضل الأولياء والعارفين والأغواث والصديقين، وتفاوت درجاتهم ومراتبهم بإظهار الله الفاضل وتمييزه من المفضول، ويظهر ذلك لكل من في الموقف بالعيان، ولذلك يسمي يوم التغابن، وفيه يظهر لكل موقف سعيد ولكل شقي طريد إن شيخنا وسيدنا وأستاذنا أبا العباس، سيدي الشيخ أحمد التيجاني الحسني رضي الله عنه وعنا به آمين، وهو الختم المحمدي المعلوم، والقطب المكتوم، والبرزخ المختوم، فيغنم الموقف السعيد، ويندم الشقي الطريد. قال تعالي ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾[٣].

وبالغوا في تمجيده وتعظيمه حيث نقلوا عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: «اطلعت علي ما رسمه وخطه ونصه... أسأل من فضل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضمن لي دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب في أول الزمرة الأولي، أنا وكل

(١) كشف الحجاب لسكيرج ص٦.

(٢) بغية المستفيد لمحمد عمر ص١٩٣ط البابي الحلبي ١٩٥٩م.

(٣) الفتوحات الربانية في الطريقة التجانية للشنقيطي ص١٤٥ المندرج في الفتح الرباني.

أب وأم ولدوني من أبوي إلي أول أب وأم لي في الإسلام من جهة أبي ومن جهة أمي، من كل ما تناسل منهم من وقتهم إلي أن يموت سيدنا عيسي ابن مريم من جميع الذكور والإناث... وكل من أحسن إلي بإحسان حسي أو معنوي من مثقال ذرة فأكثر... وكل من لم يعاديني من جميع هؤلاء أما من عاداني وأبغضني فلا، وكل من والاني واتخذني شيخًا أو أخذ عني ذكرًا، وكل من خدمني أو قضي لي حاجة... وآباؤهم وأمهاتهم وأولادهم وبناتهم وأزواجهم... يضمن لي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولجميع هؤلاء أن نموت وكل حي منهم علي الإيمان والإسلام... ثم قال: كل ما في هذا الكتاب ضمنته لك ضمانة لا تتخلف عنك وعنهم أبدًا، إلي أن تكون أنت وجميع من ذكرت في جواري في عليين. وضمنت لك جميع ما طلبته منا ضمانًا لا يخلف عليك الوعد فيها والسلام... ثم قال: وكل هذا واقع يقظة لا منامًا»(١).

وتطاول التجاني علي أنبياء الله ورسله، ونصب نفسه علي درجة الربوبية والألوهية المطلقة حيث قال :

«وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلاّ أنا وحدي»(٢).

وكيف لا يكون هذا وإنه قطب؟ وما أدراك ما القطب؟ وقد عرّف حقيقة القطبانية حيث قال علي بن حرازم:

«اعلم أن حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمي عن الحق مطلقًا في جميع الوجود جملة وتفصيلاً، حيثما كان الرب إلهًا كان هو خليفة في تصريف الحكم وتنفيذه في كل من عليه ألوهية الله تعالي، ثم قيامه بالبرزخية العظمي بين الحق والخلق فلا يصل إلي الخلق شيء كائنًا ما كان من الحق إلا بحكم القطب وتوليه ونيابته عن الحق في ذلك، وتوصيله كل قسمة إلي محلها، ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجود وجملة وتفصيلاً، فتري الكون كله أشباحًا لا حركة لها وإنما هو الروح القائم

---

(١) جواهر المعاني ج١ ص١٣٠، ١٣١.

(٢) رماح حزب الرحيم ج٢ ص١٤٣ بهامش الجواهر.

فيها جملة وتفصيلاً، وقيامه في أرواحها وأشباحها، ثم تصرفه في مراتب الأولياء فيذوق مختلفات أذواقهم فلا تكون مرتبة في الوجود للعارفين والأولياء خارجة عن ذوقه، فهو المتصرف فيها جميعها، والمعد لأربابها، وله الاختصاص بالسر المكتوم الذي لا مطمع لأحد في دركه والسلام»[١].

وعنه يقول صحب الرماح: أنه خاتم الأولياء وسيد العارفين وأمام الصديقين وممدّ الأقطاب والأغواث، وأنه هو القطب المكتوم، والبرزخ المختوم الذي هو الواسطة بين الأنبياء والأولياء بحيث يتلقي واحد من الأولياء من كبر شأنه ومن صغره فيضًا من حضرة نبي إلا بواسطته رضي الله عنه من حيث لا يشعر بذلك[٢].

هذا ولقد أدعي التجاني كذبًا وزورًا، ظلمًا وبهتانًا، تعاليا وتكبرًا:

«من حصل له النظر فينا يوم الجمعة أو الإثنين يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب إن لم يصدر منه سبّ في جانبنا ولا بغض»[٣].

ويقول محمد العمري التجاني صاحب «البغية» متعمدًا الكذب علي النبي صلى الله عليه وسلم أنه هو الذي قال له بذلك:

«وأما الكرامة الثالثة وهي دخول الجنة لمن رآه رضي الله عنه في اليومين الإثنين والجمعة فهي من كراماته رضي الله عنه التي طارت بها الركبان وتواترت بها الأخبار في سائر الأقطار والبلدان، بأخبار من النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه الشريف فيما أخبر به سيدنا رضي الله عنه بعزة ربي: يوم الإثنين والجمعة لا أفارقك فيهما من الفجر إلي الغروب ومعي سبعة أملاك، وكل من يراك في اليومين يكتبون - يعني الأملاك السبعة - اسمه في رقعة من ذهب، ويكتبونه من أهل الجنة وأنا شاهد علي ذلك»[٤].

ويفوق هذا الدعي علي النبي الصادق المصدوق، ويرجح نفسه عليه حيث يقولون:

---

(١) جواهر المعاني ج٢ ص٧٤.

(٢) رماح حزب الرحيم ج ٢ ص٤.

(٣) جواهر المعاني ج٢ ص١٨٠.

(٤) بغية المستفيد ص٢١٦.

«فيدخل الكفار في هذا الخطاب وينسحب عليهم الحكم في هذا المقام بفضل الملك الوهاب... فتختص الرؤية المطلقة في كل يوم بمن كان مسلمًا سواء كان من الأصحاب أم لا حسب ما هو به في الجواهر، وهذه المقيدة باليومين بما يشمل كل من رآه ولو كان كافرًا(١).

ويقول صاحب «الفتح الرباني»:

«من رآه ﷺ يوم الاثنين أو يوم الجمعة يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب بضمانته صلى الله عليه وسلم، وكذلك من رآه في بقية أيام الجمعة، ولكن يختص رائيه اليومين المذكورين بأن يسعد سعادة لا شقاوة بعدها، يعني أنه لا يراه في هذين اليومين إلا من سبق في علمه تعالي أنه يكون سعيدًا ويدخل في ذلك الكافر»(٢).

ليست الجنة لمن رآه فحسب من المسلمين والكافر، بل لكل من رأي حلّته أيضًا حسب ذكر عمر بن سعيد الفوطي أنه قال:

وقال شيخنا التجاني: «من رأي هذه الحلّة دخل الجنة، ثم ألبسني أياها»(٣).

ونقلوا عن التجاني هذا أنه كان يسكن فاس، ومرة أراد الانتقال منها إلي الشام فمنعه عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ملبيًّا طلب أولياء الغرب كما يذكر سكيرج وغيره من التجانيين أن التجاني:

«أزمع علي الانتقال من فاس وعزم علي الارتحال إلي القطر الشامي بجميع ما معه من الأهل والعيال بقصد الاستيطان به... فبينما هو ﷺ قد أخذ أهبة السفر ولم يبق له إلا الخروج لهذا الوطن وقد نزل بأصحابه بسبب هذا الأمر من الحيرة والنكد ما يذهل الوالد عن الولد حتي كادت أن تتفتت أكبادهم إذا أشرف عليهم نور غرته، وطلع عليهم بهاء محياه الكريم فبشرهم بما هو الشفاء مما دهاهم، وذلك بأن قال لهم:

إن أولياء الغرب أبوا أن يفقدوا من بين ظهرانيهم نوره وسناه فطلبوا من حضرة سيد الوجود ورغبوا إليه صلى الله عليه وسلم في بقاء وجوده العيني وشخصه المشهود

---

(١) بغية المستفيد ص٢١٦.

(٢) الفتح الرباني ص٨٢ ، ٨٣.

(٣) رماح حزب الرحيم ج١ ص١٨٢.

بين الأغوار من قطرهم المبارك لأنه صلى الله عليه وسلم مربيه وكفيله، فأجابهم صلى الله عليه وسلم لمطلبهم، وأسعفهم بمرغبهم، فأذن له في المقام وعدم الترحال فلم يمكنه إلا الانقياد والامتثال، فعند ذلك قرت به الحضرة الفاسية.

وكان ﷺ يقول حين يضيق خاطره من أمور الخلق ويري إعراضهم عن الحق: «والله لولا خوف الله ندعو علي أولياء المغرب لأنهم تسببوا له في سكني فاس بعد أن كان قصده أن يسكن الشام»[(١)].

ويكذب التجانيون حيث يقولون: «إن من كرامات التجاني رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة دائمًا أبدا بحيث لا يغيب عنه طرفة عين، وسؤاله له عن كل أمره، ومشاورته في كل شيء دقّ أو جلّ، والتربية علي يديه»[(٢)].

وبني التجاني زاويته هناك بحومة درداس المعروفة اليوم بالبليدة سنة ١٢١٥هـ.

وقالوا فيها: إن هذه الزاوية المباركة لها من المزايا ما افتخرت به علي جميع الزوايا، حتي أن سيدنا ﷺ كان يتكلم يومًا في فضلها فقال: لو علم أكابر العارفين ما في الزاوية من الفضل لضربوا عليها خيامهم. وكان ﷺ كثيرًا ما ينوه بقدرها، ويحضّ علي الصلاة فيها ويقول: الصلاة في الزاوية مقبولة قطعًا، وإلي هذا أشار صاحب المنية بقوله:

ومـــا بزاويتـــه يـــصلي ... قطعًـــا يكـــون للقبـــول أهـــلا[(٣)]

فهذا هوالتجاني شيخ الطريقة التجانية.

وللتجانية أوراد ووظائف مثل الطرق الصوفية الأخري وهم يبالغون ويغلون في بيان فضائلها وثوابها مبالغة قلّما يبلغ أحد مبلغهم في ذلك، ومن أورادهم «صلاة الفاتح لما أغلق»، وهذا هو نصها:

«اللهم صلّ علي محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، الهادي

---

(١) كشف الحجاب لسكيرج ص١٨، ١٩.

(٢) الفتح الرباني ص٨٢.

(٣) كشف الحجاب لسكيرج ص٢١، كذلك الفتح الرباني ص٨٤ وغيرهما من الكتب.

إلي صراطك المستقيم، وعلي آله حق قدره ومقداره العظيم»(١).

ثم سردوا فضائلها ومناقبها فقالوا:

«أخبر شيخنا رضي الله عنه أنه سأل سيد الوجود صلى الله عليه وسلم عنها، فأخبره بأن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر، ومن كل دعاء صغير أو كبير ستة آلاف مرة، ثم قال: وخاصية الفاتح لما أغلق أمر إلهي لا مدخل للعقول فيه، فلا يلتفت إلي تكذيب مكذب، ولا قدح قادح، فإن لله سبحانه وتعالي فضلاً خارجًا عن دائرة القياس، ويكفيك قوله تعالي ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ فما توجه متوجه إلي الله تعالي بعمل يبلغها وإن كان ما كان، ولا توجه متوجه إلي الله تعالي بأحب إليه منها، ولا أعظم عند الله حظوة إلا مرتبة واحدة، وهي من توجه إلي الله باسمه العظيم الأعظم لا غير، وتليه في الرتبة صلاة الفاتح لما أغلق، ولا يحصل هذا الخير إلا لمن صدق بها سمع وسلم لفضل الله، وأنه لا يأخذه الحد والقياس.

ثم قال: واعلم أن كل ما تذكره من الأذكار والصلاة علي النبي صلى الله عليه وسلم والأدعية لو توجهت بجميعها مائة ألف عام كل يوم تذكرها مائة ألف مرة وجمع ثواب ذلك ما بلغ مرة واحدة من صلاة الفاتح لما أغلق»(٢).

وأما صاحب الفتح فيقول: أما صلاة الفاتح فلها من الفضل ثمان مراتب، والمذكور من فضلها جزء من المرتبة الأولي فقط، وغير ذلك كله مكتوم.

ومما ذكر من فضلها غير المكتوم: أن من قرأها مرة واحدة في اليوم تضمن له سعادة الدارين، ومنه أن المرة الواحدة منها تكفر جميع الذنوب وتعدل من كل تسبيح وذكر ودعاء صغيرًا أو كبيرًا وقع في الكون ستة آلاف مرة، ومنه أن من يصلي بها عشر مرات يحصل ثوابًا أكبر من ثواب ولي عاش ألف سنة دون أن يذكرها، ومنه أن المرة الأولي منها بستمائة ألف صلاة من صلاة كل ملك وإنس وجنّ من أول خلقهم إلي وقت تلفظ الذاكر بها، والمرة الثانية مثلها، ويضاف عليها ثواب الأول، والمرة الثالثة مثلها،

(١) الفتوحات الربانية في الطريقة الأحمدية التجانية للشنقيطي ص١١٥.
(٢) أيضًا ص١١٥.

ويضاف عليها ثواب الأولي والثانية وهكذا، ومنه أن من يواظب علي قراءتها كل يوم مرة يموت علي الإيمان، ومنه أنه إذا حصل للمصلي بها شيء يحبط عمله فإنها لا تحبط في جملة ما يحبط، ومنه أن من قرأها ليلة الجمعة مائة مرة تكفر عنه ذنوب أربعمائة سنة، ومنه غير ذلك مما لا يسعه هذا الكتاب المختصر.

وفضلها الخاص يحصل بشرطين: الأول إذن الشيخ رضي الله عنه ولو بوسائط. الثاني اعتقاد أنها ليست من تأليف البشر، بل وردت لسيدي محمد البكري من حضرة الغيب، ومن فضلها العام أن المرة الواحدة منها فدية من النار.

قال سيدي محمد البكري رضي الله عنه: من قرأ هذه الصلاة مرة ولم يدخل الجنة يقبض بين يدي الله تعالي، وقد ذكر الهاروشي في (شرح كنوز الأسرار) أن المرة الواحدة من هذه الصلاة بستمائة ألف صلاة، وهاتان الفضيلتان يحصلان بلا اشتراط ما تقدم لأنهما من الفضل العام.

وبالجملة فصلاة الفاتح لما أغلق أشرف الصلوات، ولم يصلّ أحد علي النبي صلى الله عليه وسلم بمثلها، لأن لها من الفضل ما يبهر العقول:

قال شيخنا رضي الله عنه: وخاصية الفتح لما أغلق أمر إلهي لا مدخل فيه للعقول، فلو قدرت مائة ألف أمة في كل أمة ألف قبيلة في كل قبيلة مائة ألف رجل وعاش كل واحد منهم مائة ألف عام يذكر كل واحد منهم في كل يوم مائة ألف صلاة علي النبي صلى الله عليه وسلم من غير الفاتح وجمعت ثواب هذه الأمم كلها في مدة هذه السنين كلها في هذه الأذكار كلها ما لحقوا كلهم ثواب مرة واحدة من صلاة الفاتح لما أغلق»[1].

وقال صاحب الجواهر نقلاً عن التجاني أنه قال: «سألته صلى الله عليه وسلم عن فضلها فأخبرني أولاً بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ستّ مرات، ثم أخبرني ثانيا أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون، ومن كل ذكر، ومن كل دعاء كبير أو صغير، ومن القرآن ستة آلاف مرة لأنه من الأذكار[2].

(١) الفتح الرباني ص٩٩، ١٠٠.

(٢) جواهر المعاني ج ١ ص٣٦.

ونقل الرباطابي عن الهاروشي أنه قال: «إن صلاة الفاتح لما أغلق تعدل ستمائة ألف صلاة فانظره واقدرْ قدر ما ينال المصلي من صلاة الله تعالي عشر عشرًا، وقال في شرحه أيضًا: قال شيخنا العياش ﷺ : من قرأ هذه الصلاة مرة ولم يدخل الجنة يقبضني بين يدي الله تعالي[١].

فانظر إلي تلك الأكاذيب والأباطيل كيف يروون تلك الفضائل ومن الثواب ذلك المقدار علي ورد اخترعوه، وذكر اختلقوه، وصلاة ابتدعوها ويفضلونها علي أوراد الأنبياء وأذكار الرسل والصلاة التي علّمها رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع أن هذه الصلاة خالية عن السلام، وأن صيغته لا تضاهي تلك الصيغة النبوية عليها مسحة إلهية وفيها نفحة ربانية.

وبذلك يلهون الناس عن قراءة القرآن والتمسك بألفاظ وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجة أن التجاني أيضًا تلقاها عن النبي مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلقنها أفضل الخلائق بعد الأنبياء والرسل أبا بكر الصديق ومن تلاه في المرتبة والمنزلة عمر الفاروق ومن يليهما عثمان بن عفان صهر رسول الله وزوج كريمته الملقب بذي النورين والخليفة الراشد الرابع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، مع ما في أقوالهم من الحث علي ترك العلم، والترغيب والتحريض علي الاعتناء بهذه المجازفات والمبالغات.

وهناك أوراد أخري منها ما يسمونها جوهرة الكمال، ولفظها:

«اللهم صل وسلم علي عين الرحمة الربانية والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني ونور الأكوان المتكونة الآدمي صاحب الحق الرباني البرق الأسطع بمزون الأرباح المالئة لكل متعرض من البحور والأواني ونورك اللامع الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكاني اللهم صل وسلم علي عين الحق تتجلي منها عروش الحقائق عين المعارف الأقوم صراطك التام الأسقم اللهم صل وسلم علي طلعة الحق الكنز الأعظم إفاضتك منك إليك إحاطة النور المطلسم صلي إليه عليه وعلي آله صلاة

(١) الدرر السنية في الطريقة النجانية للرباطابي ص٦٠ ط مطبعة حجازي القاهرة ١٣٧٥هـ.

تعرفنا بها إياه، اثني عشرة، ذكر الجمعة ويتبع الورد أيضًا في اللزوم حضرة الجمعة وهي أن يذكر بعد صلاة العصر من يوم الجمعة قبل الغروب بساعة ونصفها يأتي الوجود لا إله إلا الله ألفًا ومائتين أو الاسم المفرد الله الله ألفًا ومائتين وبعضهم يجعلها ألفًا وخمسمائة حتي يستغرق في الذكر ثم يذكر الاسم المفرد الله الله حتي يتم العدد وبعضهم يجعلها ألفًا وستمائة وقال بعضهم أقل العدد للذكر بها ألف مرة إلي غروب الشمس بعدد وبدون عدد ومن كان عنده ضرورة شرعية يقرأ العدد ثم يمضي لضرورته بعد انتهائه»[1].

ويقولون في فضلها: وأما جوهرة الكمال فهي من إملاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لسيدنا الشيخ رضي الله عنه يقظة لا منامًا فمن فضلها الذي ذكره الشيخ رضي الله عنه أن المرة منها تعدل تسبيح العالم ثلاث مرات بشرط الطهارة المائية وأن من لازمها كل يوم سبع مرات يحبه النبي صلى الله عليه وسلم وأن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة يحضرون مع الذاكر عند السابعة منها ولا يفارقونه حتي يفرغ من ذكرها وهذا من باب خرق العادة، ومنها أن من قرأها عشرة مرات وقال هذه هدية مني إليك يا رسول الله فكأنما زار النبي صلى الله عليه وسلم والأولياء والصالحين من أول الوجود إلي وقته ومنها أن من نزلت به شدة أو ضيق وقرأها خمسًا وستين مرة فرج الله عنه في الحين وفضل الله أوسع يختص به من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن أراد زيادة فعليه بكتب هذه الطريقة كجواهر المعاني والرماح وأما فضل ذكر يوم الجمعة بعد صلاة العصر يكفي في فضله حضور النبي صلى الله عليه وسلم من أول الذكر إلي آخره، قال صاحب المنية:

يكفيك في الفضلة حضور المصطفي ... صلي عليه ربنا وشرفا[2]

وغيرها من الخرافات.

ثم بَينوا لها شروطًا وآدابًا يطول ذكرها لكن نذكر الأهم لكي يعرف خبث القوم

(١) أيضًا ص١٢.

(٢) الدرر السنية ص٢٥.

وحقيقتهم، فيقول الرباطابي:

«من الشروط أن يكون الشيخ الذي يلقّن الأوراد اللازمة والاختيارية مأذونًا إذنًا صحيحًا من القدوة أو من أذن له.

الثاني: أن يكون طالب التلقين خاليًا من أوراد المشايخ أو ينسلخ عنها ولا يعود لها أبدًا لأن مريد السير إلي الله تعالي لا يصلح أن يكون بين شيخين كما لا يصلح أن تكون زوجة بين زوجين.

الثالث: عدم زيادة الأولياء الأحياء والأموات وله زيادة الأنبياء والصحابة رضي الله عنهم وأصحاب سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه الأحياء والأموات قال سيدنا الشيخ رضي الله عنه : ثلاثة تقطع المريد عنا أخذ ورد علي وردنا وزيارة الأولياء الأحياء والأموات وترك الورد أي تركًا كليًّا ولا يتهاون به وأما تركه كسلاً فلا يخرجه عن الطريقة لأنه لم يتركه وتركًا قلبيًّا ولا أعرض عنه إعراضًا كليًّا إلا أنه عرض نفسه للمصائب بسبب تركه، وفي الإفادة الأحمدية من ترك الورد بعد أخذه له حل به الهلاك في الدنيا والآخرة، وليس منع الزيادة في طريقتنا هذه الأحمدية التيجانية تكبرًا علي ساداتنا الأولياء الكرام ومعاذ الله أن يصدر ذلك منا في جنابهم الأعز الرفيع وجنابهم عندنا محترم غاية الاحترام قال سيدنا أحمد التيجاني رضي الله عنه : عظموا حرمة الأولياء الأحياء والأموات فإن من عظم حرمتهم عظم الله حرمته ومن أهانهم أذله الله وغضب عليه فلا تستهينوا بحرمة الأولياء، ومحبة أولياء الله رضي الله عنهم شرط من شروط طريقتنا».

السابع: أن لا يصدر منه سبّ ولا بغض ولا عداوة في جانب الشيخ رضي الله عنه ...

العاشر: السلامة من الانتقاد علي الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه لأن طريق السادة الصوفية مبني علي التسليم لأرباب التربية فيما يأمرون به أو ينهون عنه لأنهم أمناء علي الشريعة...

السادس عشر: احترام كل من انتسب للشيخ رضي الله عنه من الإخوان لا سيما كبار أهل الخصوصية من أهل الطريقة، قد جاء عن سيدنا الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه أن إذاية أهل هذه الطريقة إذاية للنبي صلى الله عليه وسلم...

الثاني والعشرون: مجانبة المنتقدين علي الشيخ سيدنا أحمد التيجاني رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه يحذر أصحابه من مجالسة المنتقدين عليه ويقول: إن بعضهم يسري في قلب من يجالسهم كالسم، قال صاحب المنية:

ومـن يجـالس مـبغض الـشيخ هلـك وضـــلّ في مهامـــه وفي حلـــك

الثالث والعشرون: يستحضر صورة الشيخ رضي الله عنه في حال قراءة الورد، ويستمدّ منه، وأعظم من ذلك أن يستحضر صورة النبي صلى الله عليه وسلم علي ما رويت في الشمائل الترمذية ويستمد منه، وهذا الاستحضار يكون من أول قراءة الورد إلي آخره إن أمكن ذلك، وإلا فليستحضر في أول الذكر ثم يعاود الاستحضار مرة أخري... ولا يلتفت عن الشيخ، والالتفات عن الشيخ سيدي أحمد التيجاني رضي الله عنه بزيارة الأولياء الأحياء والأموات أو طلب الدعاء منهم أو إهداء ثواب العبادات من قرآن وصلوات وأذكار ونذر وصدقة ونحو ذلك لهم(١).

وهناك عقائد ومعتقدات وأفكار وآراء أخري كثيرة مجانبة للحق ومخالفة للقرآن والسنة في الطريقة التيجانية من التمسح بالقبور والاستمداد من غير الله والشرك الجلي والخفي والاعتقاد في الأولياء والمتصوفة وخاصة الشيخ التجاني ومشايخ هذه الطريقة بأنهم يعلمون الغيب، ويملكون الضر والنفع، ويدفعون البلاء، ويميطون الأذي، ويحيون الأموات ويرزقون، ويكسون ويعطون ويمنعون، أحياء وأمواتًا وغير ذلك من الخرافات والترهات التي لا تخلو طريقة من الطرق الصوفية منها، بل إنها مبنية علي تلك السخافات والخرافات، وإنها من لوازم التصوف ذكرناها في ضمن المباحث في هذا الكتاب والكتاب الأول.

ونريد أن نذكر في آخر هذا المبحث الخدمات الجليلة التي أداها التجانيون لدعم الاستعمار الفرنساوي الصليبي الكافر الغاشم، الغازي لتلك البلاد المسلمة التي يقطنها التجانيون، فلقد ذكر المؤلف التجاني صاحب الفتح في الباب السابع تحت عنوان «ذكر

---

(١) الدرر السنية في الطريقة التجانية ص٤ وما بعد.

كرامات شيخنا رضي الله عنه » منها: إخباره باستيلاء فرنسا علي بلاد الجزائر، وكان كثيرًا ما يشير إلي ذلك بما يفيد التحقق بوقوعه تصريحًا وتلويحًا[١].

وعلي ذلك قام التجانيون في الجزائر والمغرب بالدفاع عن الاستعمار الفرنسي، وتحريض المسلمين علي الخنوع والخضوع أمامهم وتسليم البلاد بأيديهم بدون قتال ولا جدال، ومنعهم عن المحاربة والوقوف أمامهم ففي خطبة ألقاها محمد الكبير شيخ التيجانية في وقته يذكر فيها بعض تلك الخدمات بكل اعتزاز وافتخار، فيقول كما نشرتها مجلة الفتح العدد ٢٥٧ القاهرة يوم الخميس ١٦صفر سنة ١٣٥٠هـ السنة السادسة بعنوان «صاحب السجادة الكبري يلقي بين يدي فرنسا خطبة الإخلاص»، وهذا نصه:

اعترافات خطيرة

صاحب السجادة الكبري يلقي بين يدي فرنسا «خطبة الإخلاص» الجزائر في ٢٣ - ١ - ١٣٥٠ لمراسل الفتح.

نشرت جريدة «لابريس ليبر la presse lipre» وهي جريدة فرنسية استعمارية يومية كبري تصدر في عاصمة الجزائر في عددها الصادر يوم السبت ١٦ مايو (٢٨ ذي الحجة: خطبة طويلة ألقاها الشيخ «سيدي» محمد الكبير صاحب «السجادة الكبري» - أي: رئيس الطريقة الصوفية المسماة بالطريقة التجانية - بين يدي الكولونيل سيكوني «الفرنسي» الذي ترأس بعثة من الضباط قامت بنزهة استطلاعية في الجنوب الجزائري، ومهدت «لابريس ليبر» للخطبة بكلمة جاء فيها.

وبعد ما طافت هذه البعثة العسكرية في مدينة الأغواط، سافرت إلي عين ماضي المركز الأساسي للطريقة الصوفية الكبري «التجانية»، ملبين دعوي رئيس هذه الطريقة المحترمة المبجلة الشيخ سيدي محمد الكبير، وبعدما تفرجوا علي المدينة - يعني: قرية عين ماضي - وعلي الزاوية ذهبوا إلي القصر العظيم الذي شيد بإيعاز من السيدة

(١) انظر الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني لمحمد بن عبد الله بن حسنين الطنطاوي التيجاني ص٨٦.

الفرنسية مدام أوريلي التجاني (أيم التجاني)، وفي ردهات هذا القصر الرائعة الجميلة أقيمت مأدبة فخمة فاخرة كبري لهؤلاء الضباط ولنواب الحكومة العسكرية المحلية بالأغواط وعين ماضي، وفي أثناء شرب الشاي قام حبيبنا حسني سي أحمد بن الطالب، وتلا باسم المرابط سيدي محمد الكبير صاحب السجادة التجانية الكبري خطبة عميقة مستوعبة للخدمات الجليلة الصالحة التي قامت بها الطائفة التجانية لفرنسا وفي سبيل فرنسا في توطيد الاستعمار الفرنسي، وفي تسهيل مهمة الاحتلال علي الفرنسيين، وفي إشارات التعقل كانت تسديها هذه الطريقة لمريديها من «الأحباب»...

ثم قالت الجريدة: وحيث طلب منا نشر هذه الخطبة القيمة فإننا ننشرها فيما يلي: وهنا أوردت الجريدة جانبًا كبيرًا من الخطبة - نصفها أو ثلثيها - كله ثناء لا يحصي ولا يعد علي فرنسا المستعمرة، فوصفها الخطيب بأنها «أم الوطن الكبري»، وانهال عليها مدحًا وشكرًا بما لا يخرج عن معني ما نسمعه دائمًا من دعاتها المأجورين، إلا أنه قال: «حتي الأرذال الأوباش أعداء فرنسا الذين ينكرون الجميل، ولا يعترفون لفاضل بفضل، قد اعترفوا لفرنسا بالمدنية والاستعمار، وبأنها حملت عنا ما كان يثقل كواهلنا من أعباء الملك والسيادة، وحملت الأمن والثروة والرخاء والسعادة والهناء...

ولكن المهم من الخطبة هو الجانب الأخير منها، لأنه يحتوي اعترافات خطيرة مثبتة بتواريخها، ونحن ننقل هذه الاعترافات حرفيًّا، ونعرضها علي صفحات الفتح المجلة التي يثق بها المسلمون جميعًا، ولكل مسلم أن يحكم علي هذه الاعترافات بما يشاء.

قال الشيخ سيدي محمد الكبير صاحب السجادة الكبري «التجانية»، وهو «خليفة» الشيخ أحمد التجاني الأكبر مؤسس هذه الطريقة، وهذا «الخليفة» يسيطر علي جميع أرواح «الأحباب» المريدين التجانيين في مشارق الأرض ومغاربها:

... إنه من الواجب علينا إعانة حبيبة قلوبنا ماديًّا وأدبيًّا وسياسيًّا، ولهذا فإني أقول لا علي سبيل المنّ والافتخار، ولكن علي سبيل الاحتساب والتشرف بالقيام بالواجب... أن تصل بلادنا، وقبل أن تحتل جيوشها الكرام - كذا - ديارنا.

ففي سنة ١٨٣٨ كان جدي سيدي محمد الصغير - رئيس التجانية يومئذ - أظهر

شجاعة نادرة في مقاومة أكبر عدو لفرنسا، الأمير عبد القادر الجزائري، ومع أن هذا العدو - يعني: الأمير عبد القادر - حاصر بلدتنا عين ماضي، وشدد عليها الخناق ثمانية أشهر، فإن هذا الحصار تم بتسليم فيه شرف لنا نحن المغلوبين، وليس فيه شرف لأعداء فرنسا الغالبين، وذلك إن جدي أبي وامتنع أن يري وجهًا لأكبر عدو لفرنسا، فلم يقابل الأمير عبد القادر!.

وفي سنة ١٦٨٤ كان عمي سيدي أحمد - صاحب السجادة التجانية يومئذ - مهّد السبيل لجنود الدوك دوماك، وسهل عليهم السير إلي مدينة بسكرة، وعاونهم علي احتلالها.

وفي سنة ١٨٧٠ حمل سيدي أحمد هذا تشكرات الجزائريين للبقية الباقية من جنود «التيرايور» الذين سلموا من واقعة «ريش - هوفن» وواقعة «ويسانبور»، ولكي يظهر لفرنسا ولاءه الراسخ وإخلاصه المتين، وليزيل الريب وسوء الظن اللذين ربما كانا بقيا في قلب حكومتنا الفرنسية العزيزة عليه - يعني: من حيث كونه مسلمًا ولو بالاسم فقط - برهن علي ارتباطه بفرنسا ارتباطًا قلبيًا، فتزوج في أمد قريب بالفرنسية الآنسة أوريلي بيكار (مدام أو أيم التيجاني بعدئذ)، وبفضل هذه السيدة - نعترف به مقرونًا مع الشكر - تطورت منطقة كوردان هذه ضاحية من ضواحي عين ماضي من أرض صحراوية إلي قصر منيف رائع، ونظرًا لمجهودات مدام أوريلي التجاني هذه المادية والسياسية فإن فرنسا الكريمة قد أنعمت عليها بوسام الاحترام من رتبة «جوقة الشرف».

المراسل: وسيدي أحمد هذا لما تزوج في سنة ١٨٧٠ بهذه المرأة الفرنسية، كان أول مسلم جزائري تزوج بأجنبية، وقد أصدرت هي كتابًا فرنسيًا في هذه الأيام أسمته «أميرة الرمال» تعني نفسها، وقد ملأته بالمثالب والمطاعن علي الزاوية التجانية، وذكرت فيه أن سيدي أحمد هذا إنما تزوجها علي يد الكاردينال لافيجري علي حسب الطقوس الدينية المسيحية، وذلك لأن قانون الزواج الفرنسي كان دينيًا مسيحيًا لا مدنيًا، ولما توفي عنها سيدي أحمد هذا خلفه عليها وعلي السجادة التجانية أخوه سيدي علي!...

ولما أنعمت فرنسا بوسام الشرف علي هذه السيدة منذ أربعة أعوام، قالت الحكومة

في تقريرها الرسمي ما نصه: لأن السيدة قد أدارت الزاوية التجانية الكبري إدارة حسنة كما تحب فرنسا وترضي، ولأنها كسبت للفرنسيين مزارع خصبة ومراعي كثيرة، لولاها ما خرجت من أيدي العرب الجزائريين (التجانيين)، ولأنها ساقت إلينا جنودًا مجندة من «أحباب» هذه الطريقة ومريديها، يجاهدون في سبيل فرنسا صفًّا كأنهم بنيان مرصوص...

واليوم تعيش هذه السيدة (أيم التجاني) في مزرعة لها كبري في ضواحي مدينة بلعباس - وهران عيشة المترفين ذوي الرفاهية والنعيم، وهي الآن لم تقطع علائقها بالزاوية التجانية، بل لا تزال تسيطر عليها، وتقبض علي أزمتها، ومع أن الأحباب التجانيين يتبركون بهذه السيدة ويتمسكون بآثارها ويتيممون لصلواتهم علي التراب الذي تمشي عليه، ويسمونها «زوج السيدين»، فإنها لا تزال مسيحية كاثوليكية إلي هذه الساعة، ومن العجيب أن إحدي وستين سنة قضتها كلها في الإسلام وبين المسلمين من (١٨٧٠ إلي الآن ١٩٣٠) لم تغير من مسيحيتها شيئًا، وهذا دليل علي ما كانت عليه تكنه في قلبها لهؤلاء «الأحباب» الذين حكموها في رقابهم وأموالهم!!.

ولنرجع إلي نقل الاعترافات فنقول: ثم قال سيدي محمد الكبير: وفي سنة ١٨٨١ كان أحد «مقاديمنا» سي عبد القادر بن حميدة مات شهيدًا مع الكولونيل فلاتير حيث كان يعاونه علي احتلال بعض النواحي الصحراوية.

في سنة ١٨٩٤ طلب منا جول كوميون والي الجزائر العام يومئذ أن نكتب رسائل توصية، فكتبنا عدة رسائل، وأصدرنا عدة أوامر إلي أحباب طريقتنا في بلاد الهكار (التوارق) والسودان نخبرهم بأن حملة فوولامي الفرنسية هاجمة علي بلادهم، ونأمرهم بأن لا يقابلوها إلا بالسمع والطاعة، وأن يعاونوها علي احتلال تلك البلاد، وعلي نشر العافية فيها!!...

وفي سنة ١٩٠٦ - ١٩٠٧ أرسل المسيو جونار والي الجزائر العام يومئذ ضابطه المترجم مدير الأمور الأهلية بالولاية العامة سيدي مرانت برسالة إلي أبي المأسوف عليه سيدي البشير، فأقام عنده في زاوية كوردان شهرًا كاملاً لأداء مهمة سياسية، ولتحرير

رسائل وأوامر أمضاها سيدي البشير والدي - رئيس التجانية يومئذ - ثم وجهت - أرسلت - إلي كبراء مراكش - المغرب الأقصي - وأعيانهم وزعماء تلك البلاد وجلهم - أو قال: وأكثرهم - تجانيون من أحباب طريقتنا نبشرهم بالاستعمار الفرنسي، ونأمرهم بأن يتقبلوه بالسمع والطاعة والاستسلام والخضوع التام، وأن يحملوا الأمة علي ذلك، وأن يسهلوا علي جيوش فرنسا تلك البلاد.

وفي الحرب العالمية الكبري أرسلنا ووزعنا في سائر أقطار شمال أفريقية منشورات تلغرافية وبريدية استنكار لتدخل الأتراك في الحرب ضد فرنسا الكريمة وضد حلفائها الكرام، وأمرنا أحباب طريقتنا بأن يبقوا علي عهد فرنسا وعلي ذمتها ومودتها.

وفي سنة ١٩١٣ إجابة لطلب الوالي العام للجزائر أرسلنا بريدًا إلي المقدّم الكبير للطريقة التجانية في السنغال سيدي الحاج مالك عثمان ساي نأمره بأن يستعمل نفوذنا الديني الأكبر هناك في السودان لتسهيل مأمورية كلوزيل الوالي العام للجزء الشمالي من إفريقية الغربية - أي: لكي يسهل عليه احتلال واحة شنقيط.

وفي سنة ١٩١٦ إجابة لطلب المريشال ليوتي عميد فرنسا في مراكش كان سيدي علي - صاحب السجادة الرئيس الذي كان قبلي - كتب مئة وثلاث عشر رسالة توصية، وأرسلها إلي الزعماء الكبار وأعيان المغاربة يأمرهم بإعانة فرنسا في تحصيل مرغوبها وتوسيع نفوذها وذلك بواسطة نفوذهم الديني!...

وفي سنة ١٩٢٥ في أثناء حرب الريف أرسلت أنا - حبيبنا - المخلص ومريد طريقتنا ومستشارنا المعتبر حسني سي أحمد بن الطالب - الذي قرأ هذه الخطبة بلسان سيده - إلي المغرب الأقصي، فقام بدعاية كبري - وبروباغندا - واسعة في حدود منطقة الثوار، وتمكن من أخذ عناوين الرءوساء الكبار والأعيان الريفيين و«المقاديم» وأرباب النفوذ علي القبائل الثائرة، وكتبنا إليهم رسائل نأمرهم فيها بالخضوع والاستسلام لفرنسا، وقد أرسلنا هذه الرسائل إلي «مقدّمنا» الأكبر في فاس، فبلغها إلي المبعوث إليهم يدًا بيد.

وبالجملة فإن فرنسا ما طلبت من الطائفة التجانية نفوذها الديني إلا وأسرعنا بكل

فرح ونشاط بتلبية طلبها وتحقيق رغائبها، وذلك كله لأجل عظمة ورفاهية وفخر حبيبتنا فرنسا «النبيلة».

والله المسؤول أن يخلد وجودها بيننا لنتمتع برضاها الخالد!. ثم لم ختم خطبته هذه بالثناء العاطر على الموظفين الفرنسيين وعلى الضباط العسكريين واحدًا واحدًا، ومدح الوالي العام الحالي ووصفه بأنه «المستعمر الأكبر».

وما انتهي الشيخ من خطبته حتي نهض ليوتنان كولونيل سيكوني رئيس البعثة العسكرية وشكر الشيخ وأثني عليه، ثم قال له: «من كمال مروءتك وإحسانك يا سيدي الشيخ (المرابط) أنك لم تذكر ولا نعمة واحدة من النعم التي غمرتني بها، فأنت الذي أنجيتني من التوارق الملثمين، وأنقذتني من أيديهم... وهكذا جعل الكولونيل يذكر مناقب أخري للشيخ كثيرة.

ونلفت نظر القراء إلي شيئين اثنين: أحدهما: أن الرئاسة الروحية في هذه الطريقة التجانية هي موحدة في يد الخليفة، وليس لأحد منهم أن يستقل عنه. وأما الثاني: فهو أن دعاة الإصلاح الإسلامي في المغرب العربي (الجزائر تونس مراكش) هم اليوم يقفون موقفًا حرجًا جدًّا للغاية، فهم يحاربون، ويحاربهم دعاة الإباحية والإلحاد، وأهل الجمود والخرافات، ويقاومون في هؤلاء وهؤلاء الاستعمار الغاشم، وما فيه من قسوة وطغيان. اهـ.

ويقول بول أودينو:

«خلال السنين الستين الأخيرة كانت التيجانية تقدّم لنا العون، ومنذ سنة ١٩١١م ونحن نستغل نفوذها القوي في جنوبي الغرب وموريتانيا والريف»[(١)].

ويقول روم لاندو:

«وقد خبر الفرنسيون قضية الطرق الصوفية والدور الذي تلعبه مرات مرات متعددة من قبل، وثمة وثيقتان قلما يعرفها الناس تزوّدنا بالمعلومات الطريفة: أولاهما رسالة بعث بها قبل قرن من الزمن المارشال (بوجو) أول حاكم للجزائر، إلي شيخ

(١) تاريخ المغرب في القرن العشرين لروم لاندو ص١٤٣.

التجانية ذات النفوذ الواسع، إذ أنه لولا موقفها المشبع بالعطف لكان استقرار الفرنسيين في البلاد المتفتحة حديثًا أصعب بكثير مما كان.

ويقول المارشال في نهاية الرسالة: عندما تشعر بحاجة إلي شيء ما أو إلي خدمة من أي نوع كانت فما عليك إلا أن تكتب إلي مرافقي الذي سيسرّه أن يبلّغني رغباتك.

ثم قال (روم لاندو): ووثيقتنا الثانية تلقي ضوءًا علي طريقة الإقناع إنها إعلان بعث به خليفة التجاني الذي تلقي رسالة المارشال (بوجو) إلي أتباعه بمناسبة الحرب بين فرنسا والأمير عبد الكريم سنة ١٩٢٥م يدعو فيه إخوانه إلي مؤازرة الدولة المسيحية ضد مواطنيهم من المسلمين. ويقول الشيخ التجاني محمد الكبير بن البشير في هذا الإعلان: أن فرنسا تكافئ علي الخدمات التي تقدّم لها... وفرنسا قد انتصرت مؤخرًا في حرب (١٩١٤ - ١٩١٩م) علي واحدة من أعظم دول أوربا وأقواها. ألا ينصر سبحانه ويمنح عباده من يشاء»[(١)].

وينقل عن جوليان أنه أثني علي الحكومة الفرنسية قائلاً:

«ولقد عرفت الحكومة الفرنسية كيف تجمع المتصوفة الذين سوّلتهم وحمتهم»[(٢)].

فهذه هي إحدي الطرق الصوفية المشهورة في شمال أفريقيا والغرب وبلاد المغرب العربي فصلنا القول فيها لما لها من أهمية ومكانة عند المغفلين والسذج من الناس، ولا زال كثير من الذين أعياهم العلم، وأعماهم التعصب، واستولي عليهم الجهل، وأقعدهم الكسل والبطالة أو أكل أموال الناس بالباطل يعتنقون بها ويروجون أباطيلها وينشرون أضاليلها ويؤولون مقولاتها مبتعدين عن الحق حائرين متحيرين، ومن **يضلل الله فما له من هاد.**

* * *

---

(١) تاريخ المغرب ص١٤٠، ١٤١.

(٢) أيضًا ص١٤٠.

الباب السادس
مُصطلَحَات الصّوفية

إن للصوفية مصطلحات تعبّر عنها ألفاظ وكلمات وتراكيب، ولها معان خاصة ومطالب مخصوصة غير ما يدلّ عليه ظاهر الألفاظ والكلمات أو تتضمّن هذه الكلمات والألفاظ علي مدلولاتها الأصلية ولكن لها معان أعمق وأكثر من مفهومها ومدلولها الظاهر بداهة ولأول وهلة فإنها لم توضع إلا لنوع معين وقسم خاص من المفاهيم والمقاصد الغير المتبادر إليها الذهن، ولكل قوم ما اصطلحوا عليه، فلا يدرك أبعادها، ولا يفهم مطالبها إلامن كان له معرفة وإلمام، وعلم وإدراك بمصطلحات القوم وبما اختاروا لها من الكلمات والألفاظ ولما اختاروا لها أيضًا، وربما يقرأ القارئ كتابًا صوفيًّا أو رسالة صوفية فيمر علي ألفاظ هي كالألفاظ، وكلمات كالكلمات ولكن لا يفهم منها شيئًا مع معرفته باللغة التي استعملت فيها تلك الألفاظ والكلمات، وإتقانه إياها، ويستغرب ويتعجب ويضل في متاهاتها، ويتحير في مسالكها وصحاريها وبراريها، وما أصدق ما قاله السمعاني في هذا الخصوص نفسه كما ينقل عنه الإمام الذهبي أنه قال:

«كان عبد القادر من أهل جيلان إمام الحنابلة وشيخهم في عصره، فقيه صالح دين خير، كثر الذكر، دائم الفكر، سريع الدمعة، تفقّه علي المخرّمي، وصحب الشيخ حمادًا الدباس وكان يسكن بباب الأزج في مدرسة بنيت له، مضينًا لزيارته، فخرج وقعد بين أصحابه، وختموا القرآن، فألقي درسًا ما فهمت منه شيئًا، وأعجب من ذا أن أصحابه قاموا وأعادوا الدرس، فلعلهم فهموا لإلفهم كلامه وعبارته»[1].

فلم يفهم منه شيئًا لأنه لم يكن له علم بمصطلحات القوم ومدلولات كلماتهم، وفي مثل ذلك قال من قال:

أمــــا الخيــــام فإنهــــا كخيــــامهم وأري نــــساء الحــــي غــــير نــــسائها

وقد أقرّ بذلك صوفي قديم نقلاً عن الشبلي أنه أنشد:

(١) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ج٢٠ ص٤٤١.

علم التصوف علم لا نفاد له   علم سني سماوي ربوبي
فيه الفوائد لأرباب يعرفها   أهل الجزالة والصنع الخصوصي[(١)]

وكثيرًا ما يمرّ علي القارئ ألفاظ معناها الظاهر والعادي، لكن القوم يستعملوها كاصطلاح خاص تعبيرًا عن فلسفة مخصوصة وعقيدة مميزة يؤمنون بها ويعتقدون فيها فهو لعدم معرفته لا يدرك حقيقتها فلا يصل إلي الفهم الصحيح والمعني الحقيقي الذي يجعله مطلعًا علي مذهب القوم ومشربهم، فأردنا في هذا الباب أن نذكر بعض المصطلحات التي عليها تدور رحي التصوف.

وقد كثر استعمالها في كتابنا ولا بدّ لمن أراد التعرف لمذهب أهل التصوف من أن يعرفها والمفاهيم التي وضعت لأجلها، وآنذاك يصل إلي الكنه والمغذي والمقصود والمطلوب.

ولقد كثر استعمال مصطلحات «الحقيقة المحمدية» و«القطب» و«الأبدال» و«الأوتاد» وغيرها فهذه قد مرّ بيانها في كتابنا «التصوف: المنشأ والمصار» تحت عناوين مختلفة، فلا فائدة لتكرار ما ذكر هناك، ونذكر الأشياء التي بقي توضيحها وكشف مفاهيمها ومدلولاتها.

وقد كثر ورودها في كتابنا وكتب الصوفية، فمنها:

«الغيبة»، وهي عندهم: «أن يغيب عن حظوظ نفسه فلا يراها»[(٢)].

ويقول القشيري والكمشخانوي:

«هي غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق بما يرد عليه، ثم قد يغيب عن غيره فقط، وقد يغيب عن غيره وعن نفسه أيضًا إذا عظم الوارد»[(٣)].

وينشد الكمشخانوي:

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف لأبي بكر محمد الكلاباذي ص١٠٦ ط مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ١٩٨٠ م.
(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف ص١٤٠.
(٣) الرسالة القشيرية ج١ ص٢٣٢، أيضًا جامع الأصول في الأولياء للكمشخانوي ص٢٥٤.

أيا من يري الأسباب أعلي وجوده ويفرح بالتيه الدني وبالأنس
فلو كنت من أهل الوجود حقيقة لغبت عن الأكوان والعرش والكرسي
وكنت بلا حال مع الله واقفًا خليا عن التذكار للجن والأنس[(١)]

ويقول الهجويري:

«المراد من الغيبة غيبة القلب عما دون الحق إلي حدّ أن يغيب عن نفسه، حتي أنه بغيبته عن نفسه لا يري نفسه»[(٢)].

وبمثل ذلك قال الطوسي[(٣)].

وينقل الدكتور عبد الحليم محمود عن سيده أحمد الدردير أنه قال مبينًا حالة غيبته عن نفسه: «حتي لو تكلّم الناس وأنا معهم بكلام وخاطبوني به لا أدري ما قالوا، وهم لا يعلمون مني هذا الحال، لأني صورتي الظاهرية صورة العاقل الصاحي، وهذا أمر عجيب لا يعرفه إلاّ من ذاقه»[(٤)].

فمعني الغيبة عند الصوفية هو أن يغيب الإنسان عن فكره وذهنه ووجوده لا يدري ما يقع في الكون ولا يفهم كلام الناس، فظاهره معهم، وباطنه غائب عنهم، وهذا مقام سنّي عندهم يحوزه كبار أوليائهم ومشايخهم، فيحكون عن ذي النون المصري أنه:

«بعث إنسانًا من أصحابه إلي أبي يزيد، لينقل إليه صفة أبي يزيد. فلما جاء الرجل إلي بسطام سأل عن دار أبي يزيد، فدخل عليه، فقال له أبو يزيد: ما تريد؟ فقال: أريد أبا يزيد.

فقال: من أبو يزيد؟ وأين أبو يزيد؟ أنا في طلب أبي يزيد.

فخرج الرجل، وقال: هذا مجنون.

ورجع الرجل إلي ذي النون فأخبره بما شاهد، فبكي ذو النون وقال: أخي أبو يزيد

(١) جامع الأصول في الأولياء لأحمد الكمشخانوي ص١٢٥.
(٢) كشف المحجوب للهجويري ص٤٨٩.
(٣) انظر كتاب اللمع للطوسي ص٤١٦.
(٤) سيدي أحمد الدردير للدكتور عبد الحليم محمود ص٧٧ ط دار الكتب الحديثه القاهرة.

ذهب في الذاهبين إلي الله[1].

ومثل ذلك حكي ابن عجيبة عن الشبلي أنه قال له رجل: أين الشبلي؟

قال: مات، لا رحمه الله[2].

فهذه هي الغيبة الصوفية، يقولون: إن الإنسان ليستغرق في ذكر الله تعالي ومحبته حتي أنه ينسي نفسه، والمعلوم شرعًا وعقلاً أن ذكر الله عز وجل لا يستجلب هذا النوع من الجنون والهذيان، بل يثمر الراحة والاطمينان والسكينة ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾[3].

فنسيان الكون والنفس وذهاب العقل والفهم أمر مذموم، وليس شيئًا محمودًا حتي يكون من ثمرات ذكر الله تعالي ومحبته، بل إنها أذواق شيطانية لا تقرها الشريعة الإسلامية.

هذا ويذكر القشيري صوفيًّا غاب فكره وذهنه وعقله وفهمه، وهو أبو علي الدقاق، فيحكي عن أبي نصر المؤذن بنيسابور أنه قال:

«كنت أقرأ القرآن في مجلس الأستاذ أبي علي الدقاق بنيسابور، وقت كونه هناك وكان يتكلم في الحج كثيرًا، فأثر في قلبي كلامه، فخرجت إلي الحج تلك السنة، وتركت الحانوت والحرفة، وكان الأستاذ أبو علي رحمه الله خرج إلي الحج أيضًا في تلك السنة، وكنت مدة كونه بنيسابور أخدمه وأواظب علي القراءة في مجلسه، فرأيته يومًا في البادية: تطهر ونسي قمقمة كانت بيده، فحملتها، فلما عاد إلي رحله وضعتها عنده، فقال: جزاك الله خيرًا. حيث حملت هذا.

ثم نظر إلي طويلاً كأنه لم يرني قطّ، وقال: رأيتك مرة. فمن أنت؟

فقلت: المستغاث بالله، صحبتك مدة، وخرجت عن مسكني ومالي بسببك،

(١) الرسالة القشيرية ج١ ص٢٣٤، ٢٣٥، كشف المحجوب للهجويري ص٤٩٠، إيقاظ الهمم لابن عجيبة ص٣٠٨، مشارق أنوار القلوب للدباغ ص١٠٣، ترصيع الجواهر المكية ص٤٢.

(٢) إيقاظ الهمم لابن عجيبة الحسني ص٣٠٨ ط مصطفي البابي الحلبي القاهرة.

(٣) سورة الرعد الآية ٢٨.

وتقطعت في المفازة بك، والساعة تقول: رأيتك مرة»[(١)].

وذلك لأنه كان غائبًا عن نفسه:

وحكي عن أبي عقال أنه «دخل عليه بعض الفقراء فقال له: سلام عليكم.

فقال له أبو عقال: وعليكم السلام، فقال الرجل: أنا فلان فقال أبو عقال:

أنت فلان، كيف أنت؟ وكيف حالك؟ وغاب عن حالته.

قال هذا الرجل، فقلت له: سلام عليكم.

فقال: وعليكم السلام، وكأنه لم يرني قط.

ففعلت مثل هذا غير مرة، فعلمت أن الرجل غائب فتركته، وخرجت من عنده[(٢)].

وحكاية أخري حكاها كل من القشيري وابن الملقن وعماد الدين الأموي، تبين حقيقة هذا المصطلح، فينقلون عن الجنيد أنه:

«كان قاعدًا، وعنده امرأته، فدخل عليه الشبلي، فأرادت امرأته أن تستر، فقال لها الجنيد: لا خبر للشبلي عنك، فاقعدي.

فلم يزل يكلّمه الجنيد، حتي بكي الشبلي، فلما أخذ الشبلي في البكاء قال الجنيد لامرأته: استتري، فقد أفاق الشبلي من غيبته[(٣)].

هذا بالنسبة لغيبة الصوفي عن ذهنه وفكره ووجوده، وأما غيبته هو عن الخلق ووصوله إلي الله كما يدّعون، فيروي الأموي «أن الحسن رحمه الله اختفي عند حبيب العجمي من الحجاج، فسعي به، فدخل عليه الشرط، فقالوا: أين الحسن؟ قيل لنا إن الحسن عندك، فقال: هل ترون شيئًا؟

ففتشوا الدر كلها وخرجوا وهم لا يرونه، لأنه كان عند الله فلم يروه[(٤)].

فهذه هي أقاويل المتصوفة في «الغيبة» إحدي مصطلحاتهم.

---

(١) الرسالة القشيرية ج١ ص ٢٣٤.

(٢) أيضًا ص ٢٢١.

(٣) انظر الرسالة القشيرية ج١ ص٢٣٣، أيضًا طبقات الأولياء لابن الملقن ٢١١، أيضًا حياة القلوب لعماد الدين الأموي ج٢ ص٢٧٣ بهامش قوت القلوب لأبي طالب المكي ط دار صادر بيروت.

(٤) حياة القلوب لعماد الدين الأموي ج٢ ص٦٩ بهامش قوت القلوب.

ومثلها «السكر» كما يقولون: «السكر هو أن يغيب الإنسان عن تمييز الأشياء»[١].

ويقول شهاب الدين يحيي السهروردي المقتول: «السكر سانح قدسي للنفس يؤدي إلي إبطال النظام عن الحركات»[٢].

ويذكره المنوفي الحسيني بقوله:

«السكر غيبة بوارد شهود الخلق»[٣].

ويقول روزبهان:

«السكر هو كثرة شرب أقداح حسن التجلّي»[٤].

ويقول الطوسي: السكر معناه قريب من معني الغيبة غير أن السكر أقوي من الغيبة»[٥].

وقريبًا من معني اصطلاح الغيبة والسكر «المحو» كما يقول الكمشخانوي:

«إذا غلب عليه (الصوفي) المحو فلا علم ولا عقل فهم ولا حسّ كما روي مسندًا أن أبا عقال المغربي أقام بمكة أربع سنين ولم يأكل ولم يشرب إلي أن مات، وكان يسلّم عليه خاص أصحابه فلم يعرفه حتي يعرّفه نفسه، ثم يغيب عنه الشيخ حتي لو عاوده بالكلام لم يعرفه الشيخ، ومنهم من يعود إلي حال أداء الفرض فقط»[٦].

ومثل ذلك ذكروا عن أبي عبد الله التروغندي أنه «ما كان يفيق إلا في أوقات الصلاة، يصلي الفريضة ثم يعود إلي حالته، فلم يزل كذلك إلي أن مات»[٧].

ومنها «الصولة»: وهي أن لا يري أحدًا إلا الله[٨].

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص١٣٨.

(٢) كلمة التصوف للسهروردي ضمن رسالة أز شيخ أشراق فصل في شرح بعض مصطلحات الصوفية ص ١٢٥ ط مؤسسة انتشارات إسلامي لاهور باكستان.

(٣) جمهرة الأولياء لأبي الفيض المنوفي الحسيني ج١ ص٣٠٤.

(٤) شرح الحجب والأستار لروزبهان ص١٩ ط.

(٥) كتاب اللمع للطوسي ص٤١٦.

(٦) جامع الأصول في الأولياء للكمشخانوي ص١٢٦.

(٧) الرسالة القشيرية ج١ ص٣٢١.

(٨) حياة القلوب لعماد الدين الأموي ج٢ ص٢٧٤.

وأما «الحضور» و«الصحو» فهما: «رجوع الصوفي إلي الإحساس بعد غيبة عقله وإحساسه»(١).

ويذكر الهجويري أن داود عليه السلام رأي امرأة أوريا في حالة السكر فيقول:

«وقع نظر داود عليه السلام علي ما لم يكن ينبغي له أن ينظر إليه أي علي امرأة أوريا وكان ذلك في حالة السكر، أما نظر المصطفي صلى الله عليه وسلم إلي امرأة زيد فكانت تلك النظرة في محل الصحو»(٢).

ومن المصطلحات الصوفية «الجمع» وهو: «شهود الحق بلا خلق، وجمع الجمع شهود الخلق قائمًا بالحق، ويسمي الفرق بعد الجمع»(٣).

ويصرح القشيري «جمع الجمع: الاستهلاك بالكلية، وفناء الإحساس بما سوي الله عز وجل عند غلبات الحقيقة... فالعبد يطالع نفسه في هذه الحالة في تصريف الحق سبحانه، يشهد مبدئ ذاته وعينه بقدرته، ومجري أفعاله وأحواله عليه بعلمه ومشيئته»(٤).

ويقول روزبهان: «الجمع هو ظهور التجلي في الروح»(٥).

وقد جمع هذه المصطلحات الصوفية كلها عطاء الله الأسكندري في حكمه حيث قال:

«وصاحب حقيقة غاب عن الخلق بشهود الملك الحق، وفني عن الأسباب بشهود مسبّب الأسباب، فهو عبد مواجه بالحقيقة، ظاهر عليه سناها، سالك للطريقة، قد استولي علي مداها، غير أنه غريق الأنوار، مطموس الآثار، قد غلب سكره علي صحوه،

---

(١) انظر اللمع للطوسي ص٤١٦ ، كشف المحجوب ص٤٩٠ ، جامع الأصول ص٢٢٩ ، كلمة التصوف للسهروردي ص١٢٥، جمهرة ص٣٠٥.

(٢) كشف المحجوب للهجويري ص٤١٤ ط دار النهضة العربية بيروت.

(٣) اصطلاحات الصوفية لعبد الرزاق القاشاني من صوفية القرن الثامن الهجري ص٤١ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١م، أيضًا متممات جامع الأصول في الأولياء ص٨٠، أيضًا جمهرة الأولياء للمنوفي الحسيني ص٣٠٢.

(٤) الرسالة القشيرية ج١ ص٢٢٥ ، ٢٢٦.

(٥) شرح الحجب والأستار لروزبهان.

وجمعه علي فرقه، وفناؤه علي بقائه، وغيبته علي حضوره»[١].

ويشرح النفزي الرندي هذه العبارة بقوله:

«هذا هو حال الخاصة من أرباب الحقائق، وهم الذين غابوا عن (شهود) الخلق بشهود الملك الحق، فلم يقع لهم شعور بهم، ولا التفات إليهم، وفنوا عن الأسباب برؤية مسبب الأسباب، فلم يروا لها فعلاً ولا جَعْلاً، فهم مُواجَهون بحققة الحق ظاهر عليهم سناها، أي: نورها وضياؤها، سالكون طريقة الحق، قد استولوا علي مداها، أي: وصلوا إلي غايتها ومنتهاها، إلا أنهم غرقوا في بحار أنوار التوحيد، مطموس عليهم آثار الوسايط والعبيد، أي. مغلق عليهم رؤية ذلك والشعور به قد غلب سكرهم، وهو: عدم إحساسهم بالأغيار، علي صحوهم، وهو: وجود إحساسهم بها، وجمعُهم، وهو ثبوتُ وجود الحق فردًا، علي فرقهم وهو ثبوت وجود الخلق، وفناؤهم، وهو: استهلاكهم في شهود الحق علي بقائهم وهو شعورهم بالخلق، وغيبتهم وهو ذهاب أحوال الخلق عن نظرهم علي حضورهم مع الخلق.

ومعاني هذه الألفاظ، كما تراها، متقاربة، وهي ألفاظ تداولها الصوفية المحققون بينهم وعبّروا بها في كتبهم، ووضعوها علي معان اختصوا بفهمها؛ ليتعرّف بعضهم من بعض ما يتخاطبون به، ولهم ألفاظ كثيرة غيرها»[٢].

ولعلّ معني اصطلاح «الجمع» يتضح أكثر بنصّ الهجويري حيث قال:

«الجمع هو أن يصير كل المحبّ كل المحبوب... وهو أن يكون العبد في الحكم والهًا ومدهوشًا ويكون حكمه حكم المجانين...

ويقول واحد من المشايخ رحمه الله: جاء درويش إلي مكة وأقام سنة في مشاهدة الكعبة، فلم يطعم ولم يشرب ولم ينم ولم يذهب للطهارة، لاجتماع همّته برؤية البيت، لأن الله تعالي قد أضافه إلي نفسه فصار غذاء جسده ومشرب روحه...

---

(١) الحكم العطائية لتاج الدين بن عطاء الله الأسكندري ص٢٠٨ ضمن غيث المواهب العلية.

(٢) غيث المواهب العلية للنفزي الرندي ج٢، ص٢٠٨، ٢٠٩ بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود. ط مطبعة السعادة القاهرة ١٣٨٠ هـ.

ومثل جمع همة المجنون في ليلي لأنه حينما لم يكن يراها كان كل العالم وكل الموجودات عنده صورة ليلي»[١].

وكثيرًا ما يذكر الصوفية عند بيان مصطلحاتهم العشق الغزلي والحب الطبيعي، ويشبهون الله عز وجل بمعشوق مجازي ويحملون وصفه سبحانه وتعالي علي ليلي وغيرها، ثم يحاولون ربط العلاقة بين الحبين، سنذكر هذا المبدأ مفصلاً في هذا الباب إن شاء الله.

وعلي كلّ فإن الصوفية تكلّموا وراء ستار هذه المصطلحات والكلمات في موضوعات لا تمتّ إلي الإسلام بصلة، واعتقدوا بالحلول والاتحاد، والوصول والاتصال. وقد استغرب المسلمون عقائدهم وأفكارهم هذه.

فمما يدّل علي اعتقاد الصوفية بحلول ذات الله تعالي في العبد اصطلاحهم «الفناء»، وهو من أهمّ المصطلحات التي يقوم عليها مذهبهم وتتأسس عليها ديانتهم. والفناء عند المتصوفة: فناء ذات العبد في ذات الرب، فتزول الصفات البشرية في هذا المقام، وتبقي الصفات الإلهية، وتفني جهة العبد البشرية في الجهة الربانية فيكون العبد والرب شيئًا واحدًا – والعياذ بالله – .

فيصرح داود بن محمود القيصري:

«المراد من الفناء فناء جهة العبد البشرية في الجهة الربانية إذ لكل عبد جهة من الحضرة الإلهية... وهذا الفناء موجب لأن يتعين العبد بتعينات حقانية وصفات ربانية»[٢].

ويقول النفزي الرندي:

«فناء في الذات: أي لا موجود علي الإطلاق إلا الله تعالي، وأنشدوا في ذلك:

فيفنـــي ثـــم يفنـــي ثـــم يفنـــي   فكـــان فنـــاؤه عـــين البقـــاء[٣]

---

(١) كشف المحجوب للهجويري ص٤٩٨، ٤٩٩.

(٢) مقدمة شرح الفصوص للقيصري مخطوط نقلاً عن ملحقات ختم الأولياء للحكيم الترمذي ص٤٩١ ط بيروت.

(٣) غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية للنفزي الرندي ج١ ص٩٩.

ويعتبر فريد الدين العطار فناء السالك في الله كفناء القطرة في البحر[١].

ويقول ابن الدباغ:

«واعلم أن المحب ما لم يصل إلي مقام الاتحاد لا تنقطع الحجب التي بينه وبين محبوبه، فإنها كثيرة لكن بعضها ألطف وأشدّ نورانية من بعض، وكلّما كشف له منها حجاب تاقت النفس إلي كشف ما بعده حتي تزول جميعها عند الاتحاد[٢].

ويصرح أيضًا عقيدة اتصال الصوفي بالله تعالي، بقوله:

«واعلم أن كل من أحب ذاتًا ما محبة كاملة خالصة، وأراد الاتصال بتلك الذات لا يمكنه ذلك إلا بخلع ما سواها وترك الإحساس به، فإذا صحّ له هذا مع صحة التوجه فقد وصل إلي مطلوبه من الاتصال، ولا مانع من الاتصال بالحق مع حصول معرفته إلا بالشعور بما سواه، ومن تجرّد عن بدنه واطّرحه ناحية وفني عن شعوره بذلك فقد اتصل بالحق، لأن بدن الإنسان أقرب العالم المحسوس إليه، فإذا فني عنه فقد فني عن العالم كله، وهذا هو الوصول، ومن صار له هذا الانسلاخ ملكة بحيث يفعله متي شاء فهو الواصل علي الحقيقة لتمكّنه من مقام شهود الحق»[٣].

ويقولون: أن الله يتجلّي علي العبد في هذا المقام، كما يذكر ذلك السهروردي في عوارفه بقوله:

«أما الفناء الباطن فهو محو آثار الوجود عند لمعان نور الشهود، يكون في تجلي الذات، وهو أكمل أقسام اليقين في الدنيا»[٤].

وقال: «قد يكون التجلّي بطريق الأفعال، وقد يكون بطريق الصفات، وقد يكون بطريق الذات»[٥].

ويكتب ظهير الدين القادري: «الفناء هو أن يطالع الحق سرّ وليه بأدني تجلّ،

---

(١) انظر منطق الطير لفريد الدين العطار المقالة الرابعة والأربعون ص٤٠٤ ط دار الأندلس بيروت.

(٢) مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب ص٦٨ تحقيق المستشرق هـ. ريترط دار صادر بيروت ١٣٧٩ هـ.

(٣) مشارق أنوار القلوب للدباغ ص٩٤.

(٤) عوارف المعارف للسهرودي ص١٥٤.

(٥) أيضًا ٥٢٦.

فيتلاشي الكون ويفني الولي تحت تلك الإشارة»[١].

ويقول ابن عجيبة:

«إن القلوب إذا صفت من الأكدار والأغيار، وملئت بالأنوار والأسرار لا يتجلّي فيها إلا الحق»[٢].

وينقل الشعراني عن أبي المواهب الشاذلي أنه كان يقول:

إذا ما تجلّي الحق من غيب ذاته … تلاشي وجود الغير حقًا بلا شكّ[٣]

ويقول المنوفي الحسيني شارحًا «الصدق»:

«هو الفناء في الحق بالتجلّي الذاتي»[٤].

ويبين القاشاني معني التجلي الشهودي بقوله:

«هو ظهور الوجود المسمي باسم النور وهو ظهور الحق بصور أسمائه في الأكوان التي هي صورها، وذلك الظهور هو النفس الرحماني الذي يوجد به الكلّ»[٥].

ويقول مصطفي بن الحسين الصادقي بأن العارف يذكر الله تعالي ويصقل قلبه «حتي صار بحيث إذا تجلّي له المحبوب لم ير في تلك المرآة إلا وجهه الكريم وهو قد اضمحلّ بجنب ذاك الجمال، وانمحق تحت أنوار الجلال، ولم يبق منه أثر ولا خبر بل استولي عليه الربّ سبحانه، فصار سمعه الذي به يسمع، وبصره الذي به يبصر ويده التي بها يبطش، فتجلّي الحق سبحانه حينئذ بذاته لذاته، وكان محبًا لذاته بذاته جاز إطلاق اسم المحبوب علي ذلك العبد»[٦].

ويقول الوزير لسان الدين بن الخطيب: (أي: النفس).

«فإذا جازت هذا المقام وهو فناء الفناء، وعدم منها الخلق بالكلية، وتجلّي لها الحق

---

(١) الفتح المبين لظهير الدين القادري ص٣٨ ط المطبعة الخيرية مصر ١٣٠٦هـ.

(٢) إيقاظ الهمم لابن عجيبة الحسني ص٢٧.

(٣) الطبقات الكبري للشعراني ج٢ ص٧١.

(٤) جمهرة الأولياء للمنوفي الحسيني ج١ ص٣٠٥.

(٥) اصطلاحات الصوفية للقاشاني ص١٥٦.

(٦) المنهج الموصل إلي الطريقة الأنهج لمصطفي بن الحسين الصادقي مخطوط ص٨، ٩.

فشهدته موصوفًا بالصفة التي تليق به، فحينئذ يصح الوصول»[١].

وإليكم الآن ما قاله الجيلي عبد الكريم موضحًا معني التجلي:

«التجلي الصوري ظهوره في مخلوقاته علي ما اقتضاه القانون الخلقي التشبيهي»[٢].

وأصرح من ذلك ما قاله في مقام آخر: «إن العبد إذا أراد الحق سبحانه تعالي أن يتجلّي عليه باسم أو صفة، فإنه يفني العبد فناءً يعدمه عن نفسه، ويسلبه عن وجوده، فإذا طمس النور العبدي وفني الروح الخلقي أقام الحق سبحانه وتعالي في الهيكل العبدي»[٣].

ويقول: «الإنسان الكامل هو مظهره الأكمل وجلاء الأفضل»[٤].

فليشاهد القارئ كيف أبدل الصوفية الحلول بكلمة «التجلي»، والحق أن التجلي الصوفي ليس إلا الحلول المسيحي.

ويستغرب الباحث حينما يجد الصوفية يبرّؤون أنفسهم عن الاعتقاد بالحلول، مع هذه التصريحات والتوضيحات التي لا تترك مجالاً للريب والشك في هذا الخصوص.

ومقام الفناء - علي حد تعبيرهم - هو الذي ادعي فيه كثير من مشايخ الصوفية الحلول والاتحاد حسب روايات المتصوفة كما نقلوا عن أبي يزيد البسطامي أنه كان يقول: «سبحاني ما أعظم شأني»[٥].

فيقولون:

أن قائل هذه الكلمة ليس أبا يزيد بل الله سبحانه وتعالي هو الذي قال بها كما صرح بذلك القشيري في رسالته حيث قال:

«قال أبو يزيد: سبحاني، ما قال إلا الحق»[٦].

---

(١) روضة التعريف للسان الدين بن الخطيب ص٤٦٤ ط دار الفكر العربي.

(٢) الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي ج١ ص٤٩ ط مصطفي البابي الطبعة الرابعة ١٤٠٢ هـ.

(٣) أيضًا ص٦٧.

(٤) أيضًا ج٢ ص١٧.

(٥) قوت القلوب لأبي طالب المكي ج٢ ص٧٥ ، رسالة ترتيب السلوك للقشيري ص٧٣، فوائح الجمال لنجم الدين الكبري ص٣٦، درر الغواص للشعراني ص٨٥، إيقاظ الهمم لابن عجيبة ص٢٠٤، جمهرة الأولياء ج١ ص٢٣٤.

(٦) ترتيب السلوك للقشيري ص٧٣ من مجموعة الرسائل القشيرية ط إسلام أباد باكستان.

ويقول نجم الدين الكبري:

«تتجلّي سبحات وجهه الكريم ويجري علي لسان السيار (الصوفي) بحكم الاضطرار: سبحاني سبحاني ما أعظم شأني»(١).

لماذا هذا التستر وراء كلمة «التجلي» ولم لا يصرحون ويقولون «تحلّ» وما التجلي غير الحلول باختلاف لفظي والمعني واحد.

ونقل عن البسطامي أيضًا الهجويري: أنه كان يومًا في الصومعة، فجاءه رجل وقال: هل أبو يزيد في البيت؟

فقال: «هل في البيت إلا الله»(٢).

ونقلوا عنه أنه قال: «وما في الجبة غير الله»(٣).

وذكر الوزير لسان الدين عنه أيضًا أنه قال:

«قال لي الحق: يا أبا يزيد، كل هؤلاء خلقي إلا أنت، أنت أنا، وأنا أنت»(٤).

وقال أيضًا: «رفعني مرة فأقامني بين يديه وقال لي: يا أبا يزيد، إن خلقي يحبون أن يروك.

فقلت: زينّي بوحدانيتك، وألبسني أنانيتك، وارفعني إلي أحديتك حتي إذا رآني خلقك قالوا: رأيناك، فتكون أنت ذاك، ولا أكون أنا هنا»(٥).

فهذا النص صريح في معناه، جلي في محتواه، يدلّ علي اتحاد اللاهوت بالناسوت، فالعجب ممن يؤولون مثل هذه النصوص بتأويلات سخيفة لتبرئة ساحة المتصوفة ويسمونها شطحات ويقولون: «لا عبرة بها لأن حكم أصحابها المغمي عليهم»(٦).

مع أن هذه العبارات ومثلها تقتضي خروج أصحابها حكم عن الدين، وأنها ضلال عن قصد السبيل، ونتيجة للاشتغال بالفلسفات الإشراقية وغيرها وإلاّ فلم لم تصدر

(١) فوائح الجمال لنجم الدين الكبري ص٥٥.

(٢) كشف المحجوب للهجويري ص٤٩٩.

(٣) انظر جمهرة الأولياء ع للمنوفي الحسيني ص٢٣٤.

(٤) روضة التعريف بالحب الشريف للوزير لسان الدين بن الخطيب ص٣٥٣.

(٥) انظر كتاب اللمع للطوسي ص٤٦١.

(٦) انظر حياة القلوب لعماد الدين الأموي ج٢ ص٣٧٣ بهامش قوت القلوب.

هذه العبارات من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وهم أعبد الناس وأخشاهم لله.

وإن الله يحفظ وليه من التفوه بهذه الكلمات الكفرية، والشيطان هو الذي يتكلّم على ألسنتهم ويستولي على أذهانهم وقلوبهم. أعاذ الله جميع المسلمين من ذلك.

هذا وقد نقل الفيتوري عن أبي راوي الفحل أنه كان يقول:

«لا إله غيري، ولا معبود سواي إلى أن سمع به علماء أفريقية فأنكروا عليه، وأفتوا بتكفيره ففرّ منهم»(١).

ومن المعلوم أن أقوال الصوفية هذه ناتجة عن فكرة الفناء، فالصوفية يدّعون الألوهية لاعتقادهم بالحلول والاتحاد عند وصولهم إلى الله وفنائهم فيه حسب ما يزعمون.

فيقول الوزير لسان الدين بن الخطيب:

«ثم يفني بعد ذلك الفناء الثاني... وكثير من الطوائف تدعي الحلول والاتحاد والكل متفقون على أنه لا يبقي في ذلك المقام إلا الله»(٢).

وينقل الشعراني عن أبي مدين المغربي أنه كان يقول: «إذا ظهر الحق لم يبق معه غيره»(٣).

ويقول محمد القونوي:

«الإنسان الكامل مجلي تام للحق، يظهر الحق به من حيث ذاته»(٤).

وينسبون إلى الجيلاني أنه قال:

«قال لي الله: يا غوث الأعظم، ما ظهرت في شيء كظهوري في الإنسان»(٥).

وأما أمر الحلاج وأقواله وأشعاره في هذا الخصوص فهي معروفة مشهورة نذكر بعضًا منها ونعرض عن الباقي لأننا نريد أن نفرد له ولأمثاله من ابن عربي وابن سبعين وابن الفارض والرومي وغيرهم كتابًا مستقلاً إن شاء الله، فمنها:

---

(١) الوصية الكبري لعبد السلام الفيتوري ص٨١.

(٢) روضة التعريف للوزير لسان الدين ص٥١١.

(٣) طبقات الشعراني ج١ ص١٥٤.

(٤) رسالة النصوص لمحمد القونوي ص٤٢.

(٥) مقدمة مقصود المؤمنين لبايزيد الأنصاري تقديم الصوفي الدكتور ميرولى خان ص ١٠٦. ط مجمع البحوث الإسلامية إسلام أباد باكستان ١٣٩٦هـ.

أنه سئل: من أنت؟ قال: أنا الحق؟[١].

ومن أشعاره المشهورة:

سبحان من أظهر ناسوته ... سرّ سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهرًا ... في صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه ... كلحظة الحاجب بالحاجب[٢]

وأيضًا:

رأيت ربي بعين قلبي ... فقلت: من أنت؟ قال: أنت
ففي بقائي ولا بقائي ... وفي فنائي وجدت أنت
أشار سري إليك حتى ... فنيت عني ودمت أنت[٣]

ومما يدلّ علي جرأة المتصوفة علي الكذب ونسبة القول إلي غير قائله أن ابن عجيبة الحسني نسب في إيقاظه نفس هذه الأبيات التي قالها الحلاج، نسبها إلي علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث قال: «ومما ينسب لسيدنا علي كرم الله وجهه: رأيت ربي بعين قلبي... إلخ»[٤].

ويقول الحلاج أيضًا:

فأنا الحق حق للحق حق ... لابس ذاته فما ثمّ فرق[٥]

ومن أبياته المشهورة كذلك:

أنا من أهوي ومن أهوي أنا ... نحن روحان حللنا بدنا
روحه روحي وروحي روحه ... من رأي روحين حلّت بدنا[٦]

---

(١) انظر مكاشفة القلوب للغزالي ص٢٦ ط الشعب القاهرة، أيضًا عوارف المعارف للسهروردي ص٧٩.
(٢) ديوان الحلاج الطبعة الثانية بغداد ١٤٠٤ هـ.
(٣) ديوان الحلاج ص٣٧.
(٤) انظر إيقاظ الهمم لابن عجيبة ص٥٨، ٥٩.
(٥) أيضًا ص ٦٧.
(٦) أيضا ص٧٧، ٧٨.

هذا بالنسبة للحلول والاتحاد، والوصول والاتصال، الذي يسمونه بوحدة الشهود أيضًا.

وأما «وحدة الوجود» فسنذكر عقيدة الصوفية هذه بالتفصيل إن شاء الله عند ذكرّ ابن عربي وأفكاره في الكتاب المستقل إن شاء الله، ولكننا نذكر هنا ملخصًا وإجمالاً.

فيعتقد كثير من الصوفية بأنه ليس هناك فرق بين الله وخلقه إلا أن الله تعالي كلّ، والخلق جزؤه، وأن الله متجلّ في كل شيء من الكون حتي الكلاب والخنازير، فالكل مظاهره، وما في الوجود إلا الله، فهو الظاهر في الكون، والكون مظهره.

فيقول ابن عربي:

«فلا مظهر له إلا نحن، ولا ظهور لنا إلا به. فبه عرفنا أنفسنا وعرفناه، وبنا تحقق عين ما يستحق الإله:

فلــــــولاه لمــــــا كــــــن	**ولــــــولا نحــــــن مــــــا كانــــــا**
فــــــإن قلنــــــا بأنــــــا «هــــــو»	**يكــــــون الحــــــق إيانــــــا**
فبــــــدانا وأخفــــــاه	**وأبــــــداه وأخفانــــــا**
فكــــــان الحــــــق أكوانــــــا	**وكنــــــا نحــــــن أعيانــــــا**
فيظهرنــــــا لنظهــــــر	**سرارًا ثــــــم أعلانــــــا**

ويقول أيضًا:

«فالكل أسماء الله، أسماء أفعاله أو صفاته أو ذاته، فما في الوجود إلا الله، والأعيان معدومة في عين ما ظهر فيها»[(١)].

ويقول: «فكل ما ندركه فهو وجود الحق في أعيان الممكنات. فمن حيث هوية الحق هو وجوده ومن حيث اختلاف الصور فيه هو أعيان الممكنات، فكما لا يزول عنه باختلاف الصور اسم الظل كذلك لا يزول باختلاف الصور اسم العالم أو اسم سوي الحق»[(٢)].

---

(١) الفتوحات المكية لابن عربي ج ٢ ص٤٤، ٤٥.

(٢) أيضًا ص ٥٣.

وأيضًا «أسماؤنا أسماء الله تعالى إذ إليه الافتقار بلا شك، وأعياننا في نفس الأمر ظله لا غيره»[(١)].

ويقول:

«يا محجوب لم تر وجه الحق في كل شيء، في ظلمة ونور، ومركب وبسيط، ولطيف وكثيف»[(٢)].

ونصوص أخرى كثيرة له لم نذكرها تجنبًا عن الإطالة.

هذا ويقول حيدر الآملي: «ليس في الوجود سوى الله»[(٣)].

ونقل روزبهان بقلي شيرازي عن الشبلي أنه قال: «ليس هناك غير الله»[(٤)].

ونقل ابن عجيبة الحسني عن ابن وفا أنه قال: «جميع العالمين له ظلال»[(٥)].

ويقول: ولا شيء في الكون سواه»[(٦)].

وأيضًا «فهل في الوجود أحد سوى الملك الحق»[(٧)].

ويقول ابن عطاء الله الأسكندري:

«وكيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء إذ هو المتجلي فيها بمحاسن صفاته وأسمائه»[(٨)].

ويقول النفزي الرندي:

«لا موجود سوى الله تعالى على التحقيق، وإن وجود ما سواه إنما هو وهم مجرّد»[(٩)].

---

(١) فصوص الحكم لابن عربي ص١٠٣ ط دار الكتاب العربي بيروت.

(٢) أيضًا ص١٠٦.

(٣) ذخائر الأعلاق لابن عربي ص٧٨ ط مطبعة السعادة القاهرة.

(٤) كتاب نص النصوص لحيدر الآملي مخطوط نقلاً عن ملحقات ختم الأولياء ع ص٥٠٦ ط بيروت.

(٥) شرح شطحيات ص ٢٧٨ ط طهران ١٣٦٠هـ.

(٦) إيقاظ الهمم لابن عجيبة ص٢٥٤.

(٧) أيضًا ص٢٧٢.

(٨) إيقاظ الهمم ص ٥٦.

(٩) الحكم العطائية لابن عطاء الله الأسكندري متن غيث المواهب العلية ج١ ص١٠٠.

والوزير لسان الدين بن الخطيب يذكر وحدة الوجود بقوله:

«قال بعض كبارنا: أن الحق عين ما ظهر، وعين ما بطن، ويرون (أي الصوفية) أن وقوع التعدد في تلك الحقيقة، ووجود الاثنينية وهم، باعتبار حضرات الحس بمنزلة صور الظلال، والصدا، وصور المرائي (جمع مرآة)، وأن كل ما سوي عين القدم إذا استتبع فهو عدم، كان الله ولا شيء معه»(١).

وأيضًا «فإذا سقطت الأوهام صار مجموع العالم بأسره وما فيه واحدًا، وذلك الواحد هو الحق، وإنما العبد مؤلف من طرفي حق وباطل، فإذا سقط الباطل وهو اللازم بالأوهام لم يبق إلا الحق... فالكل واحد، وإن كان متفرقًا، فسبحان من هو الكل ولا شيء سواه»(٢).

ويشرح فلسفة وحدة الوجود بايزيد الأنصاري قائلاً:

«إن الموجودات واحدة مع ذات المعبود... قال الشاعر:

هــا أنــا أم أنــت هــذان الإلهــان ... حاشــاك حاشــاك عــن إثبــات الاثنــين

فــأين ذاك حيــث كنــت أري ... قــد بــان ذاتي حيــث لا أنــا

كما قيل: من أثبت الله نفي النفس، ومن أثبت النفس نفي الله... والموحّد لا يشرك وجود مع ذات المعبود حتي لا يصير مشركًا(٣).

فالشرك عندهم إثبات الاثنين إذ لا اثنينية عندهم.

وبذلك قال فخر الدين العراقي المتوفي ٦٨٨هـ:

وأأنــت أم أنــا هــذا العــين في العــين ... حاشاي حاشــاي مــن إثبــات اثنــين(٤)

ويقول أيضًا:

---

(١) غيث المواهب العلية للنفزي الرندي ج١ ص٣٢٣.

(٢) روضة التعريف للوزير لسان الدين بن الخطيب ص٤٩٩.

(٣) أيضًا ص٦٠٣.

(٤) مقصود المؤمنين لبايزيد الأنصاري ص٣٣٥ وما بعد ط مجمع البحوث الإسلامية إسلام أباد باكستان.

ومــا الوجــه إلا واحــد غــير أنــه إذا أنــت أعــددت المرايــا تعــددا[١]

يعني لا وجود سوي وجه الله والعالم كله عكس لذات الله ووجهه.

ويقول النسفي: إن الله هو الموجود حقيقة، والعالم كله خيال ووهم»[٢].

ويقول الصوفي الشيعي محمد كاظم عصار أنه لا مؤثر في الوجود إلا الله، وأن الحق تعالي أوجد العبادة في العباد، فهو في الحقيقة يعتبر معبودًا وعابدًا وموجدًا للعبادة، وحامدًا وخالقًا للحمد ومحمودًا[٣].

ويقول محمد القونوي:

«إن الوسائط السببية ليست غير تعينات الحق في المراتب الإلهية والكونية علي اختلاف ضروبها... من حيث أن ظاهر الحق مجلي لباطنه»[٤].

ويقول: «إن الله هو عين الظاهر وعين المظهر»[٥].

وأما ابن الفارض فيقول:

لهــا صــلواتي بالمقــام أقيمهــا وأشــهد فيهــا أنهــا لي صــلّت
كلانــا مــصلّ ســاجد إلي حقيقتــه بــالجمع في كــل ســجدة
ومــا كــان لي صــلي ســواي ولم تكــن صــلاتي لغــيري في أدا كــل ركعــة[٦]

وأيضًا:

فبــي مــوقفي لا، بــل إلي تــوجهي كــذلك صــلاتي لي، ومنــي كعبتــي[٧]

---

(١) لمعات ص٥٦ الطبعة الأولي انتشارات مولي إيران.

(٢) أيضًا ص٥٠.

(٣) زبدة الحقائق للنسفي ص٨٢ ط كتابخانه طهوري إيران ١٤٠٥ هجري قمري.

(٤) رسالة وحدة الوجود لمحمد كاظم عصار ضمن ثلاث رسائل في الحكمة الإسلامية ترجمة صلاح الصادي ص١٦ ط المطبعة المرتضوية إيران.

(٥) رسالة النصوص لمحمد القونوي ص٣٧ ط مركز نشردانشكا هي إيران ١٣٦٢ هجري قمري.

(٦) أيضًا ص٥٧.

(٧) نقلاً عن مصرع التصوف للبقاعي المنوفي ٨٨٥هـ. تحقيق عبد الرحمن الوكيل ص٦٤ ط دار الكتب العلمية بيروت.

وأيضًا:

إلى رســـولاً كنـــت منـــى مرســـلاً   وذاتي بآيـــاتي عـــلى اســـتدلّت[١]

يعني أنه هو المرسل، والرسول، والمرسل إليه.

فالحاصل أن الصوفية يعتقدون أن العالم كله ظل وعكس لذات الله تعالي، فهل في الوجود إلا الله، والإنس والجن، والشجر والحجر، والدود والدواب، والطيور والسباع، والكلاب والخنازير صور مختلفة للتجلي الإلهي، فكل شيء من العالمين إله عند الصوفية، وعلي ذلك نقل الطوسي عن أبي حمزة الصوفي أنه كان إذا سمع صوتًا مثل هبوب الرياح وخرير الماء وصياح الطيور فكان يصيح ويقول: لبيك[٢].

ونقل عن أبي الحسين النوري أنه سمع نباح الكلاب فقال: لبيك وسعديك[٣]. وأما تجلّيه سبحانه وتعالي وظهوره في القرود والخنازير - عياذًا بالله من نقل الكفر الصوفي البواح - فهو كما ذكر ابن عجيبة الحسني حيث نقل عن الششتري أنه قال:

«محبوبي قد عمّ الوجود، وقد ظهر في بيض وسود، وفي النصاري مع اليهود، وفي الخنازير مع القرود، وفي الحروف مع النقط، افهمني قط، افهمني قط»[٤].

ونقل البقاعي عن بعض أهل العلم أنه «رأي شخصًا ممن ينتحل هذه المقالة القبيحة بثغر الأسكندرية، وأن ذلك الشخص قال له: إن الله تعالي هو عين كل شيء، فمرّ بهما حمار، فقال: وهذا الحمار؟

فقال (أي الصوفي): وهذا الحمار.

فقال له: وروث الحمار؟

فقال له: وروث الحمار. نسأل الله السلام والتوفيق»[٥].

ويقول عبد الرحمن الوكيل محقق «مصرع التصوف»:

(١) انظر مصرع التصوف للعلامة البقاعي ص٧٣.

(٢) كتاب اللمع للطوسي ص٤٩٥.

(٣) أيضًا ص٤٩٢.

(٤) إيقاظ الهمم لابن عجيبة الحسني ص٥٥.

(٥) مصرع التصوف لبرهان الدين البقاعي ص١٢٣.

«ذكر الإمام ابن تيمية الصدوق مثل هذه القصة، فقال: مرّ شيخان منهم التلمساني والشيرازي علي كلب أجرب ميت بالطريق عند دار الطعم، فقال الشيرازي للتلمساني: هذا (وأشار إلي جثة الكلب الميت الأجرب) أيضًا هو ذات الله؟

فقال: وهل ثمّ شيء خارج عنها؟ نعم: الجميع ذاته.

وليس هذا بمستغرب ممن يدينون بأن الله سبحانه عين كل شيء، فالروث شيء، والجيفة المنتنة شيء، والخنزير شيء، والبغي الهلوك شيء، والأحمق المأفون شيء، وحسب الصوفية أن تكون هذه بعض أربابهم وآلهتهم»[١].

وقال في مقدمة كتاب «مصرع التصوف»:

«إن الصوفية ينشدون «وما الكلب والخنزير إلا إلهنا»[٢].

هذا وإن الصوفية يعتقدون أن الشيطان أيضًا صورة لذات الله، تجلّت الذات الإلهية فيه، كما ذكر ذلك بايزيد الأنصاري:

«فالشيطان صورة تجلّي فيها بصفة الإضلال والإغواء»[٣].

وبناء علي هذه المعتقدات الكفرية الضالة وهذه الأباطيل الشركية الزائغة قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كفر القائلين بالاتحاد أعظم من كفر النصاري»[٤].

وقبل أن نتكلّم عن الفكرة الباطلة الأخري، فكرة وحدة الأديان نريد أن نبحث فكرة خبيثة نتجت عن «وحدة الوجود»، وهي: أن الصوفية قد عشقوا الصور الجميلة لاعتقادهم أنها مظاهر الحق، فتصوف وحدة الوجود دعوة إلي خلاعة ماجنة وإلي حبّ الشهوات الرذيلة، حيث جعلوا العشق الطبيعي سلّمًا للحب الإلهي، وحاكوا في كتبهم الحكايات الغزلية والأساطير العشقية، وجعلوا مجنون ليلي قدوة لهم في حبّهم لله تعالي.

فيقول ابن عربي: «الجمال محبوب لذاته، فالعالم كله محب لله وجمال صنعه، سار في خلقه،

---

(١) هامش مصرع التصوف للوكيل ص١٢٣.

(٢) مقدمة كتاب مصرع التصوف ص٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) مقصود المؤمنين لبا يزيد الأنصاري ص٢٤٤.

والعالم مظاهره، فحبّ العالم بعضه بعضًا من حب الله نفسه، فإن الحب صفة الموجود وما في الوجود إلا الله، والجلال والجمال لله... فلا محب ولا محبوب إلا الله عز وجل، فما في الوجود إلا الحضرة الإلهية،وهي ذاته وصفاته وأفعاله[١].

ويصرح في فصوصه: «فمن أحب النساء علي هذا الحد فهو حب إلهي»[٢].

فحب الصور الجميلة من النساء وغيرهن هو حب الله، لأن الله ظاهر فيهما.

ويقول: «فما أحب الله إلا الله، والعبد لا يتصف بالحب، إذ لا حكم له فيه، فإنه ما أحبه منه سواه، الظاهر فيه، وهو الظاهر»[٣].

وأيضًا «إن الحسن معشوقٌ لذاته في كل شيء ظهر»[٤].

وجعلوا الحب السفلي سلّمًا للحب الإلهي كما صرَّح بذلك الوزير لسان الدين بن الخطيب بقوله:

«عشق الحادث للحادث ربما كان سلّمًا للحب الحقيقي الموصل للسعادة»[٥].

وصرح به أيضًا ابن الدباغ حيث ذكر:

وقـــد قلـــتها لي لـــيس في الأرض جنـــة — أمـــا هـــذه فـــوق الركائـــب حورهـــا
يقـــول خلـــيلي والظبـــاء ســـوانح — أهـــذا الـــذي تهـــوي فقلـــت نظيرهـــا
لـــئن شـــابهت أجيادهـــا وعيونهـــا — لقـــد خالفـــت أعجازهـــا وصـــدورها
أراك الحمـــي قـــل لي بـــأي وســـيلة — توســـــلّت قبّلتـــــك ثغورهـــــا

فقد صحّ أن الجمال الظاهر هو المعني اللائح علي الهياكل الإنسانية التي في غاية كمال الشكل وتمام الهيئة.

وأما الجمال الباطن فهو ما تفيده الأنوار القدسية الإلهية إذا أشرقت علي العقول الزكية من الاتصاف بأنواع العلوم الدينية وأسرار المعارف الربانية المؤدية إلي المحبة

(١) الفتوحات المكية لابن عربي ج٢ ص١١٤.
(٢) فصوص الحكم لابن عربي ص٢١٨.
(٣) الفتوحات المكية ج٢ ص١١١.
(٤) ذخائر الأعلاق لابن عربي ص٣٨.
(٥) روضة التعريف بالحب الشريف للوزير لسان الدين ص٢٩٢.

الحقيقية، ولا يدرك هذا الجمال إلا العقول التي هي غاية الصفاء المستنيرة من أنوار الله التي تكون سببًا لحصول محبة الحق[(١)].

ويقول:

«النظر إلي الجمال عبادة إذا قصد بالتعلق به الوصول إلي خالقه إذ لا يستدلّ علي علم الصانع وقدرته إلا بإتقان صنعته وإحكامها... وكيف لا يكون النظر إلي الجمال بهذا الاعتبار عبادة والناظر إليه مطالع لفاطره وواهبه، ومستدلّ به علي جماله الذي لا ينبغي إلا له، إذ لا يعطي الجمال إلا من هو أجمل منه، ولا نسبة بين الجمالين كما لا نسبة بين المجاز والحقيقة والفعل والفاعل، بل لا يسمي الجمال المبدع جمالاً إلا من حيث النظر إلي موجده، وأما بالنظر إلي ذاته فهو مجاز محض.

والنظر إلي الواهب هو المقصود، وهذا موصل إليه ودالّ عليه[(٢)].

فانظر إلي القوم كيف يدعون إلي معصية الله ورسوله بالحث علي النظر إلي النساء الجميلة، بدليل أن النظر إلي جمالهن يوصل إلي محبة الله ودال علي حبّه إذ أنه هو خالق ذاك الجمال، وأن خالقه أجمل منه.

فأين قول الله عزوجل، الذي أمر فيه المؤمنين: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾[(٣)].

ولكن حب الشهوات قد استعبد الصوفية وذهب بهم إلي أنهم كذبوا علي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«النظر إلي الوجه الحسن عبادة»[(٤)].

وفي ذلك يقول عبد الرحمن الوكيل:

«النساء عند الصوفية هنّ أجمل تعينات الذات الإلهية... ودائمًا تري الصوفية

---

(١) مشارق أنوار القلوب لابن الدباغ ص٤٧، ٤٨ ط دار صادر بيروت ١٣٧٩هـ.

(٢) أيضًا ص١٢٠.

(٣) سورة النور الآية ٣٠.

(٤) مشارق أنوار القلوب ص١١٦.

يلهجون بذكر النساء، ويرونهن أكمل وأجمل وأتم تعينات الذات الإلهية ومجاليها، وهذا يجعلك تؤمن بأن هناك في أعماق التصوف حيوانًا ضاربًا يستعبده الشبق والغلمة الداعرة، ويستعلن دائمًا بالصريخ الملتهب عما يزلزله من رجفات الشهوات العارمة، وينزو بعربدته على كل مقدسات الدين ومحارم الفضيلة، وتؤمن كذلك أن من مقومات التصوف عبادة المرأة، وتعرف عن يقين لماذا يبحث الصوفية عن درويشات يسلكن معهم طريق القوم»(١).

وأما الاستدلال من أبيات مجنون وأقواله وحكاياته فكما ذكر الوزير لسان الدين في مسألة عبادة الله لا خوفًا ولا رجاءً، يستدل على كون المحبة هي الأصل، لا الخوف والرجاء، من أشعار مجنون يذكرها في روضته:

ولــو قيــل لمجنــون لــيلي أوصــلها ... تريــد أم الــدنيا ومــا في طواياهــا
لقــال: غبــار مــن تــراب نعالهــا ... أحــبّ إلي نفسي وأشـفي لبلواهـا(٢)

يذكر لسان الدين هذه الأبيات الغزلية ثم يبني عليها قاعدته في الحب بذات الله مستدلاً منها ومن الفلسفة التي ذكرت فيها.

هذا ونقل الشعراني عن الشبلي أنه كان يقول: «قيل لمجنون بني عامر: أتحبّ ليلى؟

قال: لا.

قيل: ولم؟

قال: لأن المحبة ذريعة للوصلة، وقد سقطت الذريعة، فليلى أنا، وأنا ليلى»(٣).

فذكر هذه الحكاية واستدل منها على اتصال الصوفي بذات الله سبحانه تعالى.

ويدعم الطوسي قول من قال «أنا أنت وأنت أنا» بحب مجنون ليلى، فيقول:

«أما قول القائل «أنا أنت وأنت أنا» فمعناه الإشارة إلى ما أشار إليه الشبلي، رحمه الله حيث قال في مجلسه: يا قوم، هذا مجنون بني عامر كان إذا سئل عن ليلى، فكان يقول: أنا

---

(١) هامش مصرع التصوف ص١٤١، ١٤٢.
(٢) روضة التعريف بالحب الشريف ص٤٢٨.
(٣) طبقات الشعراني ج ١ ص١٠٤.

ليلي، فكان يغيب بليلي عن ليلي حتي يبقي بمشهد ليلي، ويغيبه عن كل معني سوي ليلي، ويشهد الأشياء كلها بليلي»(١).

وابن عربي يذكر أنواع الحب وكيفياته، فيقول:

«كان قيس ليلي في هذا المقام، حيث كان يصيح: ليلي، ليلي، في كل ما يكلّم به فإنه كان يتخيل أنه فقيد لها، ولم يكن. وإنما قرب الصورة المتخيلة أفرطت في القرب فلم يشاهدها، فكان يطلبها طلب الفاقد، ألا تراه حين جاءته من خارج فلم تطابق صورتها الظاهرة الصورة الباطنة المتخيلة، التي مسكها في خياله منها، فرآها كأنها مزاحمة لتلك الصورة فخاف فقدها، فقال لها: إليك عني، فإن حبّك شغلني عنك، يريد أن تلك الصورة هي عين الحب، فبقي يطلبها: ليلي، ليلي»(٢).

يذكر هذا النص ثم يقارن بين الحب الطبيعي والحب الإلهي ويربط العلاقة بينهما.

وروي الشعراني عن ابن الحسين الشيراوي أنه كان يقول:

«رؤي مجنون بني عامر في المنام بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك؟

فقال: غفر لي وجعلني حجة علي المحبين»(٣).

وإليكم الآن ما قاله الجيلي شارحًا «العشق» ومستدلاً منه علي «الفناء» الاصطلاح الصوفي، فيقول:

«إذا طفح الودّ حتي أفني المحب والمحبوب سمي عشقًا، وفي هذا المقام يري العاشق معشوقه فلا يعرفه ولا يصيح إليه، كما روي عن مجنون ليلي أنها مرّت به ذات يوم فدعته إليها لتحدثه، فقال لها: دعيني فإني مشغول بليلي عنك، وهذا آخر مقامات الوصول والقرب فيه ينكر العارف معروفه، فلا يبقي عارف ولا معروف، ولا عاشق ولا معشوق، ولا يبقي إلا العشق وحده، والعشق هو الذات المحض الصرف الذي لا يدخل تحت رسم ولا نعت ولا وصف، فإذا امتحق العاشق وانطمس أخذ العشق في

---

(١) كتاب اللمع للطوسي ص٤٣٧.

(٢) الفتوحات المكية لابن عربي ج٢ ص١١١.

(٣) طبقات الشعراني ج١ ص١٢٠.

فناء المعشوق والعاشق، فلا يزال يفني منه الاسم ثم الوصف ثم الذات فلا يبقي عاشق ولا معشوق، فحينئذ يظهر العاشق بالصورتين ويتصف بالصفتين، فيسمي بالعاشق ويسمي بالمعشوق»[١].

هذا ويستدل الطوسي وابن الدباغ علي فناء العبد في محبة الله من حكاية عاشق ومعشوق أنهما:

«ركبا سفينة فزلّت قدم أحدهما من أعلي السفينة فسقط في البحر، فلما رآه صاحبه لم يتمالك أن سقط معه، فلما رفعا إلي السفينة قال الأول منهما لصاحبه: أنا سقطت دون قصد وأنت لماذا سقطت؟

فقال له:

ظننت أنني أنت، وغبت عن نفسي فسقطت.

كلّـــــما مـــــسك شيء مـــــسني ... فـــإذا أنـــت أنـــا في كـــل حـــال[٢]

وذكروا هذه الحكاية كدليل علي الحلول الصوفي والفناء في الذات الإلهي، وكبرهان علي القاعدة الصوفية «تقوي المحبة بحسب قوتها حتي لا يفهم المحب أن بينه وبين محبوبه فرقًا أصلاً كما قيل:

أفنيتنـــــــي بـــــــك عنـــــــي ... يـــــــا غايـــــــة المتنـــــــي
أدنيتنـــــــي منـــــــك حتـــــــي ... ظننـــــــت أنـــــــك أني[٣]

ويقيس ابن الدباغ محبة الله علي محبة الأشخاص، ويحمل وصفه علي وصف العباد حيث يقول:

«إن المحب إذا تحقق في مقام وجد الموجود، وظهرت عليه آثار الشهود، يشهد محبوبه في سائر الذوات، وصفاته مع سائر الصفات، فلا يري الوجود سواها ولا يراها سواه:

(١) الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي ج١ ص٨٠، ٨١ ط مصطفي البابي الطبعة الرابعة.
(٢) كتاب اللمع للطوسي ص٤٣٧، أيضًا مشارق أنوار القلوب لابن الدباغ ص٩.
(٣) مشارق أنوار القلوب للدباغ ص٨.

وطـارحني غـنج اللحـاظ معانيـا أغـار عليهـا أن تلـمّ بمـسمعي
فكـرّرت طـرفي في الوجـود بـأسره فلـم أر فيـه غـير معنـاك مقنعـي
وطالعـت في سرّ الهـوي فـإذا التـي أطـوف عليهـا في معالمهـا معـي[١]

ويذكر في موضع آخر من كتابه قاعدة من قواعد الحب ثم يستدل عليها من حكايات غزلية عشقية، فيقول: «سئل سري السقطي: هل يجد المحب طعم الألم؟

فقال: لا، قيل: وإن ضرب بالسيف؟

قال: وإن ضرب بالسيف سبعين ضربة علي ضربة.

وحكي أن بعض الشطّار ضرب مائة فما تألّم بذلك، ثم ضرب بعد ذلك سوطًا واحدًا فتألّم وصاح، فسئل عن ذلك فقال: العين التي كنت أضرب من أجلها كانت معي ناظرة إلي فلم أجد للضرب ألمًا، فلما غابت عني رجعت إلي جسمي فوجدت الألم.

وكذلك أيضًا حكي أن بشر بن الحارث قال: رأيت شخصًا ببغداد قد ضرب ألف سوط ولم يتكلم، فلما حمل إلي السجن تبعته فسألته عن سكوته، فقال: معشوقي الذي كنت أضرب من أجله كان حذائي ينظر إلي، قلت: فلو نظرت إلي المعشوق الأكبر؟

قال: «فزعق زعقة وخرّ ميتًا»[٢].

وكذلك عماد الدين الأموي يبين أصلاً من أصول المحبة ثم يدعمها بحكاية غزلية، فيقول: «وأصل حال المحب أن يقطع تشوقه عن كل شيء سوي محبوبه، فمن نظر إلي سواه فهو محجوب عن مولاه.

يحكي أن بعض الناس رأي امرأة جميلة فاشتغل قلبه بها فقال لها: كلي بك مشغول، فقالت: إن كان كلّك بكلي مشغول، فكلي لك مبذول، لكن لي أخت لو رأيت حسنها وجمالها لم تذكرني، فقال: أين هي؟

فقالت: وراءك، فالتفت وراءه فلطمته لطمة وقالت: يا كذاب، لو كنت صادقًا فيما قلت لم تلتفت إلي غيري»[٣].

(١) مشارق ص ٣٧.
(٢) نفس المصدر ص٧٥.
(٣) حياة القلوب لعماد الدين الأموي ج٢ ص١١٩.

وأما نجم الدين الكبري فيذكر العشق نقلاً عن الجنيد أنه سئل عن العشق، فقال:

«لا أدري ما هو، ولكن رأيت رجلاً أعمي عشق صبيًّا، وكان الصبي لا ينقاد له، فقال الأعمي: يا حبيبي، أيش تريد مني؟

قال الصبي: روحك، ففارق روحه في الحال»(١).

ثم يقول: «وقد يفني العاشق في العشق، فيكون العاشق هو العشق، ثم يفني العشق في المعشوق، عشقت جارية بقرية علي ساحل نيل مصر، فبقيت أيامًا لا آكل ولا أشرب إلا ما شاء الله، حتي كثرت نار العشق فكنت أتنفّس نيرانًا، فتتلقي الناران ما بيني وبين السماء، فما كنت أدري من ثمة أين تلتحقان. فعلمت أن ذلك شاهدي في السماء»(٢).

فهكذا اعتقد الصوفية أن الله يتجلّي في الصور الجميلة من النساء والصبيان، فالعشق بهن هو العشق بذات الله تعالي، وعلي ذلك لا يستحيون من ذكر وقائعهم التي مضت بهم من العشق بالجواري والصبيان.

فهذا هو الحب الذي قالوا عنه: «الحب حج ثان»(٣).

ونقلوا عن يحيي بن معاذ الرازي أنه قال: «لو رأيت حساب الخلق يوم القيامة لم أعذب أحدًا من العشاق لأنهم لا اختيار لهم في عشقهم»(٤).

وأخيرًا نذكر من ابن الفارض أبياته الخليعة المشهورة حيث ينشد:

ففي النشأة الأولي ترادت (أي الذات الإلهية) لآدم ... ففـــي مـــرة لبنـــي وأخـــري بثينـــة

بمظهـــر حـــواء قبـــل حكـــم الأمومـــة ... وآونـــة تـــدعي بعـــزة عـــزت

وتظهـــر للعـــشاق في كـــل مظهـــر ... ولَـــسْنَ ســـواها، لا ولا كُـــنّ غيرهـــا

مـــن اللـــبس في أشـــكال بديعـــة ... ومـــا إن لهـــا في حـــسنها مـــن شريكـــة(٥)

---

(١) فوائح الجمال وفواتح الجلال لنجم الدين الكبري ص٣٧، ٣٨ ط ألمانيا بتحقيق المستشرق فرينز ماثر.

(٢) أيضًا ص ٣٩.

(٣) انظر روضة التعريف بالحب الشريف للوزير لسان الدين ط دار الفكر العربي.

(٤) أيضًا ص٤١٥.

(٥) مصرع التصوف ص١٠١ ط دار الكتب العلمية بيروت.

ثم يعلّق عليها الوكيل بقوله:

يفتري سلطان الزنادقة أن الذات الإلهية - أتم وأجمل ما تتجلّي - في صورة النساء الجميلات، ويفتري أنها تجلّت في صورة ليلي وبثينة وعزة، وقد رمز بهنّ عن كل امرأة جميلة عاشقة معشوقة، ولما كان من طبيعة هذا الرب الصوفي العشق، كان لا بد له من التجلّي في صور عشاق ليعشق، ويعشق، فتجلّي في صور قيس وجميل وكثير عشاق أولئك الغانيات.

وقد رمز بهم عن كل فتي اختبله الحب وتيمته الصبابة.

ثم يفتري أيضًا الزعم بأن العاشق ليس غير العشيقة، بل هو هي. فالرب الصوفي عشق وعاشق وعشيقة[1].

وأما وحدة الأديان فيؤمن بها الصوفي نتيجة إيمانهم بوحدة الوجود، فيقولون: إن الله هو الظاهر في كل شيء، والشيء يطلق علي الصنم أيضًا فكل من عبد شجرًا أو حجرًا، أو حيوانًا أو إنسانًا، أو كوكبًا أو ملكًا، فهو في الحقيقة يعبد الله، وهذا هو معني «لا إله إلا الله» عندهم كما يقول عبد الكريم الجيلي:

«لا إله إلا أنا: يعني الإلهية المعبودة ليست إلا أنا، فأنا الظاهر في تلك الأوثان والأفلاك والطبائع، وفي كل ما يعبده أهل كل ملة ونحلة، فما تلك الآلهة إلا أنا، ولهذا أثبت لهم لفظة الآلهة، وتسميته لهم بهذه اللفظة من جهة ما هم عليه في الحقيقة تسمية حقيقية لا مجازية، ولا كما يزعم أهل الظاهر أن الحق إنما أراد بذلك من حيث أنهم سموهم آلهة، لا من حيث أنهم في أنفسهم لهم هذه التسمية، وهذا غلط منهم وافتراء علي الحق، لأن هذه الأشياء كلها بل جميع ما في الوجود له من جهة ذات الله تعالي في الحقيقة هذه التسمية تسمية حقيقية، لأن الحق سبحانه وتعالي عين الأشياء وتسميتها بالإلهية تسمية حقيقية، لا كما يزعم المقلد من أهل الحجاب أنها تسمية مجازية، ولو كان كذلك لكان الكلام أن تلك الحجارة والكواكب والطبائع والأشياء التي تعبدونها ليست بآلهة، وأن لا إله إلا الله أنا فاعبدوني، لكنه إنما أراد الحق أن يبين لهم أن تلك

(١) هامش المصرع ص١٠١.

الآلهة مظاهر، وأن حكم الألوهية فيهم حقيقة وأنهم ما عبدوا في جميع ذلك إلا هو، فقال: (لا إله إلا أنا) أي ما ثم ما يطلق عليه اسم الإله إلا وهو أنا، فما في العالم ما يعبد غيري، وكيف يعبدون غيري وأنا خلقتهم ليعبدوني ولا يكون إلا ما خلقتهم له. قال عليه الصلاة والسلام في هذا المقام «**كل ميسر لما خلق له**» أي لعبادة الحق لأن الحق تعالى قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ فنبه الحق نبيه موسى عليه السلام على أن أهل تلك الآلهة إنما عبدوا الله تعالى، ولكن من جهة ذلك المظهر، فطلب من موسى أن يعبده من جهة جميع المظاهر فقال: (لا إله إلا أنا) أي ما ثم إلا أنا، وكل ما أطلقتموه عليه اسم الإله فهو أنا[١].

ويقول العطار: «ليس في عين الإنسان إلا شيء واحد، حيث لا وجود هنا للكعبة والدير»[٢].

ويقول الشعراني: اعلم أن الموحد سعيه بأي وجه كان توحيده[٣] وإن لم يكن مؤمنًا بكتاب ولا رسول ويدخل الجنة.

وأما ابن عربي فأمره مشهور، وقد ذكر في كتبه نصوصًا عديدة، وأنشد أبياتًا كثيرة تدلّ على أنه يؤمن بوحدة الأديان، فعبادة الأصنام والأوثان عنده هي عبادة الله تعالى، والدير لديه كالكعبة، والكنيسة كالمسجد، لتنوع التجليات الإلهية، فهو الظاهر المتجلي في كل شيء، فيقول:

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة ... فمرعى الغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أني توجهت ... ركائبه فالدين ديني وإيماني
لنا أسوة في بشر هند وأختها ... وقيس وليلى ثم مي وغيلان[٤]

---

(١) الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي ج١ ص٩٩.
(٢) منطق الطير لفريد الدين عطار ص٣٨٩ ط دار الأندلس بيروت.
(٣) اليواقيت والجواهر للشعراني (٢/ ٨٥).
(٤) ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق لابن عربي ص٤٩ وما بعد.

وأنشد أيضًا:

فوقتـا أسـمي راعـي الظبـي بـالفلا ووقتًـا أسـمي راهبًـا ومـنجما
تثلـث محبـوبي وقـد كـان واحـدا كـما صـيروا الأقنـام بالـذات أقنما[1]

وصرح قائلاً:

«العارف المكمّل من رأي كل معبود مجلي للحق يعبد فيه، ولذلك سمّوه كلهم إلهًا مع اسمه الخاص بحجر أو شجر أو حيوان أو إنسان أو كوكب أو ملك، هذا اسم الشخصية فيه، والألوهية مرتبة تخيل العابد له أنها مرتبة معبوده، وهي علي الحقيقة مجلي الحق لبصر هذا العابد المعتكف علي هذا المعبود في هذا المجلي المختص»[2].

وعبادة العجل عنده هي عبادة الله كما يقول:

«وكان موسي عليه السلام أعلم بالأمر من هارون لأنه علم ما عبده أصحاب العجل، لعلمه بأن الله قد قضي ألاّ يعبد إلاّ إياه: وما حكم الله بشيء إلا وقع، فكان عتب موسي أخاه هارون لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه. فإن العارف من يري الحق في كل شيء، بل يراه عين كلّ شيء»[3].

ويؤمن كذلك بدخول جميع الناس في الجنة، مسلمًا كان أم كافرًا، حيث يقول:

«فلقد بان لك عن الله تعالي أنه في أينية كل وجهة، وما ثمّ إلا الاعتقادات. فالكل مصيب، وكل مصيب مأجور، وكل مأجور سعيد، وكل سعيد مرضي عنه، وإن شقي زمانًا ما في الدار الآخرة»[4].

ويقول أيضًا:

«وأما أهل النار فمآلهم إلي النعيم، ولكن في النار إذ لا بد لصورة النار بعد انتهاء مدة العقاب أن تكون بردًا وسلامًا علي من فيها، وهذا نعيمهم، فنعيم أهل النار بعد

---

(١) أيضًا ص٥٢، ٥٣.
(٢) انظر فصوص الحكم لابن عربي ص١٩٥.
(٣) أيضًا ص ١٩٢.
(٤) أيضًا ص١١٤.

استيفاء الحقوق نعيم خليل الله حين ألقي في النار فإنه عليه السلام تعذّب برؤيتها وبما تعوّد في علمه وتقرر أنها صورة تؤلم من جاورها من الحيوان وما علم مراد الله فيها ومنها في حقه.

فبعد وجود هذه الآلام وجد بردًا وسلامًا مع شهود الصورة اللونية في حقه، وهي نار في عيون الناس. فالشيء الواحد يتنوع في عيون الناظرين: هكذا هو التجلّي الإلهي»[1].

وهكذا نختم كتابنا هذا سائلين المولي عزّ وجلّ أن نكون قد وفقنا لتبيين حقيقة الصوفية وردّ شبهات المتصوفين.

ونسأل الله الرشاد والهدي وحسن الخاتمة

والحمد لله رب العالمين.

* * *

(١) فصوص الحكم فص حكمة نفسية في كلمة يونسية ص١٦٩، ١٧٠.

مصادر الكتاب ومراجعه

* كتب الصوفية:

١- الإبريز لعبد العزيز الدباغ. ط مصر.

٢- أحاسن المجالس لأبي إسحاق إبراهيم. ط المكتبة السلفية. مكة المكرمة ١٣٩٠هـ.

٣- أحمد بن مخلوف الشبابي لعلي الشبابي. ط المكتبة الشبابية. الجزائر ١٩٧٩م.

٤- أحوال وآثار فريد الدين مسعود كنج شكر (أردو). ط باكستان.

٥- أحوال وأقوال الشيخ أبي الحسن الخرقاني (فارسي) الطبعة الثالثة ١٣٦٣هجري. قمري إيران.

٦- أحوال أبدال لمحمد عبد العزيز مزنكوي (أردو). ط باكستان.

٧- إحياء علوم الدين للغزالي. ط دار القلم. بيروت.

٨- الأخلاق المتبولية لعبد الوهاب الشعراني. ط مطبعة دار التراث العربي القاهرة.

٩- آداب الصوفية لنجم الدين كبري (فارسي). ط كتاب فروشي زوّار إيران.

١٠- أستاذ السائرين الحارث بن أسد المحاسبي للدكتور عبد الحليم محمود. ط دار الكتب الحديثة. القاهرة.

١١- أسرار الأولياء ملفوظات فريد الدين. ط باكستان.

١٢- أسرار نامه (فارسي) لعطار نيشابوري. ط إيران.

١٣- الإسراء لابن عربي. ط حيدر آباددكن الهند ١٣٦٧هـ.

١٤- الاسم الأعظم للغزالي. ط مكتبة نصير. القاهرة.

١٥- اصطلاحات الصوفية لكمال الدين عبد الرزاق القاشاني. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب بمصر.

١٦- الألواح العمادية للسهروردي بتحقيق نجف قلي ط مركز تحقيقات فارسي إيران وباكستان.

١٧- الأمر المحكم المربوط فيما يلزم أهل الطريق لابن عربي بتحقيق محمد عبد الرحمن الكردي. ط القاهرة.

١٨- الانتصار لطريق الصوفية الأخيار لزمنمي بن محمد ط دار مرجان للطباعة. مصر.
١٩- الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي الطبعة الرابعة ١٩٨١م
٢٠- إنشاء الدوائر لابن عربي ط. مطبعة بريل ليدن ١٣٣٦هـ.
٢١- أوراد الأحباب وفصوص الآداب لأبي المفاخر يحيي الباخرزي. ط طهران ١٩٦٦م.
٢٢- الأنوار القدسية في معرفة القواعد الصوفية لعبد الوهاب الشعراني. ط دار إحياء التراث العربي بغداد ١٩٨٤م.
٢٣- إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة الحسني. ط مصطفي البابي الحلبي. القاهر.
٢٤- أيها الولد للغزالي. ط دار الاعتصام. القاهر.
٢٥- آئينة شاه ناصر أولياء لمحمد أنور بدخشاني. ط كراتشي. باكستان.
٢٦- بايزيد الأنصاري للدكتور ميرولي خان. ط مجمع البحوث الإسلامية. باكستان ١٣٩٦م.
٢٧- البرهان المؤيد لأحمد الرفاعي. ط القاهرة.
٢٨- بيان الأحكام في السجادة والخرقة والأعلام لعلي بن ميمون المغربي مخطوط.
٢٩- تأييد الحقيقة الجلية للسيوطي.
٣٠- تاريخ مشائخ جشت (أردو) لخليق أحمد نظامي. ط باكستان.
٣١- التجليات لابن عربي. ط دكن الهند.
٣٢- التدبيرات الإلهية لابن عربي. ط ليدن ١٣٣٦هـ.
٣٣- تذكرة الأولياء (أردو) لفريد الدين العطار. ط باكستان.
٣٤- تذكرة أولياء باك وهند (أردو) للدكتور ظهور الحسن شارب. ط باكستان.
٣٥- تذكرة أولياء بر صغير (أردو) لميرزه محمد اختر الدهلوي. ط باكستان.

٣٦- تذكرة أولياء كرام لصباح الدين عبد الرحمن (أردو) ط باكستان.
٣٧- تذكرة صوفياء بلوجستان (أردو) للدكتور إنعام الحق كوثر. ط باكستان.
٣٨- تذكرة صوفياء بنجاب (أردو) لإعجاز الحق قدوسي. ط باكستان.
٣٩- تذكرة غوثية (أردو) لشاه كل حسن قادري. ط باكستان.
٤٠- التراجم لابن عربي. ط دكن الهند.
٤١- ترتيب السلوك للقشيري. ط المعهد المركزي للأبحاث الإسلامية إسلام أباد باكستان.
٤٢- ترتيب السلوك إلي ملك الملوك لجمال الدين محمد بن عمر بحرق الحضرمي. ط جامعة بنجاب لاهور باكستان.
٤٣- ترصيع الجواهر المكية لعبد الغني الرافعي. ط المطبعة العامرية مصر ١٣٠١هـ.
٤٤- تحقيق الأسفار الأربعة لحسن نوري. ط شيراز إيران.
٤٥- التصوف في الإسلام لعرجون محمد الصادق مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة ١٩٦٧م.
٤٦- التصوف والأمير عبد القادر الحسني الجزائري لجواد المرابط. ط دار اليقظة دمشق ١٩٦٦م.
٤٧- التصوف الإسلامي والإمام الشعراني لطه عبد الباقي سرور. ط دار نهضة مصر.
٤٨- التصوف في تراث ابن تيمية للدكتور طبلاوي حمد سعد. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م.
٤٩- التصوف الإسلامي الخالص للمنوفي. ط دار نهضة مصر.
٥٠- تصوف إسلام (أردو) لعبد الماجد دريا آبادي. ط باكستان.
٥١- التعرض لمذهب أهل التصوف لأبي بكر محمد الكلاباذي الطبعة الثالثة مكتبة الكليات الأزهرية ١٤٠٠هـ.

٥٢- التعريفات للجرجاني مخطوط.
٥٣- تفسير ابن عربي. ط انتشارات ناصر خسرو/ طهران.
٥٤- تنبيه المغتربين لعبد الوهاب الشعراني. ط مصر.
٥٥- تنبيه الغافلين لأبي الليث بن نصر محمد. ط مصطفي البابي الحلبي القاهرة ١٩٣٣م.
٥٦- ثلاث رسائل لشهاب الدين السهروردي. ط مركز تحقيقات إيران وباكستان.
٥٧- طرابلس الشام ١٢٩٨م.
٥٨- جامع كرامات الأولياء لابن عربي. ط دار صادر بيروت.
٥٩- جامي (فارسي) لعلي أصغر حكمت. ط انتشارات توس إيران.
٦٠- جمهرة الأولياء «لأبي الفيض المنوفي الحسيني. ط مؤسسة الحلبي القاهرة.
٦١- الجواب المستقيم لابن عربي مخطوط.
٦٢- الجواهر والدرر للشعراني ط مصر.
٦٣- الجواهر اللماعة لعلي المرزوقي. ط مصطفي البابي الحلبي مصر.
٦٤- جهل مجلس لعلاء الدين سمناني بتصحيح عبد الرفيع حقيقت (فارسي).
٦٥- الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية. ط باكستان.
٦٦- الحب الإلهي في التصوف الإسلامي لمحمد مصطفي حلمي. ط القاهرة ١٩٦٠م.
٦٧- حضرات القدس (فارسي) لبدر الدين سرهندي ط لاهور ١٩٧١م.
٦٨- حقائق عن التصوف لعبد القادر عيسي الطبعة الرابعة. المطبعة الوطنية عمان ١٤٠١هـ.
٦٩- حكمة الإشراق لشهاب الدين السهروردي.
٧٠- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني. ط دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٠م.

٧١- الحلاج لطه عبد الباقي سرور. ط دار نهضة مصر القاهرة.
٧٢- حياة القلوب في كيفية الوصول إلي المحبوب بهامش قوت القلوب. ط دار صادر بيروت.
٧٣- الخبر الدال علي وجود القطب والأوتاد للسيوطي مخطوط.
٧٤- ختم الولاية للحكيم الترمذي. ط المطبعة الكاثوليكية بيروت.
٧٥- خزينة الأصفياء (أردو) لمفتي غلام سرور. ط باكستان.
٧٦- خزينة معرفت (أردو) للصوفي محمد إبراهيم قصوري. ط باكستان.
٧٧- درر الغواص علي فتاوي سيدي علي الخواص لعبد الوهاب الشعراني بهامش الأبريز للدباغ. ط مصر.
٧٨- الدرر الثمين والمورد المعين لمحمد بن أحمد المالكي. ط مصطفي البابي الحلبي ١٩٥٤م.
٧٩- الدرر السنية في الطريقة التيجانية لمحمد سعد الرباطبي. ط مكتبة القاهرة.
٨٠- دلائل الخيرات ط مصطفي البابي الحلبي ١٣٤٦هـ.
٨١- ديوان ابن عربي. ط مكتبة محمد ركابي الرشيدي القاهرة.
٨٢- ديوان ابن فارض. ط مكتبة القاهرة ١٣٩٩هـ.
٨٣- ديوان البرعي. ط مصطفي البابي الحلبي القاهرة.
٨٤- ديوان البوصيري لشرف الدين بوصيري. ط مصطفي البابي الحلبي مصر.
٨٥- ديوان الحلاج الطبعة الثانية بغداد ١٤٠٤هـ.
٨٦- ديوان منصور حلاج (فارسي) ط انتشارات كتابخانة سنائي طهران.
٨٧- ديوان فريد الدين عطار نيشابوري (فارسي) ط كتابخانة سنائي طهران.
٨٨- ذخائر الأعلاق لابن عربي. ط مكتبة الكليات الأهرية القاهرة.
٨٩- راحة القلوب ملفوظات فريد الدين كنج شكر (أردو) ط باكستان.
٩٠- الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيري. ط دار الكتب الحديثة القاهرة ١٩٧٤م.
٩١- رسالة النصوص لمحمد بن إسحاق القونوي. ط مشهد إيران.

٩٢- الرستميات (فارسي) لأبي سعيد محمد بن الرستمي. ط مجمع البحوث الإسلامية إسلام أباد باكستان.
٩٣- روح السنة وروح النفوس المطمئنة لأحمد بن إدريس. ط دار إحياء الكتب العربية مصر.
٩٤- روضة التعريف بالحب الشريف للسان الدين بن الخطيب. ط دار الفكر العربي.
٩٥- زبدة الحقائق لعزيز الدين النسفي تقديم حق وردي ناصري. ط كتابخانة طهوري طهران.
٩٦- ساعة مع العارفين لسعيد الأعظمي. ط دار الاعتصام القاهرة.
٩٧- سبيل الأذكار والاعتبار لعبد الله باعلوي الحداد بهامش النصائح الدينية للمؤلف المذكور. ط مطبعة إحياء الكتب العربية القاهرة.
٩٨- سبيل الجنة في التربية بالطريقة القادرية لمحمد ناصر. ط الهند.
٩٩- سر سبردكانه (فارسي) لمحمد علي. ط كتابخانة منوشري إيران.
١٠٠- سيدي أحمد الدردير للدكتور عبد الحليم محمود. ط دار الكتب الحديثة القاهر.
١٠١- السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة للدكتور أحمد صبحي منصور الطبعة الأولى مطبعة الدعوة الإسلامية مصر.
١٠٢- السيد البدوي محمد حجاب. ط مؤسسة سعيد للطباعة مصر.
١٠٣- سير الأقطاب (أردو) لعبد الرحيم. ط باكستان.
١٠٤- سير الأولياء لمحمد بن مبارك علوي. ط مؤسسة انتشارات إسلامي باكستان.
١٠٥- سير العارفين (أردو) لحامد بن فضل الله جمالي. ط لاهور باكستان.
١٠٦- شجرة الكون لابن عربي. ط باكستان ١٩٨٠م.
١٠٧- شرح الحجب والأستار لروزبهان أبي محمد ط حيدر أباد الهند ١٣٣٣هـ.

١٠٨- شرح الزيارة للجماعة الكبيرة لأحمد بن زين الدين مطبع السادات إيران.
١٠٩- شرح المسائل الروحانية لابن عربي ضمن كتاب ختم الولاية للحكيم الترمذي.
١١٠- شرح مقدمة التائية لداود القيصري مخطوط.
١١١- شرح شطحيات (فارسي) لروزبهان بقلي شيرازي بتصحيح هنري كربين. ط طهران.
١١٢- شرح الفصوص للقيصري مخطوط.
١١٣- شرح حال الأولياء لعز الدين المقدسي مخطوط.
١١٤- الشريعة والحقيقة للدكتور حسن محمد شرقاوي. ط القاهرة.
١١٥- شموس الأنوار لابن الحاج التلمساني. ط مصطفي البابي الحلبي القاهرة.
١١٦- شهاب الدين السهروردي للدكتور إبراهيم مدكور. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١١٧- وم القلب لعمار البدليسي مخطوط.
١١٨- لصلاة الكبري لابن عربي مخطوط.
١١٩- لطبقات للسلمي. ط مطابع الشعب القاهرة ١٣٨٠هـ.
١٢٠- بقات الأولياء لابن الملقن. ط مكتبة القاهرة ١٣٩٣هـ.
١٢١- الطبقات الكبري للشعراني. ط دار العلم للجميع. وط المطبعة العامرية العثمانية ١٣٠٥هـ القاهرة.
١٢٢- لطبقات الصغري للشعراني. ط مكتبة القاهرة الطبعة الأولي ١٣٩٠هـ.
١٢٣- الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان لمحمد ضيف الله الجعلي الفضلي. ط المكتبة الثقافية بيروت لبنان.
١٢٤- الطريق إلي الله لأبي سعيد الخراز. ط دار الكتب الحديثة مصر.

١٢٥ – طريق النجاة (فارسي) لكريم خان مطبع السادات إيران ١٣٩٦هـ.
١٢٦ – طهارة القلوب لعبد العزيز الدريني. ط مصطفي البابي الحلبي القاهرة.
١٢٧ – الطواسين للحلاج. ط المعارف باكستان.
١٢٨ – عبد الله الأنصاري الهروي للدكتور محمد سعيد عبد المجيد. ط دار الكتب الحديثة مصر.
١٢٩ – عبد الله خويشكي قصوري (أردو) لمحمد إقبال مجددي. ط باكستان.
١٣٠ – عبد الرحمن الثعالبي والتصوف لعبد الرزاق قسوم. ط الشركة الوطنية الجزائر.
١٣١ – العظة والاعتبار في حياة السيد البدوي لأحمد محمد الحجاب. ط القاهرة.
١٣٢ – العروة للسمناني مخطوط.
١٣٣ – عقلة المستوفز لابن عربي. ط مطبعة بريل ليدن ١٣٣٦هـ.
١٣٤ – عقيدة أهل المعاني في شرح قصيدة بدء الأمالي لأبي الحسن محمد الدوسي. ط مكتبة أيشيق تركيا.
١٣٥ – العقل وفهم القرآن للحارث بن أسد المحاسبي. ط دار الكندي الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.
١٣٦ – العلوم الإلهية والأسرار الربانية لابن عربي. ط مكتبة نصيرالقاهرة.
١٣٧ – عوارف المعارف لعبد القاهر السهروردي ط دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٣هـ.
١٣٨ – غزليات شمس تبريزي (فارسي) ط طهران.
١٣٩ – غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية للنفزي الرندي. ط دار الكتب الحديثة القاهرة ١٩٧٠هـ.
١٤٠ – الفتح الرباني والفيض الرحماني لعبد القادر الجيلاني. ط مصطفي البابي الحلبي القاهرة.
١٤١ – الفتح المبين فيما يتعلق بترياق المحبين لأبي الظفر القادري الطبعة

الأولي المطبعة الخيرية مصر ١٣٠٦هـ.
١٤٢- الفتح الرباني لعبد العزيز نابلوسي. المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٠م.
١٤٣- الفتوحات الإلهية لابن عجيبة الحسني . ط عالم الفكر القاهرة.
١٤٤- الفتوحات المحمدية لمبارك علي. ط باكستان ١٩٨١م.
١٤٥- الفتوحات المكية لابن عربي. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٥هـ. ٤فتوحات نامه لعبد الرزاق كاشاني (فارسي) ط طهران.
١٤٦- فرائد اللآلئ من رسائل الغزالي بتحقيق محمد بخيت. ط فرج الله ذكي الكردي مصر ١٣٤٤هـ.
١٤٧- فرحة الناظرين لمحمد أسلم (أردو). ط باكستان.
١٤٨- فصوص الحكم لابن عربي بتعليقات الدكتور أبي العلاء العفيفي. ط دار الكردي مصر ١٣٤٤هـ.
١٤٩- فوائح الجمال وفواتح الجلال لنجم الدين كبري.
١٥٠- فوائد الفواد ملفوظات خواجه نظام الدين أولياء (أردو). ط أوقاف لاهور باكستان.
١٥١- الفوائد في الصلات والعوائد لشهاب الدين الشرجي اليمني. ط مصطفي البابي الحلبي مصر ١٣٨٨هـ.
١٥٢- فوائد العز الأسني في شرح أسماء الله الحسني وخواصها لمحمد الشبراوي الشافعي بهامش الفوائد لشهاب الدين الشرجي. ط مصطفي البابي الحلبي مصر.
١٥٣- قرة العيون ومفرّح القلب المحزون لأبي الليث السمرقندي. ط دار إحياء الكتب العربية مصر.
١٥٤- القصد الشاذلي مخطوط.
١٥٥- قلادة الجواهر في ذكر الرفاعي وأتباعه الأكابر لمحمد أبي الهدي الرفاعي. ط بيروت ١٤٠٠هـ.

١٥٦- قواعد التصوف لأحمد بن زروق. ط مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ١٩٧٦م.
١٥٧- قوانين حكم الإشراق لأبي المواهب الشاذلي. ط مكتبة الكيات الأزهرية مصر.
١٥٨- قوت القلوب لأبي طالب المكي. ط دار صادر بيروت.
١٥٩- كتاب الاستبصار لأهل الأذكار لأحمد محمود زين الدين الحسيني. ط مطبعة الأنوار القاهرة.
١٦٠- كتاب البرهان الأزهر في مناقب الشيخ الأكبر لمحمود رجب حلمي.
١٦١- كتاب المخاطبات لمحمد بن عبد الجبار النفزي. ط مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة.
١٦٢- كتاب المواقف لمحمد بن عبد الجبار النفزي. ط مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة.
١٦٣- كشف الحجاب لأحمد بن الحاج العياشي. ط ١٣٨١هـ. ١٩٣٤م.
١٦٤- كشف الحقائق للنسفي بتصحيح الدكتور أحمد مهدي (فارسي) ط طهران ١٣٥٩هـ.
١٦٥- كشف الغمة عن جميع الأئمة للشعراني. ط مصطفي البابي الحلبي القاهرة.
١٦٦- كشف المحجوب للهجويري ترجمة عربية. ط دار النهضة العربية بيروت.
١٦٧- كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء للبكري المكي الدمياطي. ط دار الكتب العربية الكبري مصر ١٣٢٥هـ.
١٦٨- كلزار ابرار لمحمد غوثي شطاري (أردو) ط باكستان.
١٦٩- كلزار صوفياء (أردو) لعام فقري. ط باكستان.
١٧٠- كلمة الحق لعبد الرحمن (أردو). ط لكنو الهند ١٨٨٣م.
١٧١- كليات وديوان شمس تبريزي (فارسي) لجلال الدين محمد بلخي. ط

نشر طلوع إيران.
١٧٢- الكندي وآراؤه الفلسفية للدكتور عبد الرحمن شاه ولي. ط مجمع البحوث العلمية باكستان.
١٧٣- كنجيه كوهر (فارسي) لملا أحمدي قاضي. ط مطبعة الحوادث إيرا.
١٧٤- لطائف المنن والأخلاق لعبد الوهاب الشعراني. ط القاهرة.
١٧٥- لطائف المنن لابن عطاء الله الأسكندري. ط مطبعة حسان القاهرة.
١٧٦- اللطف الداني لعبد الوهاب محمد أمين. ط القاهرة.
١٧٧- اللمع للسراج الطوسي. ط دار الكتب الحديثة مصر.
١٧٨- اللمحات لشهاب الدين السهروردي. ط مركز تحقيقات فارسي إيران وباكستان ١٩٨٤م.
١٧٩- اللمعات لفخر الدين عراقي (فارسي) ط إيران.
١٨٠- لوائح لعبد الرحمن جامي (فارسي). ط لاهور باكستان.
١٨١- المثنوي العربي النوري لسعيد النوري. ط مطبعة الزهراء بغداد.
١٨٢- المجالس الرفاعية لأحمد الرفاعي. ط مطبعة الإرشاد بغداد.
١٨٣- مجموع مخطوط بالفاتيكان عربي رقم ١٢٤٢.
١٨٤- مجموعة في الحكمة المشرقية لشهاب الدين السهروردي.
١٨٥- المحبة والشوق للغزالي. ط مصطفي البابي الحلبي القاهرة.
١٨٦- محاسن المجالس لابن العريف. ط باريس ١٩٣٣م.
١٨٧- محمد سليمان تونسوي (أردو) للدكتور محمد حسن للهي. ط باكستان.
١٨٨- محيي الدين ابن عربي (فارسي) للدكتور محسن جهانغيري الطبعة الثانية طهران.
١٨٩- محيي الدين ابن عربي لطه عبد الباقي سرور. ط القاهرة.
١٩٠- مختصر تذكرة القرطبي لعبد الوهاب الشعراني. ط دار إحياء الكتب العربية مصر.

١٩١- المدرسة الحديثة الشاذلية وإمامها أبو الحسن الشاذلي للدكتور عبد الحليم محمود ط دار الكتب الحديثة القاهرة.
١٩٢- مدينة الأولياء (أردو) لمحمد دين كليم قادري. ط باكستان.
١٩٣- مشتهي الخارف الجاني لمحمد الخضر الشنقيطي.
١٩٤- مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم لأحمد بن حسن الرصاص. ط دار الاعتصام القاهرة.
١٩٥- مطالع المسرات لمحمد المهدي بن أحمد. ط مصطفي البابي الحلبي ١٩٧٠م.
١٩٦- معارج المقربين لمحمد ماضي أبي العزائم. دار الثقافة العربية للطباعة مصر.
١٩٧- المعارضة والرد لسهل بن عبد الله التستري. ط دار الإنسان القاهرة.
١٩٨- المقدمات للفرغاني مخطوط.
١٩٩- مقصود المؤمنين لبايزيد الأنصاري. ط مجمع البحوث الإسلامية إسلام أباد باكستان.
٢٠٠- مكاشفة القلوب للغزالي. ط الشعب القاهرة.
٢٠١- مناقب العارفين للأفلاكي (فارسي) ط دنياء كتاب الطبعة الثانية ١٣٦٢ هجري قمري.
٢٠٢- مناقب الصوفية لقطب الدين المرزي. ط طهران.
٢٠٣- مناقب الصوفية (فارسي) لأبي المظفر المروزي باهتمام محمد تقي وإيراج أخشار. ط طهران.
٢٠٤- مناقب الصوفية (فارسي) لمنصور بن أردشير ط إيران.
٢٠٥- مناقب العرافين لشمس الدين الأفلاكي (فارسي) ط دنياء كتاب إيران.
٢٠٦- من أعلام التصوف الإسلامي لطه عبد الباقي سرور. ط دار نهضة مصر.

٢٠٧- المنتخبات من مكتوبات المجدد (فارسي). مكتبة أيشيق تركيا.
٢٠٨- المنقذ من الضلال الغزالي. ط دار الكتاب اللبناني بيروت.
٢٠٩- المنقذ من الضلال مجموعة مؤلفات عبد الحليم محمود. ط دار الكتاب اللبناني بيروت.
٢١٠- إيران.
٢١١- منبع أصول الحكمة لأبي العباس أحمد بن علي بوني. ط مصطفي البابي الحلبي.
٢١٢- منح المنة لعبد الوهاب الشعراني. ط مكتبة عالم الفكر القاهر ١٣٩٩هـ.
٢١٣- منطق الطير لفريد الدين العطار. ط دار الأندلس بيروت.
٢١٤- منهاج العابدين للغزالي. ط مصطفي البابي الحلبي مصر.
٢١٥- المنهج الموصل إلي الطريقة الأنهج لمصطفي الصادقي مخطوط.
٢١٦- المواقف الإلهية لابن قضيب البان ضمن كتاب الإنسان الكامل للبدوي ط الكويت.
٢١٧- مولانا رومي لبشير محمود اختر (أردو) ط إدارة ثقافت إسلامية باكستان.
٢١٨- مواقع النجوم لابن عربي. ط مطبعة السعادة مصر ١٣٢٥هـ.
٢١٩- مهرمنير لمهر علي شاه (أردو) ط باكستان.
٢٢٠- نزهة المجالس لعبد الرحمن الصفوري. ط مكتبة الشرق الجديد بغداد. العراق.
٢٢١- نساء فاضلات لعبد البديع صفر. ط دار الاعتصام القاهرة.
٢٢٢- نسيم الأنس لزين الدين بن رجب مخطوط.
٢٢٣- نشاط التصوف الإسلامي لإبراهيم بسيوني. ط دار المعارف القاهرة ١٩٦٩م.
٢٢٤- النصائح الدينية لعبد الله باعلوي الحداد مطبعة دار إحياء الكتب

العربية القاهرة.
٢٢٥- نص النصوص لحيدر الأملي مخطوط.
٢٢٦- النفحة العلية في أوراد الشاذلية لعبد القادر زكي. ط مكتبة المتني القاهرة.
٢٢٧- نفحة الروح وتحفة الفتوح لمؤيد الدين جندي. ط طهران ١٣٦٢ هجري قمري.
٢٢٨- نفحات الأنس (فارسي) لعبد الرحمن جامي. ط إيران ١٣٣٧هـ.
٢٢٩- الوصية الكبري لعبد السلام الأسمر الفيتوري طرابلس ليبيا ١٩٧٦م.
٢٣٠- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر لعبد الوهاب الشعراني. ط مصطفي البابي الحلبي القاهرة ١٣٧٨هـ.

* **كتب غير الصوفية من المسلمين:**

٢٣١- ابن سبعين وفلسفته الصوفية للدكتور أبي الوفاء الغنيمي التفتازاني. ط دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٧٣ .
٢٣٢- أبو نعيم وكتابه الحلية لمحمد لطفي الصباغ. ط دار الاعتصام القاهرة.
٢٣٣- إتحاف السادة للزبيدي. ط المكتب الإسلامي بيروت ١٩٧٤م.
٢٣٤- أخبار الحكماء للقفطي.
٢٣٥- أديان الهند الكبري للشبلي. ط القاهرة ١٩٦٤م.
٢٣٦- أساس البلاغة للزمخشري. ط إحياء المعاجم العربية القاهرة.
٢٣٧- أضواء علي التصوف للدكتور طلعت غنام. ط عالم الكتب القاهرة.
٢٣٨- الاعتصام للشاطبي. ط مطبعة السعادة مصر.
٢٣٩- الأنساب للسمعاني. ط محمد أمين دمج بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.
٢٤٠- الإنسان الكامل في الإسلام للدكتور عبد الرحمن بدوي. ط وكالة المطبوعات الكويت.
٢٤١- البداية والنهاية لابن كثير. ط بيروت.

٢٤٢- بين التصوف والحياة لعبد الباري الندوي. ط دار الفتح دمشق ١٩٦٣م.
٢٤٣- بوارق الأسماع في إلحاد من يحل السماع (أردو) لمير عالم. ط مطبع منشي فخر الدين. ط باكستان.
٢٤٤- تاريخ التصوف الإسلامي للدكتور عبد الرحمن بدوي. ط وكالة المطبوعات الكويت ١٩٧٨م.
٢٤٥- تاريخ التصوف في الإسلام للدكتور قاسم غني ترجمة عربية لصادق نشأت. ط مكتبة النهضة المصرية القاهرة.
٢٤٦- تاريخ التصوف للدكتور محمد إقبال (أردو) ط لاهور - باكتسان.
٢٤٧- التبصر في الدين للأسفرائيني ط القاهرة.
٢٤٨- تذكرة الحفاظ للذهبي. ط القاهرة.
٢٤٩- التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية للدكتور عبد الرحمن بدوي . ط وكالة المطبوعات الكويت.
٢٥٠- التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق للدكتور زكي مبارك. ط دار الجبل لبنان.
٢٥١- التصوف بين الحق والخلق لمحمد فهر شفقة . ط دار السلفية الكويت.
٢٥٢- التصوف بين الدين والفلسفة للدكتور إبراهيم هلال. ط دار النهضة العربية القاهرة.
٢٥٣- التصوف في تهامة لمحمد بن أحمد العقيلي. ط دار البلاد جدة.
٢٥٤- التنبيه والرد للملطي تحقيق محمد زاهد الكوثري. ط مصر ١٣٦٠ هـ.
٢٥٥- تلبيس إبليس لابن الجوزي. ط دار الوعي بيروت أيضًا. ط دار القلم بيروت.
٢٥٦- تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني . ط بيروت.
٢٥٧- جستجودر تصوف إيران (فارسي) للدكتور عبد المحسن زرين كوب. ط مؤسسة انتشارات أمير كبير طهران ١٣٦٣ هـ.
٢٥٨- حادي الأرواح لابن قيم الجوزية ط دار القلم بيروت لبنان.

٢٥٩- الخضر في الفكر الصوفي لعبد الرحمن عبد الخالق. ط الدار السلفية الكويت.
٢٦٠- الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها مذهب الشيعة الاثني عشرية للسيد محب الدين الخطيب.
٢٦١- خلاصة الأثر للمحبي.
٢٦٢- دائرة المعارف الإسلامية (أردو) ط جامعة بنجاب لاهور باكستان.
٢٦٣- دراسات في التصوف الإسلامي للدكتور محمد جلال شرف. ط دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٠م.
٢٦٤- دنباله جستجودر تصوف (فارسي) للدكتور عبد الحسين زرين كوب. ط إيران.
٢٦٥- ذم ما عليه مدعو التصوف لأبي محمد موفق الدين. ط المكتب الإسلامي بيروت.
٢٦٦- روضة المحبين لابن قيم الجوزية. ط دار الكتب العلمية بيروت.
٢٦٧- سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي. ط بيروت.
٢٦٨- الشيعة وأهل البيت للمؤلف. ط إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان.
٢٦٩- الشعية والسنة للمؤلف. ط إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان.
٢٧٠- صحيح البخاري.
٢٧١- صحيح مسلم.
٢٧٢- الصوفية، الوجه الآخر للدكتور محمد جميل غازي. ط القاهرة.
٢٧٣- الصوفية والفقراء لشيخ الإسلام ابن تيمية . ط دار الفتح القاهرة.
٢٧٤- الصوفية في ضوء الكتاب والسنة لعبد المجيد محمد. ط القاهرة.
٢٧٥- الصوفية في نظر الإسلام لسميع عاطف الزين. ط دار الكتاب اللبناني بيروت.
٢٧٦- ضحي الإسلام لأحمد أمين. ط القاهرة ١٩٥٢م.
٢٧٧- الطبقات لابن سعد. ط بيروت.
٢٧٨- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية. ط إدارة

ترجمان السنة لاهور باكستان.
٢٧٩- الفصل في الملل والأهواء والنحل للحافظ ابن حزم. ط بيروت.
٢٨٠- فضائح الباطنية للغزالي. ط مؤسسة دار الكتب الثقافية الكويت.
٢٨١- فلسفة الهند القديمة لمحمد عبد السلام ط الهند الرامبوري.
٢٨٢- الفلسفة الصوفية في الإسلام للدكتور عبد القادر محمود. ط دار الفكر العربي القاهرة.
٢٨٣- القاديانية للمؤلف ط باكستان.
٢٨٤- القاموس للفيروزآبادي. ط مصطفي البابي الحلبي القاهرة.
٢٨٥- القول المنبي في تكفير ابن عربي للنحاوي مخطوط.
٢٨٦- لسان العرب لابن منظور الإفريقي. ط دار صادر بيروت.
٢٨٧- مجموعة الرسائل لابن تيمية. ط دار الكتب العلمية بيروت. لبنان.
٢٨٨- مدخل إلي التصوف الإسلامي لأبي الوفاء الغنيمي ط مصر.
٢٨٩- المسند للإمام أحمد.
٢٩٠- المقدمة لابن خلدون. ط مطبعة مصطفي محمد مصر.
٢٩١- الملامتية وأهل الفتوة والصوفية لأبي العلاء العفيف ط دار إحياء الكتب العربية مصر.
٢٩٢- منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية. ط لاهور باكستان.
٢٩٣- الملل والنحل للشهرستاني بهامش الفصل لابن حزم. ط بيروت.
٢٩٤- الموطأ للإمام مالك.
٢٩٥- نشأة الفلسفة الصوفية للدكتور عرفان عبد الحميد. ط المكتب الإسلامي بيروت ١٩٧٤ م.
٢٩٦- النجوم الزاهرة للتغري البردي الأتابكي. ط وزارة الثقافة مصر.
٢٩٧- وفيات الأعيان لابن خلكان. ط بيروت.
٢٩٨- الوافي بالوفيات.
٢٩٩- ولاية الله والطريق إليها للإمام الشوكاني. ط القاهرة.

٣٠٠- هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل. ط دار الكتب العلمية.

* كتب الشيعة والإسماعيلية:

٣٠١- أجزاء عن العقائد الإسماعيلية للداعي إبراهيم. ط أمبرين نيشنل بريس ١٧٨٤م.
٣٠٢- أربعة نصوص إسماعيلية للداعي الإسماعيلي المجهول بتحقيق ماسينيون. ط باريس.
٣٠٣- أساس التأويل للقاضي الإسماعيلي النعمان. ط دار الثقافة بيروت.
٣٠٤- الأصول من الكافي للكليني. ط دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٨٨ هجري قمري.
٣٠٥- أعلام النبوة لأبي حاتم الرازي تحقيق صلاح الصادي. ط إيران ١٣٩٧ هجري قمري.
٣٠٦- أعيان الشيعة لمحسن الأمين. ط دار التعارف للمطبوعات بيروت.
٣٠٧- اعتقادات الصدوق لابن بابويه القمي ط إيران.
٣٠٨- الافتخار للداعي أبي يعقوب السجستاني. ط بيروت.
٣٠٩- الأمالي للمفيد. ط قم إيران.
٣١٠- بحار الأنوار للمجلسي. ط إيران.
٣١١- البرهان في تفسير القرآن لهاشم البحراني. ط إيران.
٣١٢- بصائر الدرجات الكبري للصفار. ط منشورات الأعلمي طهران ١٤٠٤هـ.
٣١٣- بيت الدعوة الإسماعيلية مخطوط.
٣١٤- بين التصوف والتشيع لهاشم معروف حسيني. ط دار القلم بيروت.
٣١٥- تلخيص الشافي للطوسي. ط قم إيران.
٣١٦- تنقيح المقال للمامقاني . ط طهران.
٣١٧- حق اليقين (فارسي) للمجلسي. ط إيران.
٣١٨- حديقة الشيعة (فارسي) لأحمد بن محمد الأردبيلي. ط طهران.

٣١٩- الخصال لابن بابويه القمي. ط إيران.
٣٢٠- الذريعة إلى تصانيف الشيعة لآقابزرك الطهراني. ط إيران.
٣٢١- الرجال للحلي. ط طهران.
٣٢٢- رجال الطوسي. ط نجف العراق.
٣٢٣- رجال الكشي . ط كربلاء.
٣٢٤- الزهد للحسين بن سعيد الأهوازي. ط إيران.
٣٢٥- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد. ط إيران.
٣٢٦- شرح اعتقادات الصدوق. ط إيران.
٣٢٧- الصلة بين التصوف والتشيع للدكتور كامل مصطفي الشيبي. ط بيروت ١٩٨٢م.
٣٢٨- طرائق الحقائق للحاج معصوم علي شاه . ط إيران.
٣٢٩- عيون أخبار الرضا لابن بابوية القمي. ط إيران.
٣٣٠- فرق الشيعة للنوبختي. ط المطبعة الحيدرية نجف العراق.
٣٣١- الفصول المهمة في معرفة الأئمة للحر العاملي. ط مكتبة بصيرتي قم إيران.
٣٣٢- الفكر الشيعي والنزعات الصوفية للدكتور كامل مصطفي الشيبي. مكتبة النهضة بغداد.
٣٣٣- كمال الدين وتمام النعمة لابن بابويه القمي. ط دار الكتب الإسلامية طهران ١٣٩٥هـ.
٣٣٤- مشارق أنوار اليقين للحافظ رجب البرسي . ط دار الأندلس بيروت.
٣٣٥- المقالات والفرق لابن عبد الله الأشعري القمي . ط طهران.
٣٣٦- منهج المقال للأسترآبادي. ط إيران.
٣٣٧- منهج الكرامة للحلي. ط باكستان.
٣٣٨- النصرة للسجستاني . ط دار الثقافة بيروت.
٣٣٩- نهج البلاغة المنسوب إلي علي بن أبي طالب رضي الله عنه بتحقيق صبحي

صالح بيروت.
٣٤٠- الهفت الشريف للمفضل الجعفي تحقيق مصطفى غالب الإسماعيلي. ط بيروت.
٣٤١- ثلاث رسائل في الحكمة الإسلامية لمحمد كاظم عصار. ط المكتبة المرتضوية إيران.
٣٤٢- كتب غير المسلمين:
٣٤٣- إنجيل.
٣٤٤- آئين جوانمردي (فارسي) لهنري كاربين. ط إيران.
٣٤٥- ابن عربي حياته ومذهبه لآسين بلاثيوس ترجمة عربية دكتور عبد الرحمن بدوي. ط وكالة المطبوعات الكويت.
٣٤٦- التاريخ العام للتصوف ومعالمه لميركس.
٣٤٧- تاريخ العرب لحتي.
٣٤٨- التصوف الإسلامي وتاريخه لنيكلسون ترجمة عربية للدكتور أبي الوفا العفيفي. ط القاهرة.
٣٤٩- التصوف لماسينيون. ط دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٨٤م.
٣٥٠- العقيدة والشريعة في الإسلام لجولدزيهر.
٣٥١- فلسفة اليوجاليوجي راما شاراكه ط القاهرة.
٣٥٢- الفكر العربي ومكانته في التاريخ للمستشرق أوليري ترجمة تمام حسان. ط القاهرة.
٣٥٣- قصة الحضارة لول ديورانت ترجمة عربية لمحمد بدران. ط القاهرة. ١٩٦٤م.
٣٥٤- للت دستب كتاب بوذي مقدس ط الهند.
٣٥٥- هذه هي الوجودية لبول فولكيبه.

الفهرس

مكتب عثمان بن عفان
للصف التصويري والإعداد الفني
جوال: ٠٠٢٠١٢٦٣١١٤٤٨